غير مخصص للبيع

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد (٢٢٠) - شوال ١٤١٥ هـ - مارس ١٩٩٥ م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE (220) MAR. 1995

- بنوة الفكر اليهودي للاسلام
- البعد الأسطوري في الرواية الحديثة



حدائق كيو
جمال العلم والطبيعة

رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين

ليحيى بن شرف بن مري النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م

كتاب مشهور في الحديث، جمع فيه المؤلف مجموعة من الأحاديث التي تتحدث عن الإخلاص، والصبر، والصدق، ومراقبة الله عز وجل، والتقوى، والتوبة، والاستقامة، والتفكر في خلق الله، وعمل الخير، ومجاهدة النفس، والزهد في الدنيا، والتحلي بالأخلاق، وتطهير القلب، وتقويم السلوك، والتعاون على البر والتقوى، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحريم الظلم والأمر برده، وتعظيم حرمات المسلمين، وستر عوراتهم، وقضاء حوائجهم، والإصلاح بين الناس، وحق الجار، وبر الوالدين وصلة الأرحام، وتوقير العلماء، والقناعة، والحث على الكرم والجود، والنهي عن الشح والبخل، والتمسك بالعبادات، وفضل الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج.

وقد جمع الكتاب بين الترغيب والترهيب، ويعد موسوعة وعظية اعتمد فيها المؤلف على الأحاديث النبوية المذكورة في كتب السنة المعتمدة وذكر في مقدمة كل باب ما يناسبه من الآيات القرآنية الكريمة، كما شرح ما احتاج من الأحاديث إلى بيان، وضبطَ الكلمات المحتاجة إلى ضبْط، وانتهى من تأليفه يوم الاثنين رابع شهر رمضان سنة سبعين وستمائة.

والمخطوطة مكتوبة بخط نسخي بقلم محمد بن عز الدين بن محمود كيو سنة ٨٦١هـ، وهي من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، برقم ٣٠٥٥.

إعداد: د. عابد سليمان المشوخي

في العدد القادم:

- ملف شامل عن نشاطات مؤسسة الملك فيصل الخيرية
- أدونيس في محاكمة فكرية
- التثقيف الطبي ليس للأطباء فقط!

البريد

THE MAIL

مرجع مهم

الملف المتخصص الذي نُشر في عدد شهر شعبان/يناير من مجلة الفيصل بعنوان «اللغة العربية سياج هويتنا» يعد مرجعاً مهما لكل الدارسين والإعلاميين، ونحن ننتظر الندوة التي تنظمها «الفيصل» حول هذا الموضوع الحيوي، وأتمنى أن تتاح لي فرصة حضور هذه الندوة وتغطيتها لتعم الفائدة.

عبد السلام لصيلع - صحافي

حشاد ص.ب ٢٣٢- تونس

نأمل منكم ومن جميع الإخوة القراء إرسال أفكارهم وآرائهم لتكون محل نقاش وتداول ضمن محاور الندوة. وكما تعلمون، فإن هذا الملف يأتي في إطار سياسة المجلة في إعداد ملفات تثير القضايا الثقافية والفكرية الملحة.

حماية مكونات الشخصية

لقد كان تناولكم قضية اللغة العربية في ملف العدد (٢١٨) شاملاً ومتعمقاً ومفيداً، وعَبَّر بوضوح عن معنى حماية مكونات الشخصية والبقاء في مستوى التحدي. ولقد سرني أنكم بصدد إقامة ندوة مُوسَّعة عن الموضوع نفسه.. وفقكم الله.

محمد العربي

ص.ب ٤٣٠٩٨ الرياض ١١٥٦١

تقدير

أسجل تقديري لكم لما اشتمل عليه ملف «اللغة العربية سياج هويتنا» من مقالات، ومابذلتم فيه من جهد يستحق الثناء، كما أعرب عن شكري لمبادرتكم بإرفاق ملف بالعدد يضم قائمة ببليوغرافية بموضوعات اللغة العربية.

مهدي بن علي القرني

معيد بكلية المعلمين في بيشة

الأمر يتطلب إجراء عاجلاً

موضوعات ملف العدد (٢١٨) «اللغة العربية سياج هويتنا» حركت مشاعر متباينة في دواخلي، فالمشكلة أخطر وأعمق من مجرد تعريب المصطلحات، وتصويب الأخطاء التي ترسخها الصحافة العربية، وتساهم بها في تجهيل الكبار والصغار. أعتقد أن خطورة القضية تفرض التعجيل بإجراء أشمل من الندوة التي تودون تنظيمها؛ لأن الندوة مهما تكن الأسماء التي تشارك فيها لن تتجاوز طرح الآراء والحقائق التي وردت في الملف، ولذلك أرى أن يُعقد مؤتمر على مستوى الجامعة العربية، تعد له المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وليت الفيصل تتبنّى هذه الفكرة، وإني لعلى يقين من أنها ستلقى التجاوب.

شاهر عبدالكريم أبو هاشم

اللاذقية - سورية

ترمي «الفيصل» من هذا العمل إلى إثارة القضية وبيان المخاطر التي تهدد لغتنا، ومن ثم أمتنا، وحث أبناء الأمة على التنبه إليها والتفكير فيها بعمق. أما المؤتمر الذي تقترحه فهناك جهات أخرى تستطيع أن تتولى مثل هذه الأمور.

التنسيق الغائب

استنتجت من اطلاعي على مقالات ملف اللغة العربية حقيقة مريرة وخطيرة، وهي أن الأزمة التي تعيشها اللغة العربية، في كثير من جوانبها، نابعة من ذواتنا وتعكس حالة التشتّت وأزمة التنسيق بين البلدان العربية، فقد نبّه د. إبراهيم السامرائي في مقاله عن مجامع اللغة العربية إلى نقطة مهمة، إذ يقول: «ومما يدعو إلى الأسف ضياع جهود صادقة في إنجاز شيء واحد لم يكن قد انتهى إلى النتائج المرجوّة، لقد تفرق القوم، فكثرت مصطلحاتهم، واختلفوا فيها، وربما كان كل نفر متعصباً لما أنجزه». وهكذا التحرك العربي في هذه المرحلة الدقيقة، متضارب، ولاتختلف جهودنا لتدارك أزمة لغتنا عن المساعي المبتورة للخروج إلى العالم بعمل عربي مشترك.

حناوي سعيد الحليبي

فاس - المغرب

ماوراء الحجج الواهية

ملف اللغة العربية بالعدد (٢١٨) عالج القضية بصراحة متناهية، واتّسمت مقالاته بالموضوعية وعدم التحيز، وكذلك أبانت ماوراء الهجوم على اللغة العربية، ومحاولات تهميشها بحجج واهية لاتقف على ساقين، وأغراض مشبوهة ونيات ميتة.

عبدالمنعم مجاهد عبدالوهاب

٢٢ شارع سلامة، شربين - مصر

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على البعض الآخر للقراء
يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح
فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

إطلالة

البيئة..



أحرز الإنسان في هذا القرن ـ وبخاصة في نصفه الأخير ـ تقدمًا تقنيًا هائلاً انتظم مناحي الحياة كافة، وهذا التقدم التقني غير المسبوق الذي كان ضربا من الخيال في الماضي جعل الإنسان في لهاث شديد وراء طروحات الخيال العلمي ليحيلها إلى واقع.

وكان المأمول أن يُوَظَّف هذا التقدم من أجل الإنسان والمحافظة على ما لديه من قيم، وأن تكون تقنيات الاتصال المتطورة التي اختزلت المسافات بين الدول والشعوب أداة لإقامة مجتمع إنساني أكثر تسامحًا وتفاعلاً في سبيل توكيد قيم العدل والحق والمساواة بين بني البشر، ونبذ روح الأنانية والعنصرية والطبقية التي تهدد كل إنجاز إنساني.

ولكن ـ للأسف ـ خابت الآمال والتوقعات، وشهد هذا القرن صراعات محمومة بين الدول والشعوب فاقت التصورات كلها، وكان للتقنيات المتطورة دور كبير في زيادة خسائرها المادية والبشرية، وتخريب البيئة الطبيعية وتدميرها دمارًا لم تعهده من قبل.

وقد تعالت الأصوات المتعقّلة في العالم محذرة من المصير الذي ينتظر الإنسان إذا تمادى في غيّه، ولم يمعن التفكير والنظر في عواقب استمراره في ابتكار أسلحة الحرب والدمار، مما يهدد بانزواء الحضارة الإنسانية الراهنة وفنائها.

ولم يبالغ بريجنسكي المستشار القومي للرئيس الأمريكي الأسبق حين اختار (الانفلات) (OUT OF CONTROL) عنوانًا لكتابه الذي يتناول أهم ملامح هذا القرن واحتمالات المستقبل، فقد كانت الأرقام المذهلة لضحايا الحروب والصراعات مؤكدة لهذا الانفلات الذي يمثل سمة رئيسة لهذا القرن، إذ ذكر أن هناك مالا يقل عن ١٦٧ مليون نسمة راحوا ضحية الحروب والخلافات الفكرية والعقائدية، وهناك ملايين أخرى من الجرحى والمشوهين والمعوقين. ومن الطبعي أن أضرار هذه الحروب لم تقتصر على العنصر البشري فحسب، وإنما امتدت لتشمل عناصر البيئة الأخرى. فأسلحة الدمار التي تفنن الإنسان في ابتكارها تستهلك كثيرا من الموارد الطبيعية التي كان في الإمكان استثمارها في إنتاج يلبي الحاجات الضرورية للإنسان، أو في إيجاد تقنيات تسهم في تطور الحياة الإنسانية وازدهارها، بالإضافة إلى ماتلحقه هذه الحروب من أضرار مباشرة بالبيئة الطبيعية. ولكن رغم ماتسببه الحروب من دمار شديد للحرث والنسل فإنها لاتعدو أن تكون واحدة من الممارسات الإنسانية غير الواعية التي نجم عنها ما يُعرف باختلال التوازن البيئي.

ويبدو هذا الاختلال في التوازن الطبيعي للبيئة في عدد كبير من الصور؛ فهناك كثير من النباتات والحيوانات والكائنات البحرية التي انقرضت أو أصبحت مهددة بالانقراض، وتوجد غابات متعددة في العالم تحولت إلى صحارى، وهناك احتمال أيضًا أن يختفي مايقارب ١٤٪ من الغابات الاستوائية قبل نهاية القرن. كذلك جفت أنهار وبحيرات، ولم يسلم الغلاف الجوي من عدوان الإنسان؛ إذ يُمثل ثقب طبقة الأوزون تهديدًا مباشرًا للحياة على كوكب الأرض، وقد كان ذلك كله سببا في تغير المناخ، وتوقع ارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية، حتى إن هناك تقارير علمية تؤكد أن ارتفاع درجة الحرارة بمقدار ثلاث درجات مئوية بحلول عام ٢٠٥٠، سيترتب عليه ارتفاع مستوى سطح البحر بمقدار يتأرجح بين ٥٠ ـ ١٠٠سم، ومن المحتمل كذلك أن يرتفع سطح البحر بمقدار مترين مع نهاية القرن القادم. وهذه الاحتمالات المروعة أدت إلى المناداة بضرورة نشر (علم توازن البيئة) لإيجاد حلول ناجعة للمشكلات البيئية قبل فوات الأوان.

ويؤكد علماء البيئة وخبراؤها أن الإنسان هو العامل الرئيس في اضطراب التوازن الطبيعي في هذا الكون، نتيجة لأنانيته وميله إلى الاستفادة القصوى من مكونات البيئة دون أن يلقي بالاً للأضرار التي تصيب المخلوقات الأخرى التي وجدت على هذه الأرض ضمن ترتيب إلهي، وهذا النوع من البشر ـ الذي يدفعه جشعه وطمعه ـ لايتورع عن استغلال غيره في عمليات الإنتاج، ثم يسلط عليه وسائل الإعلام والدعاية التي تعمق فيه الفكر الاستهلاكي، ليدور بذلك في حلقة مفرغة تجعله مشدودًا إلى رغبات وحاجات ثانوية لاتنتهي. ولعل اتجاه دول العالم المتقدم إلى التخلص من مخلفاتها الصناعية كالنفايات النووية في بلدان ما يعرف بالعالم الثالث يمثل وجهًا بشعًا لذلك الاستغلال، وصورة مجسدة للأنانية التي يمكن أن تسكن الإنسان حين تغيب المعايير الأخلاقية التي يجب أن تضبط سلوكه وتوجهه.

والعجيب أن العالم يقف اليوم أمام قضية اختلال التوازن البيئي، كما لو كانت مشكلة فجائية لم تنجم من تراكم ممارسات خاطئة وجشعة على امتداد أزمان طويلة، لذلك فإن معظم المحاولات الرامية لتدارك العواقب الوخيمة التي أطلت برأسها وأصبحت تهدد الحضارة الإنسانية تتسم بالآنية وقصر النظر، وتُسقط الحلول الجوهرية التي تستطيع استيعاب القضية بتفاصيلها داخل إطار إنساني عالمي. ويتمثل أساس هذه المشكلة ـ التي بدأت تأخذ حيزًا واضحًا في الفكر الإنساني ـ في الأزمة الأخلاقية التي ينوء تحت تداعياتها الإنسان في هذا العصر، والتي تهدم القيمة الرئيسة لوجوده، ألا وهي خلافة الله في الأرض وإعمارها دون إفراط أو تفريط.

فالله سبحانه وتعالى حين استخلف الإنسان في الأرض أمره بإعمال العقل الذي ميزه به، واستغلال ماوهبه إياه من قدرات في استخدام مواردها، والإفادة منها ضمن معايير أخلاقية يجب عليه أن يلتزمها في محاولته للتكيف مع البيئة ومكوناتها؛ لأن هذه المعايير تعد سياجًا يحمي الإنسان ويقيه من عواقب الاختلال البيئي الذي يقع ضرره الأول عليه قبل غيره من المخلوقات. ولكن بالنظر إلى المهددات البيئية وأسبابها، يتضح جليًا أن الإنسان ألقى وراء ظهره التعاليم الربانية التي اشتملت عليها الأديان السماوية، التي ترشد الإنسان لأن يستفيد من أنعُم الله بقدر، ويصون الأمانة التي تتعاقب عليها الأجيال إلى أن يرث الله الأرض وماعليها.

وهكذا فإن قضية البيئة تعري الإنسان أمام نفسه، وتضعه وجها لوجه قبالة الحقيقة التي يريد أن يطويها بمسوغات لا أساس لها؛ مثل ضرورات التنمية وتلبية الاحتياجات. هذه المسوغات ـ بالتأكيد ـ لاتصمد طويلاً حين تتم موازنتها بالثمن الفادح الذي تدفعه البشرية اليوم، أو الذي تفرضه على أجيال قادمة لم تشاركها في جريرة إهلاك البيئة.

ويوضح الاستقراء العميق للتاريخ الإنساني بجلاء أن من أهم أسباب هلاك الأمم الغابرة غياب المعايير الأخلاقية التي تضبط توجهاتها وسلوكياتها، وإساءتها استخدام أسباب التمكين والقوة التي خص الله بها الإنسان للاضطلاع بمسؤولية إعمار الأرض، وتغليبها المصالح المادية على حساب الجوانب الروحية والأخلاقية.

وقد حفل القصص القرآني بأنباء هذه الأمم التي ابتعدت عن منهج الله وأقامت حضارتها على أسس

وغياب القيم

مادية بحتة، وأفسدت في الأرض، فكان مآلها إلى الفناء والزوال. وفي الوقت نفسه فإن الإسلام يقدم منظورًا متكاملاً للتفاعل الذي ينبغي أن يكون بين الإنسان والبيئة، بما يُمكّن الإنسان من استغلالها استغلالاً رشيدًا من غير فساد ولاإفساد حتى يضمن استمرار انتفاعه بمكونات هذه البيئة التي سخرها الله له، وفي الوقت ذاته يحفظ لها توازنها. وقد وضع الإسلام القواعد والنظم الشرعية التي يتم بموجبها هذا الاستغلال، ويرمي الإسلام من وراء ذلك إلى الاستفادة القصوى من نعم الله دون إفساد الطبيعة.

وفي هذا الإطار يؤكد الإسلام أن استعمال نعم الله على غير المقصود منها يحيلها إلى نقم، كما أن تعطيلها وإهمالها يخل بالتوازن الذي أوجدها الله عليه، مشددًا على ضرورة المعالجة الفورية للفساد الذي قد يقع، واتخاذ السبل والوسائل الممكنة للوقاية مما يُتَوَقَّع من فساد. ولاشك أن ذلك لايتم إلا بالعلم، ومن ثم حث الإسلام على طلبه، وجعله سابقًا على القول والعمل لأنه ضمان وشرط لصحتهما. ومنح الله الإنسان أدوات امتلاك العلم، فميزه بالعقل وأعطاه رغبة فطرية في فهم أسرار الكون وإدراكها، والسعي الدؤوب في طلب الرزق، مما كان له الأثر البالغ في تقدم الحضارة الإنسانية حتى بلغت الطور الذي هي عليه الآن.

ويصعب كثيرًا تفصيل المنهج الإسلامي المحدد لعلاقة الإنسان بالبيئة، لأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تزخر بالعديد من التعاليم التي تبين دقائق هذا المنهج وتفصيلاته، إضافة إلى التراث الضخم من الممارسة الواقعية الذي خلفه السلف.

ولكن إذا حاولنا الاستعانة بومضات من الهدي النبوي للاستدلال على عظمة هذا المنهج، نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد أن إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وأن غرس شجرة يُستظل بها صدقة، ناهيك عن شجرة مثمرة مظلة، بل إنه نهى الجيوش عن إحراق الزرع وقطع الشجر؛ وكذلك التوجيه النبوي بعدم الإسراف واضح في نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن المبالغة في استخدام الماء في الوضوء، ولو كان المسلم على نهر جار.

ووجّه الرسول الكريم إلى ضرورة الرفق بالحيوان، حتى إنه نهى عن قتل عصفور دون حاجة، وبين أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض. وعلى نهجه سار السلف الصالح؛ فالخليفة عمر بن عبدالعزيز حدد حجم الأثقال التي يجب أن يحملها البعير، بعد أن رأى أحد الرعية يثقل على بعيره. وقد جعل المسلمون أوقافا مخصصة لإطعام الحيوانات الضالة وعلاجها وشراء الحبوب الغذائية للطيور، وهم بذلك سباقون في هذا المجال.

ولكن على الرغم من هذا الإرث الحضاري العملي في أسلوب التفاعل الأمثل بين الإنسان وبيئته، فإن المجتمعات الإسلامية تعد الأكثر معاناة في العالم من المشكلات البيئية، مع أنها لاتملك أدنى مقومات الصناعات الكبرى التي تشكل المصدر الرئيس للتلوث البيئي. وفي الوقت نفسه نجد أن الغرب الذي تستوطن فيه الصناعات الثقيلة بمخلفاتها ونفاياتها الملوثة للبيئة يتخذ خطوات فاعلة للحد من تفاقم اختلال التوازن البيئي؛ ويسن القوانين اللازمة لتحقيق هذا الهدف، ويضع الخطط المستقبلية لمواجهة أي ظروف بيئية طارئة، وقد نجح كثيرًا في هذا الاتجاه، ولعل سرعة مواجهته الكوارث الطبيعية بأقل الخسائر المادية والبشرية؛ دليل واضح على هذا النجاح. والاستطلاع الذي تنشره «الفيصل» في هذا العدد عن حدائق كيو النباتية في لندن يقدم نموذجًا واقعيًا لاهتمام الآخرين بحل قضاياهم وفق أسس منهجية وعلمية تأخذ في الحسبان خصائص بيئتهم ومجتمعاتهم، كما أن ذلك الأسلوب الشامل في المحافظة على نباتات البيئات المختلفة واتخاذ التدابير اللازمة لتكاثرها واستمراريتها ينعكس إيجابيًا على الحياة الإنسانية كلها.

وتتجه بعض الدول الإسلامية - في محاولاتها لحل المشكلة البيئية - إلى استيراد الحلول التي ثبت نجاحها في دول الغرب، دون النظر إلى فارق الإمكانات وتباين البيئات، ودون محاولة جادة لإيجاد حلول ذاتية تنبع من فهم عميق للمشكلة أو استقراء متأن لتراثها الحضاري.

ويبدو أن التقليد أصبح سمة رئيسة لمعظم المجتمعات الإسلامية، وأن الانقطاع بين البحث العلمي وحاجات المجتمع غدا أمرًا واقعًا لايلتفت إليه، إذ تنبئ عن هذا الواقع المرير كثير من العلوم المتعلقة بحياة الإنسان المادية والمعنوية التي تُدرّس في مدارس بعض الدول الإسلامية وجامعاتها دون تفنيد أو نقد، على الرغم مما فيها من أفكار تناقض قيم ديننا وتقاليد مجتمعنا. فعلى سبيل المثال تزخر مناهج علمي النفس والاجتماع - وهما أكثر العلوم الإنسانية التي تسهم في التشكيل الفكري للمجتمع - بنظريات تتعارض والتصور الإسلامي للكون والحياة، كتلك التي تصور الإنسان على أنه حيوان ذو غرائز وميول مادية، ومن ثم لاترى حرجا في تطبيق التجارب الحيوانية عليه، أو تلك التي تنظر إلى الدين كظاهرة اجتماعية في طريقها إلى الزوال، وغيرها من النظريات الإلحادية التي تُدرّس دون تقديم الرأي الإسلامي فيها؛ مما يشكل صورة بعيدة عن قيم الإسلام وضوابطه.

إن هذا التردي في مجال معالجة مشكلات البيئة والمحافظة عليها يقتضي وقفة متأنية، تدرس أسبابه، وتضع الوسائل التي تنهض به لننعتق من نظرية رد الفعل والتبعية العمياء، ونضمن - في الوقت ذاته - أن تأتي الحلول مرتبطة بالبيئة، ومنطلقة من قواعد إسلامية راسخة تعين على تربية الأجيال تربية صالحة تؤهلها لحمل الرسالة وأداء الأمانة.

وفي إطار هذه الوقفة المتأنية علينا أن ننظر بعمق إلى المشكلة البيئية لأنها ترتبط بعرى وثيقة بمحاولاتنا للتقدم والرقي الحضاري. وأعتقد أن إشراك المواطن في تحمل مسؤولية المحافظة على الثروات الطبيعية وإحاطته بحجم المشكلة البيئية، يمثل خطوة فاعلة نحو وضع الحلول العملية لها.

وقد اختطت المملكة العربية السعودية سياسة واضحة في هذا المضمار، إذ وجهت الاهتمام لحماية البيئة الطبيعية، فأنشأت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها التي تؤدي دورًا كبيرًا في حفظ التوازن البيئي، بأنشطتها المختلفة الرامية إلى حفظ مكونات الحياة الفطرية وتوفير الظروف المواتية لتنميتها والحيلولة دون انقراضها.

كذلك فإن مشروع التوعية البيئية السعودي الذي تبناه ورعاه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران - حفظه الله - يمثل نقلة متميزة في هذا التوجه. فهذا المشروع الوطني يخرج مفهوم حماية البيئة من الإطار النظري، ليصبح جزءا من الاهتمامات اليومية للمواطن، وذلك بتعريف المواطنين أبعاد المشكلة البيئية، والمسؤوليات التي يجب عليهم الاضطلاع بها من أجل ضمان التمتع ببيئة صحية منتجة.

والمعرض البيئي المقام حاليا في الرياض، الذي يجيئ ضمن نشاطات مشروع التوعية البيئية السعودي يلبي كثيرا من أهداف المشروع، لأنه استطاع أن يجسد المشكلة البيئية للمواطن، وأن يقدم له المعلومات الأساسية التي يحتاجها لتفهم هذه المشكلة وأبعادها بصورة مباشرة.

وإسهاما متواضعا من «الفيصل» في دعم أهداف هذا المشروع وتنوير المواطنين بهذه القضية الحيوية، وإثراء حصيلتهم حولها، فقد أُرفق مع هذا العدد كتيب يضم قائمة بأهم المراجع - من كتب ومقالات وبحوث وأطروحات جامعية - حول هذا الموضوع، ونأمل أن يكون فيه النفع والفائدة والدعم لجهود وزارة الدفاع والطيران في هذا المجال. والله نسأل العون والتوفيق.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

كيو.. أكبر حدائق العالم



حدائق كيو في بريطانيا يبلغ عمرها نحو قرنين ونصف، وبالرغم من هذا العمر المديد لم تصبها الشيخوخة، وإنما يزيدها مرور الأيام والسنين حيوية وتطوراً، لأنها توظف التقنية الحديثة في تجديد شبابها، حتى غدت حديثة ومخبراً في آن واحد، فكثير من دول العالم تجري تجاربها في هذه الحدائق التي تتمثل فيها بيئات العالم جميعها، ومن ثم استحقت أن تكون أكبر حدائق العالم وأشهرها. هذه الحدائق صورة حضارية للعلاقة التي ينبغي أن تكون بين الإنسان والطبيعة.

ص ٨

الرجل الآلي: إلى متى يلهي أطفالنا عن تراثهم ؟



تقديم التراث إلى الأجيال الجديدة هاجس يؤرّق الكثيرين من مبدعي أدب الطفل في عالمنا العربي والإسلامي.
وقد جرت محاولات عديدة في هذا المجال، ولكن على الرغم من ذلك يظل الطفل العربي منجذباً إلى مايقدمه التلفاز عن الرجل الآلي ورجل الفضاء وحرب النجوم وغيرها من البرامج الوافدة. فماالسبيل إذن إلى ربط الطفل بتراث آبائه وأجداده؟ وكيف نوجد للطفل أدباً يتحدث بلغة العصر ويفيد من أدواته وأشكاله!

ص ٥٩

سمك القرش: القاتل المحترف !



تعد أسماك القرش من أكثر الكائنات البحرية شراسة وميلاً للعدوان؛ فقد تعددت الروايات والقصص حول الحوادث المروّعة التي سببتها هذه الأسماك، وراح ضحيتها الآلاف من البشر، إضافة إلى الذعر الذي تبثه بين المخلوقات البحرية. وقد أدى ذلك إلى انقسام الآراء حولها، إذ هناك من يدعو إلى القضاء عليها، وتخليص البشرية والبيئة البحرية من شرورها، في حين يدافع عنها فريق آخر، ويطالب بضرورة حمايتها من خطر الانقراض.
أما موضع العجب والاستغراب في حياة هذه الأسماك فيكمن في ميلها إلى إقامة صداقات وطيدة مع أسماك في غاية الضعف والوهن. تُرى ماالسر في ذلك؟

ص ٨٣

أدب وفكر

تربية وتعليم

اقتصاد

علوم

تراث وتاريخ

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

من كتّاب العدد

د. عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري – من مواليد بريدة، السعودية، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.
– حاصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي وحضارته من كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ويعمل بها حاليًا أستاذًا مساعدًا.
– عمل وكيلاً لمعهد العلوم الإسلامية والعربية في العاصمة الأمريكية واشنطن لمدة ثلاث سنوات.
– عضو في الجمعية التاريخية السعودية، واتحاد المؤرخين العرب، وجمعية دراسات الشرق الأوسط الأمريكية (MESA).
– شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والدولية.
– كاتب أسبوعي في جريدة البلاد السعودية، وله مقالات منشورة في بعض الصحف والمجلات المحلية والعربية.
– من مؤلفاته:
«الحرَف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم»، «الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين»، «نصارى العرب في العراق وموقفهم من الفتوح الإسلامية في عصر الراشدين»، «مختصر الجهاد والفتح الإسلامي عبر العصور (تحت الطبع)».

خلدون صبح
– من مواليد دمشق، سورية ١٩٦٦م.
– حاصل على الإجازة في الأدب العربي، جامعة دمشق، ١٩٨٩م، وعلى الدبلوم التربوي ودبلوم الدراسات العليا ١٩٩٢م.
– يحضر لنيل درجة الماجستير، وموضوع الرسالة: «التقديم والتأخير في القرآن الكريم: نحويًا وبلاغيًا».
– عمل مدققًا لغويًا في إحدى المجلات السورية، ويعمل حاليًا مدرسًا بالمرحلة الثانوية.
– له مقالات منشورة في الصحف والمجلات المحلية والعربية، وله تحت الطبع: «هكذا عاشوا الحب» (عمل مشترك).

د. محمد الطيب عقاب
– من مواليد الجزائر ١٩٤٦م.
– حاصل على دكتوراه الحلقة الثالثة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، ١٩٨٥م.
– يعمل حاليًا أستاذًا محاضرًا بجامعة الجزائر، ونائبًا لرئيس المجلس العلمي لمعهد الآثار التابع للجامعة.
– له مقالات وبحوث منشورة في الصحف والمجلات والدوريات المتخصصة.
– من مؤلفاته:
«الأواني الفخّاريّة الإسلامية»، «لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر»، «حمدان خوجه: رائد الحركة الوطنية الجزائرية» (تحت الطبع).

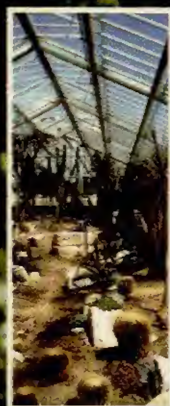
أحمد الحسين
– من مواليد البادية، سورية ١٩٥٦م
– حاصل على ماجستير في الأدب العربي، كلية الآداب، جامعة حلب، ١٩٨٣م.
– عمل مدرسًا للغة العربية (١٩٧٨–١٩٨٢م)، ويعمل حاليًا مديرًا للمركز الثقافي العربي بالحسكة.
– من مؤلفاته:
«أدب الكدية في العصر العباسي»، «أشعار الشحاذين»، «مقالات في أدب الحمقى والمتحامقين».

الحدائق النباتية الملكية في كيو











نباتات العالم وأشجاره في حديقة

استطلاع : **رئيس التحرير**
ترجمت بعض النصوص : **نجلاء حسن حامد**

حديقة لاتماثل غيرها من الحدائق، وإنّما هي في الواقع مركز للبحوث في علم النبات والزراعة، هذا هو الانطباع الذي يرتسم في ذهن كل من يزور حدائق كيو للنباتات التي تعدّ من المعالم البارزة للعاصمة البريطانية.

وقد راودتني فكرة زيارة هذه الحدائق في كلّ مرة أذهب فيها إلى لندن، وفي هذه المرة قررت زيارتها رغم كثرة المشاغل.

والحقيقة التي يطلع عليها الزائر لهذه الحدائق التي أنشئت عام ١٧٥٩م أكبر بكثير من الشهرة الواسعة التي تحظى بها، ولأهمية هذه الحقيقة يكفي أن تعرف أن دراسات تجرى من أجل تكاثر شجرة قد انقرضت من مواطنها الأصلية.

وتضمّ الحديقة التي تعدّ مجمع بحث، بل منهجا بحثيا قائما بذاته مكتبة ضخمة تزخر بكلّ مايتّصل بالنبات، إضافة إلى نماذج من نباتات مجففة فهرست ونظمت بشكل عملي للباحثين والدراسين، خاصة الذين يعملون في مجال الصيدلة والعقاقير مما جعل هذه الحدائق مقصد كثير من المراكز البحثية والجامعات والباحثين من مختلف دول العالم، الذين ينتظرون الفرصة في قوائم الانتظار الطويلة ليقوموا بزيارة هذه الحدائق وإجراء بحوثهم فيها، وهذه المكتبة لاتتاح بالطبع للزائر العادي.

اطلعت على جميع الأقسام في زيارة شاملة رغبت في إطلاع القراء على إيجاز عنها، وحرصت قدر الإمكان أن لايكون الإيجاز مقصرا في إيضاح الصورة، وأشكر الأخوة في إدارة التحرير الذين ساهموا في إخراج هذا الاستطلاع بالشكل المناسب، وأخصّ الأخت نجلاء التي قامت بترجمة النصوص التي أحلتها إليها، وأتمنّى أن يكون في هذا الاستطلاع نفع يثري المعرفة.


بيت النخيل مصمم ليضم الأشجار والشجيرات الاستوائية وبخاصة النخيل

أنواع لاحصر لها

تشتهر الحدائق النباتية الملكية في إنجلترا المعروفة باسم كيو Kew - نسبة إلى الحي الذي توجد فيه - بوجود نحو ستة وثلاثين ألف نوع مختلف من النباتات الحية، يُعرض بعضها في بيوت زجاجية، وبجانب الحدائق توجد مبان عديدة: قصور وأكواخ ومعارض وهياكل وأبنية ذات عمارة رائعة، وكلها تعود إلى وقت كانت الحدائق فيه تنتمي إلى الأسرة المالكة في إنجلترا.

وتعتبر حدائق كيو دائرة معارف للنباتات الحية والمحفوظة سواء لإنجلترا أو العالم فهي تضم:

- ٩٠٠٠٠ من نباتات الغابات المطيرة البالغ عددها ٢٥٠٠٠٠ نوع في العالم.
- مجموعة النباتات الحية في حدائق كيو هي الأكبر في العالم، وتضم ٦٩٦٠٠ نبات متكاثر تمثل ٣٦٠٠٠ نوع، بمعدل ١ إلى ١٠ من كل النباتات الوعائية.
- فيها أكبر مصرف لبذور النباتات البرية، يشتمل على حوالي ٤٠٠٠ نوع.
- يحتفظ مصرف ويكهيرست wake-hurst بأكثر من ٣٥٠٠ نوع نبات مختلف تحت ظروف تبريد جافة، وهي متاحة للدراسة من قبل العلماء أو لإعادة التكاثر في مواطنها الطبيعية.
- تضم الحدائق ١٣ نوعاً منقرضاً من النباتات البرية و١٠٠٠ نوع مهدد بالانقراض.
- يحوي مركز سير جوزيف بانكس للنباتات الاقتصادية أكثر من ٧٢٠٠٠ نبات.
- "مَعْشَبَة كيو" وهي مجموعة من نماذج الأعشاب المجففة والمرتبة ترتيباً نظامياً، وتضم أكثر من ٦ ملايين عينة من النباتات المجففة والفطر.
- توجد بها أكبر مكتبة نباتية في العالم تضم أكثر من سبعمائة وخمسين ألف مطبوعة مابين كتب ومجلات وبحوث متعلقة بالنبات.
- في مختبرات "جودريل" بالحديقة تجري دراسة التركيب الإحيائي والكيماوي للنبات وكذلك المورثات. وكانت ملكية الحدائق قد آلت إلى الدولة عام ١٨٤٠م، وأُضيف إليها عدد من البيوت الزجاجية، وفي عام ١٩٨٤م أصبحت إدارة كيو خاضعة لمجلس إدارة من الأمناء.

نشأة الحدائق

تغطي الحدائق النباتية الملكية "كيو" مساحة تزيد على ١٢١ هيكتاراً، وتقع على ضفاف نهر التيمس بين ريتشموند وكيو في جنوب غربي لندن، وتتكون أساساً من قطعتي أرض كانت تمتلكهما العائلة المالكة في الماضي، ذلك أن الملك جورج الثاني والملكة كارولين كانا يعيشان في أورموند لودج Ormonde Lodge في أراضي ريتشموند القريبة من النهر، وفي أوائل عام ١٧٣٠م، كان ابنهما "فريدريك" أمير ويلز قد استأجر أراضي كيو المجاورة، التي كانت تمتد من كيو الخضراء إلى الحدود الجنوبية الحالية للحدائق.

وبعدما توفي فريدريك عام ١٧٥١م، أنشأت أرملته "أوجستا" حديقة نباتية في مساحة ثلاثة هيكتارات ونصف الهيكتار بناء على نصيحة من رئيس البستانيين ويليام آيتون،



د. زيد بن عبدالمحسن الحسين رئيس التحرير لدى زيارته مختبر جودرل JODRELL LABORATORY الخاص بحدائق «كيو» في لندن حيث التقى المسؤولين واطلع على الجهود البحثية والإمكانات المعملية





زهور من فصيلة المغنوليا وزهور رودوديندرون

ومستشارها للشؤون النباتية اللورد بوت، والمهندس المعماري سير ويليام شمبرز الذي صمم عدداً من مباني الحديقة، تضم دفيئة البرتقال والهيكل المتعدد الطوابق.

ثم آلت ملكية أراضي ريتشموند إلى الملك جورج الثالث عام ١٧٦٠م عند وفاة جده - وهو ابن فريدريك وأوجستا -، وبعد أن توفيت أمه آلت إليه أراضي كيو أيضاً، ثم جُمعت الأراضي كلها، وأصبح السير جوزيف بانكس مديراً غير رسمي لها، وتحت إدارته اكتسبت الحدائق شهرة عالمية، فقد أرسل أعدادا من العلماء الشباب إلى جميع أطراف المعمورة لجمع نباتات للحديقة، وعندما أصبح السير ويليام هوكر أول مدير رسمي لها عام ١٨٤١م، ازدادت شهرة كيو بوصفهامعهداً علمياً يحظى بالاحترام. وقد شيد بيت النخيل وبيت الحرارة المعتدلة ليكونا موطناً للنباتات الغريبة التي جُلبت من أقطار بعيدة مثل الصين وأستراليا والبرازيل.

وفيما بعد أنشأ السير ويليام متاحف كيو وقسم النبات الاقتصادي والمَعْشَبة والمكتبة، وأنشأ ابنه وخليفته السير جوزيف هوكر مختبرات جودريل.

وفي عام ١٨٨٢م تبرعت الملكة فيكتوريا بمتحف ماريانا نورث وكوخ الملكة شارلوت للحديقة، ثم أهدى إليها الملك إدوارد السابع بيت كامبردج (يضم الآن معرض حدائق كيو) في أعقاب وفاة الدوق الأخير لكامبردج عام ١٩٠٤م، لتبلغ بذلك المساحة الحالية للحدائق ١٢١ هيكتاراً.

أحدث المباني

من بين المباني التي أُضيفت إلى حدائق كيو في القرن العشرين "مستنبت أميرة ويلز الزجاجي" الذي افتتح عام ١٩٨٧م، ومركز السير جوزيف بانكس للنباتات الاقتصادية الذي افتتح عام ١٩٩٠م.

وفي عام ١٩٦٢م استأجرت الحدائق النباتية الملكية موضع ويكهيرست Wakehurst في وسوسكس، الذي يتمتع بظروف بيئية أكثر برودة ورطوبة، مما يوفر مناخاً بيئياً يختلف عن ذلك الموجود في كيو، ومن ثم يتيح المجال لزراعة نباتات عديدة لا يمكن زراعتها في كيو، وتبلغ مساحة ويكهيرست ١٨٧ هيكتاراً.

ويوجد في كيو حوالي ٣٩ مبنى على درجة كبيرة من الأهمية بحيث تستحق التصنيف ضمن المباني المسجلة بواسطة دائرة البيئة، وبعض هذه المباني قديم ، في حين أضيف بعضها على فترات تاريخية متعاقبة، منها: بيت النخيل، المستنبت الزجاجي، بيت الزنبق المائي، حديقة الصخر، كوخ كمبردج وحديقة الدوق، القوس المتهدم، بيت منحدرات الجبال، مصرف بانكس، بوابة فيكتوريا، دفيئة البرتقال، البيت الأسترالي، كوخ الملكة شارلوت، قصر كيو وحديقة الملك، حديقة الغابات والصنوبريات، البحيرة والأراضي المجاورة، بيت الحرارة المعتدلة، الحديقة المائية وحديقة العشب، بوابة الحصان الأقرن، الهيكل المتعدد الطوابق، معرض ماريانا نورث، المَعْشَبَة.

بيت النخيل

يُعتبر بيت النخيل تحفة فنية رائعة تمثل الهندسة في العصر الفيكتوري، وقد أُنشئ فيما بين (١٨٤٤ - ١٨٤٨م)، وصُمم لكي يحتضن الأشجار والشجيرات الاستوائية وبخاصة النخيل، غير أن مرور ١٤٠ سنة بما تخللها من حرارة وتكاثف المياه أوصلت المبنى إلى حالة خطرة، مما أدى إلى إغلاقه أمام الجمهور عام ١٩٨٤م، ونُقلت منه النباتات إلى أماكن مؤقتة، وفيما بين (١٩٨٤ - ١٩٨٩م) هُدم المبنى بالكامل وأُعيد بناؤه باستخدام المواد الأصلية، والمواصفات نفسها بقدر الإمكان.

ويُعرض في بيت النخيل كثير من النباتات ذات الجدوى الاقتصادية مثل أشجار ثمرة الخبز - ثمارها كبيرة تشتمل على لب نشوي وتُستعمل كالخبز - والمطاط، وهي محاصيل واسعة النمو على عكس أشجار الكارسية - تشبه



سداة القنب الأفريقي (سارمانيا أفريكانا) التي تنتبه بوصول حشرة ما، وتنفتح نحو الخارج بعيداً من الميسم الأوسط.

وتضم الجدران الداخلية لبيت النخيل مجموعة من النباتات المتسلقة الاستوائية، تشمل بعض الأنواع الغريبة مثل القرعة الزجاجية، كما توجد بحيرة خاصة أمام البيت يميزها نافورة وتمثال لهرقل. وفيما وراء بيت النخيل تقع حدائق الورد التي تبلغ أوج تألقها في أوائل الصيف ومنتصفه.

حديقة الصخر

أُنشئت عام ١٨٨٢م من الحجر الجيري لكي تشبه وادي جبل Pyrenean، وقد تم التوسع في هذه الحديقة على مدى السنوات الستين الماضية، حتى تسمح باحتواء مناظر طبيعية أكثر إثارة للخيال، وكذلك زراعة نباتات ذات احتياجات خاصة.

والمكان الذي تشغله الحديقة، يزيد على نصف هيكتار، وهو مؤلف من عدد من طبقات الحجر الرملي البارزة فوق الأرض، جُلبت من سوسكس، وقد تم اختياره بسبب تأثيره المبرد في النباتات المحيطة.

ولقد أُوجدت أخاديد في الأرض داخل حديقة الصخر تحوي نسيجًا نباتيًا نصف متفحم وبيئات خاصة أخرى لكي تضم نباتات من نوعيات مختلفة مثل الخَلَنْج الإيرلندي، وتسمح المياه والرطوبة الموجودة في الحديقة بزراعة نباتات أخرى من الأنواع التي تحتاج إلى الرطوبة مثل ترولِيوس Trollius وغيرها من الأزهار الجميلة رغم دقة حجمها.

بيت منحدرات الجبال

افتُتح في عام ١٩٨١م، وله شكل هرمي وتبلغ مساحته ١٤ مترًا مكعبا، ويرتفع سبعة أمتار إلى القمة وثلاثة أمتار إلى الإفريز، تغطيه ألواح زجاجية متسقة، تدعمها قضبان من الألومنيوم الرائع المطلي بطبقة خزفية، ومعظم المساحة من الداخل عبارة عن منزل طبيعي خلاب يقدم عرضًا دائمًا لنباتات الجبال الاستوائية ونباتات النصف الجنوبي للكرة الأرضية، مع أنواع دقيقة من نباتات البحر المتوسط ونباتات أخرى طُلبت خصيصاً من جزر باليريك Balearic.



الفراشة الطاووسية



الزنبق المائي أخضع لدراسات طويلة في بحيرات الأمازون الموبوءة بالبعوض

النخيل - وهي من أقدم نباتات العالم وأندرها، وكثير منها على شفير الانقراض في مواطنها الطبيعية.

وتعرض سلسلة من الخزانات - في أسفل بيت النخيل - نباتات من مناطق مختلفة مثل مستنقعات المَنْغروف وبحيرات صخور المدّ والجزر الأوربية.

و تقدم الخزانات - كذلك - عرضًا بحريًا يضم طحالب حية ومرجانًا وأسماكًا غريبة ملونة، وتمثل طحالب بيت النخيل نسبة ٩٩٪ من الطحالب المعروفة في العالم، وهي نباتات بسيطة من المواطن الرطبة أو المائية، وتضم كل أنواع البذور البحرية. وترجع أهمية الطحالب عامة إلى أنها تقدم ٥٠٪ من الأكسجين الموجود على الأرض، كما أنها تمتص كمية معقولة من ثاني أكسيد الكربون.

ROYAL BOTANIC GARDENS KEW

الحدائق النباتية الملكية في كيو

وتحتفظ الحديقة بألوان زاهية طوال السنة عن طريق اختيار أنواع لها أزهار مختلفة من مجموعة النباتات الكبيرة والمتنوعة الموجودة في الحديقة، والتي يُؤتى بها من جميع أنحاء العالم، كما تُؤمّن للنباتات المناخ الذي يناسبها بدقة متناهية كي يماثل المناخ في بيئاتها الأصلية من حيث درجة حرارة التربة والضوء وغيرها.

وفي الجزء الخاص بالقطب الجنوبي تنمو نباتات زهرة الربيع - كعب الثلج - ونباتات الخشخاش ذي اللون الأحمر. وتضم منطقة الجبال الاستوائية أنواعًا عملاقة من الصنوبريات مثل الاسبيلتياس Espeletias وتدل أحجامها الكبيرة على مدى توافر الظروف المناخية التي تنمو فيها هذه النباتات عادة.

دفيئة البرتقال

بيت زجاجي يناسب زراعة البرتقال في الأقاليم الباردة كانجلترا. وهو أول المباني التي صممها السير ويليام شمبرز للأميرة أوجستا - مؤسسة الحدائق النباتية - في كيو ويعود إلى عام ١٧٦١م، ويُعَدُّ أكبر مبنى مشيد على نمط كلاسيكي في الحدائق. تمتد واجهته ٢٨ متراً ويبلغ اتساعها ١٠ أمتار، وكانت قد بُنيت على خط واحد مع الواجهة الأساسية للمنزل الأبيض الخاص بالأميرة أوجستا في كيو الذي هُدم عام ١٨٠٢م، وقد عُلم موقعه بواسطة ساعة شمسية تقع على مرج أمام قصر كيو.

ومع أن دفيئة البرتقال صُممت خصيصاً لزراعة أشجار البرتقال، إلا أنه تبين فيما بعد أنها غير مناسبة لنمو النباتات لأن مستويات الضوء فيها كانت منخفضة جداً.

ورغم أن الأبواب الزجاجية التي أضيفت إلى كل من طرفيها عام ١٨٤٢م قد أحدثت تحسنًا ضئيلاً، إلا أن المكان استخدم فيما بعد كمتحف للأثاث الذي جُلب من المعرض الكبير عام ١٨٦٢م، ثم تحول بعد ذلك إلى متجر ومطعم.

قصر كيو وحديقة الملك

بُني هذا المنزل من أربعة طوابق من الطوب الأحمر في شكل دائري عام ١٦٣١م على يد صامويل فورتري -وهو تاجر من أصل هولندي- الذي يمكن رؤية الحروف الأولى من اسمه واسم زوجته "كاترين" واضحة فوق المدخل، وهو مشيد وفق نموذج كان يُعرف باسم "التشريك الفلمنكي"، وتحمل واجهته الرئيسة طابع البناء الهولندي.

وقد استخدمت العائلة المالكة المنزل أولاً عام ١٦٢٨م، ثم اشترى الملك جورج الثالث القصر عام ١٧٨١م وجعله ملحقا للمنزل الأبيض نظرًا لتزايد أفراد عائلته، وفي هذا المنزل توفيت زوجته الملكة شارلوت عام ١٨١٨م، وتشرف على إدارته الآن دائرة البيئة.

وكان قصر كيو يُعرف باسم "المنزل الهولندي"، وهو أصغر القصور الملكية على الإطلاق، وخلفه توجد "حديقة الملكة"، وهي مُصممة على غرار حدائق القرن السابع عشر، وتضم النباتات التي كانت تنمو في ذلك الوقت، إضافة إلى كثير من الأعشاب الملونة الطيبة الرائحة والنباتات الطبية والعطرية، وكانت لها بطاقات تعرض وصفات علاجية بالأعشاب أو جملاً شيقة مقتبسة من كُتب الأعشاب الأولى، وبالقرب من الأعشاب توجد الزنابق التي أصبحت شهيرة في قصيدة نويز Noyes المعروفة باسم "كيو في زمن الزنبق".

بيت الحرارة المعتدلة

يحتوي بيت الحرارة المعتدلة على مجموعة غنية من نباتات المنطقة شبه الاستوائية. ويُعَدُّ الأكبر حجماً بالنسبة للبيوت المحمية في الحديقة، وضع تصميمه ويسموس بورتون، وبُني على مراحل فيما بين ١٨٦٠ - ١٨٩٩م، ثم أُعيد تجديد بنائه ومناظره الطبيعية فيما بين (١٩٧٨ - ١٩٨٢م).

ونباتات البيت مزروعة في ترتيب جغرافي: الجناح الجنوبي ويشمل أنواعًا نباتية من آسيا



قصر كيو ذو الطابع المعماري الهولندي بناه صامويل فورتري عام ١٦٣١م واستخدمته العائلة المالكة البريطانية عام ١٧٢٨م. ويخضع الآن لإشراف قسم البيئة بالحدائق

معتدلة الحرارة، ويضم - كذلك - مجموعة من خلنج أفريقيا الجنوبية، إضافة إلى نباتات أفريقيا ونباتات من البحر المتوسط، وفي المنطقة المركزية توجد أشجار طويلة عديدة ونخيل من جميع أنحاء العالم.

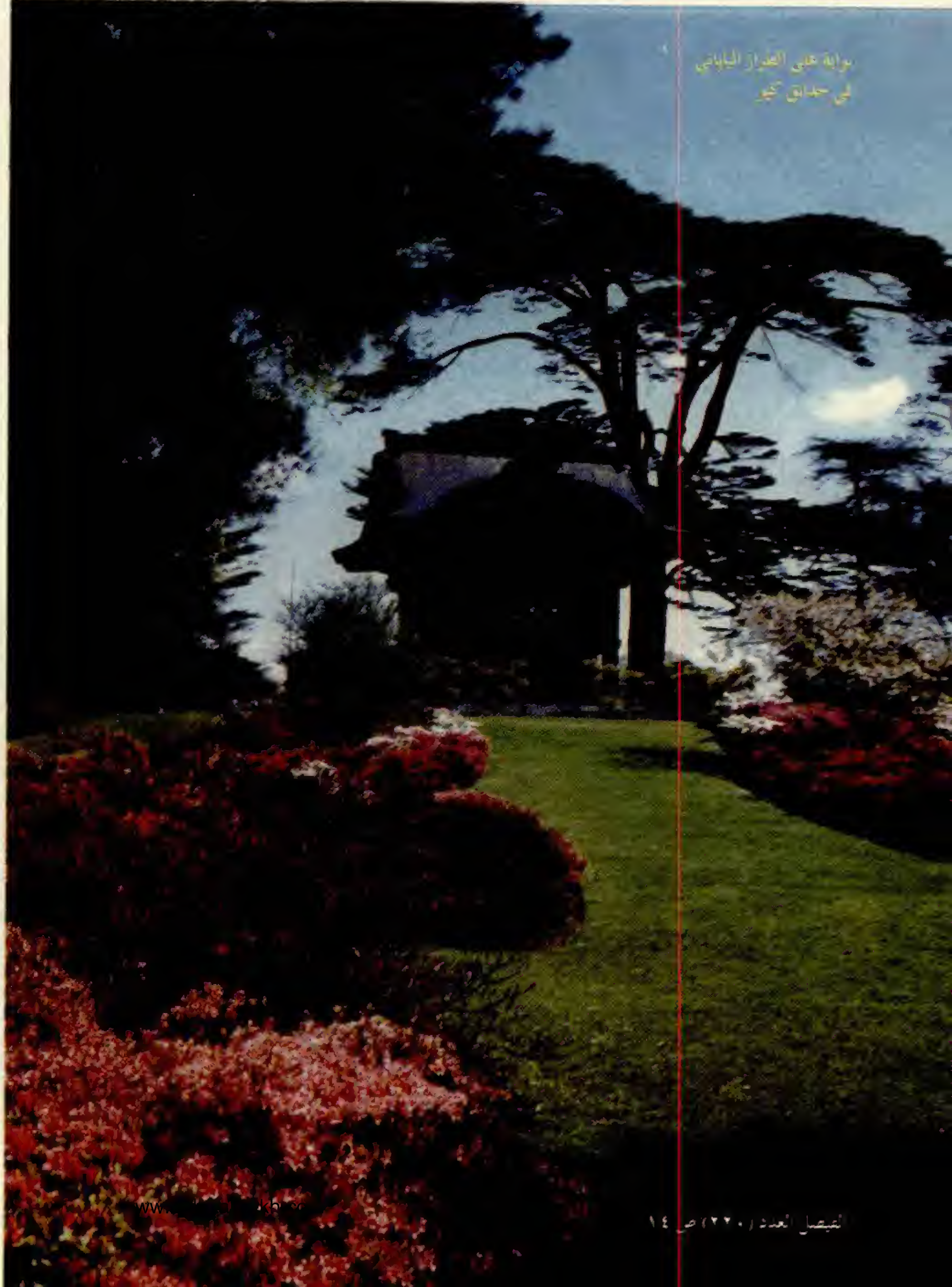
وبالبيت قطاعان لهما أهمية خاصة، يضم أحدهما نباتات الجزر من الأنواع التي يهدد نموها زحف النباتات سريعة النمو، بينما يضم القطاع الثاني النباتات الاعتصارية التي توجد في المناطق القارية مثل "اليوبوبا"، التي عرفت في السنوات القليلة الماضية بسبب استخدامها في إنتاج الشامبو ومستحضرات التجميل.

الهيكل المتعدد الطوابق

بُني الهيكل فيما بين ١٧٦١ - ١٧٦٢م، ووضع تصميمه السير ويليام شمبرز، وهو من أحسن مباني كيو المعروفة.

ويمكن رؤية مشهد رائع للهيكل من خلال شارع تصطف على جانبيه أشجار عديدة مثل الكستناء الحلوة والدَّردار القوقازي.

ويرتفع هذا الهيكل ثُمانيُّ الأضلاع ذو الطوابق التسعة إلى أكثر من خمسين متراً، مما يعبر عن اهتمام السير شمبرز بالعمارة الصينية في أعقاب زيارته المبكرة للصين.



بوابة على الطراز الياباني في حدائق كيو

المستنبت الزجاجي

أُفتُتح المستنبت الزجاجي لأميرة ويلز عام ١٩٨٧م، ويشغل مساحة تبلغ ٤٤٩٠ متراً مربعاً، ويضم نباتات من المناطق الاستوائية المطيرة والقارية في ثماني مناطق مناخية يتم التحكم فيها عن طريق الحاسب الآلي.

ويرمي التصميم المبتكر والملامح الهندسية للمستنبت إلى زيادة الطاقة المتاحة إلى الحد الأقصى. وتتيح الأعمدة الرأسية للمستنبت التي تواجه الجنوب فرصة ملائمة لضوء الشتاء للتسلل من خلالها، بينما يُعكس ضوء الصيف الأقوى جزئياً عبر الأسطح المنحدرة ذات الزوايا الشرقية والغربية.

ويمتاز المستنبت من الخارج بوجود شكل نحتي مثير، والإطار الخارجي له مصنوع من الفولاذ لتحقيق المتانة وتسهيل الصيانة، ويستفيد المستنبت من آخر ماتوصلت إليه تقنية التحكم البيئي في البيوت المحمية.

ويُعرض في المستنبت زنبق الماء الأمازوني العملاق، والزنابق الياقوتية المائية، بالإضافة إلى عدد من النباتات المهمة والمفيدة في المناطق الاستوائية المطيرة، مثل الموز وقصب السكر والكاسافا والأناناس.

وعلى العكس يضم منزل المنطقة القارية بالمستنبت نباتات تعيش في ظل الأجواء الصحراوية مثل الصبّار وشجر المرّ ونبات السيزال - تتخذ من أليافه الحبال - والسرخس والسافانا والنباتات الآكلة للحشرات.

كوخ كمبردج وحديقة الدوق

تجذب حديقة الدوق الانتباه، وتؤلف مع كوخ كمبردج مايشبه ستارة المسرح الخلفية، التي تقدم مكاناً وزماناً مناسبين لمشاهدة معارض كيو ومتاحفها.

وكان سكان كوخ كمبردج قد أوصوا رسمياً بالمنزل والأراضي المجاورة للحدائق عام ١٩٠٤م حيث استخدم كمتحف للأثاث

الخشبي، ولكنه الآن عبارة عن معرض يحوي لوحات للزهور بعضها مخصص للبيع.

والغريب أن حديقة الدوق مزروعة بشكل يضمن وجود شيء ما يمكن مشاهدته على مدار العام، ففي مكان منعزل من هذه المنطقة المسيجة توجد نخبة من النباتات ذات الأزهار الزرقاء والأوراق الرمادية، كذلك يوجد عدد هائل من النباتات العشبية الملونة والأزهار الجميلة مثل خشخاش الريش وياسمين البر، وعدد ضخم من عائلات النعناع والزنبق. وفي الجانب الجنوبي للحديقة من الخارج، توجد منطقة تجريبية لاختيار النباتات ذات القدرة الشديدة على الاحتمال، وهي تضم كثيراً من النباتات الغريبة التي جُلبت من أماكن بعيدة مثل جنوب أفريقيا والمكسيك ونيوزيلندا وغيرها.

وكان الملك جورج الثالث قد قام بشراء كوخ كمبردج من اللورد بوت وهو المستشار الزراعي للأميرة أوجستا، وقدمه إلى ابنه السابع "دوق كمبردج"، وفي عام ١٨٤٠م تم توسيعه وتجديده لكي يكون مقر إقامته.

مصرف بانكس

سُمي على اسم السير جوزيف بانكس (١٧٣٤ ـ ١٨٢٠م) وكان المدير غير الرسمي لحدائق كيو قبل أن تصبح حديقة عامة.

بُني على مساحة ثلاثة هيكتارات قريباً من النهر، وقد تم افتتاحه عام ١٩٩٠م، وكان مُصمماً ليدمج في الحدائق، ويعد واحداً من أكبر مجمعات المباني المغطاة بالتربة الصالحة للزراعة التي بُنيت في هذا القرن.

ويحوي المصرف إحدى مجموعات كيو التي يزيد عددها على ٧٠،٠٠٠ عينة من النباتات المهمة الاقتصادية ومنتجاتها، بالإضافة إلى قاعة عرض كبيرة تضم معروضات تتعلق بمجالات العمل العديدة في كيو.

معرض ماريانا نورث

يضم معرض ماريانا نورث أعمالاً فنية ولوحات لكثير من الفنانين الأستراليين وغيرهم، وكانت الآنسة نورث رحّالة شهيرة ورسّامة في العصر الفيكتوري، زارت معظم أنحاء العالم كي تقتبس مناظر خضراء طبيعية، ثم أهدت المعرض للحدائق عام ١٨٨٢م، وكان يضم

ROYAL BOTANIC GARDENS KEW

الحدائق النباتية الملكية في كيو

٨٥٢ عملاً فنياً من لوحاتها الزيتية. وإلى الجنوب من المعرض يوجد قوس متهدم يمثل أطلالاً زائفة، وقد صممه السير ويليام شمبرز عام ١٧٥٩م.

البيت الأسترالي

يقع البيت الأسترالي -الذي تم بناؤه من الألمنيوم عام ١٩٥٢م- بجوار بيت الحرارة المعتدلة، ويحتوي على عينات وفيرة من نباتات أستراليا، وتشمل هذه النباتات الأشجار الصمغية مثل الكاليستيمون Callistemon والزانثوريا Xanthorrhoea. ومن بين النباتات الكثيرة الموجودة في البيت، نوع له أهمية خاصة وهو «كستناء خليج موريتون» Moreton Bay Chestnut، وكان المختصون في مختبرات جودريل في الحديقة قد توصلوا إلى أن هذا النبات له دور فعّال في علاج الأمراض الفيروسية الخطيرة مثل الإيدز.

حديقة الغابة والصنوبريات

صممت هذه الحديقة كي تمثل ماتتمتع به مناطق منحدرات الجبال من تنوع بيئي يترتب عليه تنوع نباتها.

وتتكون الحديقة من ثلاث طبقات: الأشجار ذات المظلة التي تطرح أوراقها سنوياً كالبلوط والبتولا، وتساندها الأشجار المتسلقة التي تقدم الظل للطبقة الموجودة أسفلها، في حين أن أشجار القَيْقَب والرودودندرون والشجيرات التي تطرح أوراقها سنوياً، تمثل طبقة أخرى تشكل مظلة للنباتات التي تغطي الأرض مثل الياسمين البري وخشخاش الهيمالايا الأزرق والإطرليون وهي الزهرة الثلاثية في أمريكا الشمالية.

وتوجد مجموعة من الصنوبريات في مساحة شاسعة من الأرض تمتد بين البحيرة وأراضي الكوخ، وهذه الأشجار تسود في الغابات الشمالية لأوربا وأمريكا وآسيا، التي تُعَد



د. زيد الحسين ومعه جون بلير MR. JOHN BLAIR أحد زوار حدائق «كيو» المهتمين

من أكثر مناطق العالم المنتجة للأخشاب أهمية.

وكانت الصنوبريات قد زُرعت في الحديقة لبيان الأحوال البيئية الصعبة التي تعيش فيها، فالأنواع الشمالية ذات الأوراق الصغيرة تقاوم برد الشتاء والجفاف، في حين أن الأشجار العملاقة في كاليفورنيا لها لحاء إسفنجي يمكنها من النجاة من حرائق الغابات. أما البحيرة ذاتها، وهي اصطناعية، فتوجد على شاطئها أشجار وشجيرات تنمو في البيئة الرطبة، ومن أغربها أشجار السرو ولها جذور طويلة تسمح للهواء بالوصول إلى الجذور المطمورة تحت الأرض، حتى لو كانت الأشجار تنمو في الطين الكثيف كما في منطقتها الأصلية في مستنقعات لويزيانا.

الحديقة المائية وحديقة العشب

مع تدمير مواطن النباتات المخضلة في العالم، أصبح تزايد نباتات المستنقعات وحواف المياه نادراً.

وكانت الحديقة المائية قد أُنشئت عام ١٩٠٩م، بحيث تهيئ درجات رطوبة متنوعة للنباتات، إذ تنمو في البركة الرئيسة نخبة مختارة من الزنبق المائي المزهر في الصيف، بينما تنتشر في أركانها الأربعة نباتات الدِّيس والتيفار. كذلك تضم الحديقة عدداً من نباتات المستنقعات البريطانية مثل اللَّخْنين (نبات ذو زهر قرنفلي أو أبيض) الذي يندر وجوده الآن.

وعلى مقربة من الحديقة المائية، توجد حديقة العشب التي تبلغ أوج ازدهارها في الخريف، وتتضمن حبوب المناطق شبه الاستوائية والمعتدلة مثل القمح البدائي، والقمح الحالي، والذرة والدُّخْن. وتوجد بها أيضاً نباتات يندر وجودها الآن في الجزر البريطانية مثل عشبة الناموس.

مهرجان الزهور

في كل شهر في كيو مهرجان ملون للزهور. وفي كل شهر، بل في كل يوم تتفتح أزهار جديدة ذات ألوان جميلة، يصاحبها أريج محبب للنفس، ينشر رائحته في الهواء، فيملأ النفوس بالبهجة والأمل.



التعلم من الكوارث ـ العلماء يدرسون آثار الكارثة البيئية التي تعرضت لها احدى أشجار حدائق كيو وذلك باستخدام نظام قياس الجذور لوضع خطة مستقبلية لزراعة الأشجار



يتم تصنيف النباتات وتدوين أسمائها وفق أحدث الطرق

ففي يناير/ كانون الثاني تنمو زهور شجرة الكاميليا الصغيرة (أشجار ذات زهر أبيض أو أحمر) والخَرْبَق (عشب زهره جميل).

وفي فبراير/شباط ينمو الزعفران.

وفي مارس/آذار تظهر على الأغصان زهور الكرز وزهور النرجس البري الصفراء الجميلة والفُرْسيتية بزهورها الجرسية.

وفي أبريل / نيسان يظهر التيوليب وأزهار جميلة الأوراق والشكل من فصيلة المغنولية.

وفي مايو/آيار تموج رائحة الوَهْلَنبرجيه

الفتّانة بزهورها الزرقاء التي تُشبه الأجراس بالإضافة إلى الزنبق والنباتات الصحراوية.

ويونيو/ حزيران هو شهر تفتح الورود وأشجار الكستناء.

أما يوليو/تموز وأغسطس/ آب فخاصان بالنباتات العطرية والزنبق المائي الضخم، وسبتمبر/ أيلول بداية ظهور ألوان زهور الخريف.

وفي أكتوبر/ تشرين أول ينمو نبات عشبي جميل الزهر وبَخُور مريم.

ونوفمبر/ تشرين ثاني هو نهاية فصل الخريف، ويظهر فيه ثمر العُلّيق.

وفي ديسمبر/ كانون الأول تبلغ أشجار الفراولة أوج نموها.

أغرب نباتات كيو: الزنبق والنخيل العملاقان

الزنبق هو «زنبق الماء الضخم»، وينمو في المناطق الاستوائية من أمريكا الجنوبية، وقد اكتشف أولاً في جويانا عام ١٨٣٧م ثم عُرف باسم الملكة فيكتوريا: Victoria amazonica، وتدعم أوراقه الضخمة التي يزيد قطرها على مترين من الأسفل شبكة من "العروق" المنتفخة، ويمكن للورقة الكاملة النمو أن تتحمل ثقلاً قدره ٤٥ كيلو جراماً إذا ماوزع بشكل متوازن.

وينمو زنبق الماء بسرعة إذا وُضعت فسيلته في الأرض في أبريل، ثم تظهر الزهور في منتصف الصيف: كبيرة وطيبة الرائحة. وعندما تبلغ الزهور كامل نموها تتغير ألوانها من الأبيض إلى القرمزي إلى الأحمر الأرجواني، ولكنها لاتعيش أكثر من ٤٨ ساعة فقط بعد اكتمال نموها.

أما "النخيل" فهو "نخيل نبيذ شيلي"، ويعد واحداً من أكثر النباتات المثيرة للإعجاب في كيو، وكانت هذه العينة قد زُرعت عام ١٨٤٦م في بذور جمعت من شيلي. يبلغ طول النخلة الواحدة من هذا النوع في كيو ١٧ متراً الآن، وتهدد باختراق سقف بيت الحرارة المعتدلة نظراً لطولها.

وكان النخيل قد جُلب من منحدرات الأنديز في شيلي حيث كان مُهدداً بالزوال بسبب الإقبال على تناول النُّسْغ الحلو الموجود في أوعيته.

وعلى الرغم من أن نخيل النبيذ نادر في البرية إلا أنه ينمو بشكل واسع في مناطق شبه استوائية عديدة كأشجار زينة.

مستنقعات المنغروف

مستنقعات المنغروف هي المرادف الاستوائي للمستنقعات المالحة المعتدلة الحرارة، وتنمو في مصبات الأنهار الطينية. والمنغروف والنباتات الأخرى التي تنمو هنا، تتكيف لكي تعيش في طين أقل هواء، مغمورة جزئياً تحت الماء المالح في ذروة المد.

ولكثير من المنغروف جذور كالدعائم تتيح مَرسىً إضافيًا في الطين الناعم وجذورًا للتنفس تمتد أطرافها فوق سطح الطين، حيث تمتص الهواء وتمرر الأكسجين إلى الجذور الموجودة تحت الأرض. وبذور المنغروف التي تشبه الحربة، تنمو على الشجر وتسقط في الطين وتنمو سريعاً إلى جذور جانبية لايمكن أن تُجرف.

وتقدم مستنقعات المنغروف الغذاء لكل من الحيوانات قاطنة البحار والأنواع المقيمة، كما أنها منطقة حضانة مهمة للأسماك والقشريات (الكابوريا والجمبري) والديدان البحرية. كذلك يمثل المنغروف حواجز وقائية لخطوط الساحل الاستوائية، تحول دون حدوث الفيضان أو تآكلها.

كوارث تعرضت لها الحدائق

تعرضت حدائق كيو للعديد من الحوادث، منها: العاصفة الرعدية المصحوبة بحبات كبيرة من البرد التي هبت على الحدائق عام ١٨٦٧م وأدت إلى إتلاف كمية كبيرة من الأشجار وكسر ٣٨٠٠٠ لوح زجاجي. كذلك دمرت القذائف والقنابل الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية كثيراً من نباتات الحدائق وأشجارها. كما اجتاحها في عام ١٩٨٧م إعصار مدمر أدى إلى اقتلاع مئات الأشجار المعمرة، وقد شوهد كبير



الزعفران يتميز بمذاقه المر الغريب ولونه الأحمر المذهب

مسؤولي الحدائق ينتحب حزنًا عليها.

النشاط العلمي

أصبحت إدارة كيو خاضعة لمجلس إدارة من الأمناء في عام ١٩٨٤م ـ كما تقدم ـ، ويعمل بالحدائق هيئة عاملين مكونة من ٥٧٠ شخصًا، وتأتي نسبة ٨٠٪ من تمويل الحدائق من الحكومة على شكل منحة، أما نسبة الـ ٢٠٪ الباقية فتأتي من رسوم ارتياد الحدائق، خاصة أن كيو تضم متاجر ومكتبات ومعارض ومطاعم.

ويستخدم علماء النبات من أنحاء العالم كافة مجموعة كيو من أجل إجراء دراسات على مجموعات خاصة من النباتات أو البحث في نباتات مناطق معينة من العالم، وتُنشر نتائج دراستهم في قوائم تتناول مصدر النبات وكتيبات صغيرة تتولى التعريف بالنبات وتصنيفه، وتحديد خواصه واستخداماته، والتطورات التي تطرأ عليه. وتشمل برامج الأبحاث في كيو التعاون مع علماء من مختلف أنحاء العالم مثل مشروع: Projeto Nor-deste الذي يعمل فيه علماء من بريطانيا والبرازيل بهدف تنمية مصادر النبات الطبيعي في شمال شرق البرازيل، وتوجد أيضاً مشروعات مماثلة للتعاون بين علماء كيو وعلماء من جهات عديدة في العالم.

وقد ذكرت لي مديرة برنامج البحوث أن هناك قوائم انتظار طويلة تضم الدول الراغبة في إجراء الأبحاث الخاصة بها في حدائق كيو ومختبراتها، وحين يأتي دورها للدراسة في الحدائق، يتم إبلاغ ممثليها بذلك، لكي ترسل من تريد من علمائها لإجراء أبحاثهم. ويتم التعاون بين الهيئة العلمية لكيو والعلماء الأخرين -كذلك- عن طريق النشر والمؤتمرات العلمية.

ويدرس العلماء في مختبرات جودريل الخصائص الداخلية للنبات مثل التركيب، والتركيب الأحيائي والكيماوي والجينات -المورثات-، ويساعد هذا في معرفة الأهمية الاقتصادية الممكنة للنبات وتحديد المجالات التي يمكن الإفادة منها، حيث تستخدم بعض النباتات في استخراج الأدوية والعقاقير الطبية، وإنتاج الوقود. وكانت المختبرات قد توصلت مؤخراً إلى أهمية نبات أسترالي في علاج الأمراض الفيروسية الخطيرة كالإيدز. كما ترمي الأبحاث التي تجرى في كيو إلى حماية كثير من نباتات العالم من الإنقراض، وذلك بإعادة النباتات النادرة لتزرع وتتكاثر في بيئتها الطبيعية. ويخطط القائمون على إدارة الحدائق لتوسيع نشاطهم بحيث يشمل الحفاظ على النباتات في مواطنها الأصلية بعمل محميات وحدائق نباتية في شتى أنحاء العالم.

ويعد مستودع تبريد البذور -بنك البذور- علامة مميزة في تاريخ حدائق كيو، إذ تحفظ فيه جينات النباتات البرية حفاظًا عليها من التلف وفقدان خصائصها الحيوية. وتوفر حدائق كيو أشجاراً ونباتات تصلح للزراعة في صحارى أفريقيا بهدف مساعدتها في مواجهة الجفاف والتصحر، حيث أجرى العلماء بالفعل تجارب على بعض المحاصيل الزراعية في تلك الصحارى لمعرفة النباتات التي تستطيع مقاومة الآفات والعيش في تلك البيئة الجافة.



جذور مكشوفة في حديقة الصخر قبل أن تجتاحها عاصفة أكتوبر ١٩٨٧م

ويكتظ حي كيو بالباحثين والدارسين الذين يجرون أبحاثهم في الحدائق التي تنظم برامج تعليمية ودورات تدريبية للمتخصصين. ومن بين تلك البرامج منح دبلوم مدته ثلاث سنوات، وهناك أيضاً دورات دراسية تتعلق بأشياء موجودة في حدائق كيو مثل تصميم المناظر الطبيعية وتصوير النبات.

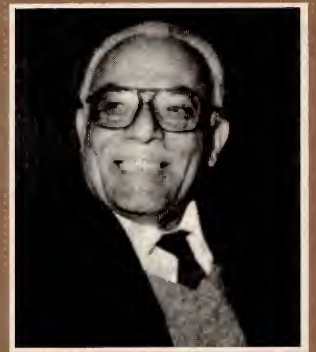
وتنظم حدائق كيو أيضاً برامج تعليمية للمدارس تنقسم إلى أيام تدريب للمدرسين وأيام تعليم للأطفال.

ويزور الحدائق أعداد هائلة من الطلاب ومدرسيهم، وقد شهدت مناقشة عميقة بين مدرس الأحياء ومدرس الفيزياء في حضور تلاميذهم، تطرقت إلى أنواع النباتات وبيئاتها، وتأثير الضوء في نمو النبات، ومحاور أخرى عديدة، شارك فيها الطلاب بأسئلة تنم عن الفهم والرغبة الأكيدة في المعرفة، مما ذكرني بعبارة كان يرددها كثيراً أستاذي آرثر كومب -أحد أشهر علماء التربية في أمريكا والذي يعد من المؤسسين لعلم النفس الإنساني-، وهذه العبارة تقول: «أوجد الحاجة كي يتعلم الناس Creat Needs so people Could Learn». والحقيقة أنني حين سمعت ذلك الحوار الذي دار بين الأستاذين وطلابهما أدركت عمق عبارة المربي كومب، ذلك لأن الحاجة إلى المعرفة والتعلم أُوجدت في نفوس الطلاب كي تؤتي ثمارها فيما بعد.

ويهتم المسؤولون في كيو بتنظيم محاضرات عن الموضوعات ذات الصلة بالمناهج التعليمية، بجانب تدريب المدرسين، وإتاحة تدريب متقدم لطلبة الدكتوراه، إضافة إلى الرد على آلاف الاستفسارات الكتابية والهاتفية التي تصلهم.

هذا التفاعل الحي بين الحدائق وبيئتها، بل بيئات العالم المختلفة، يجعلها جديرة بأن تكون أكبر حدائق العالم وأشهرها.

بنوة الفكر اليهودي للإسلام



د. حسن ظاظا

بعكس مايحاول اليهود غرسه في أعماق الضمير الإنساني - ليس عند اليهود فحسب بل لدى الأمم الأخرى (الجوييم) - من أن ديانتهم (موسوية) قحّة، وأنها منذ أن نزلت بها التوراة، لم تتغير قيد شعرة، فإن الباحث فيها يجد نفسه أمام ظاهرة رجراجة موّاجة تتغير كل يوم، سواء في نصوصها المكتوبة، أم في منقولاتها المرويّة، أم في أحكامها وشرائعها، أم في التغييرات والتحويرات المستمرة، التي تمليها على أهل الحلّ والعقد في أُمّتهم المطالب الزمنية، والظروف المتغيرة - وكثير منها كان قاسيا -، مما دفع مفكريهم وعلمائهم إلى الوقوف في المعمعة - جيلا بعد جيل - متوترين خائفين، يفترضون أن أمم العالم كلها تعاديهم وتتآمر عليهم وتحسدهم - وهم الضعفاء القليلو العدد - على عبقريتهم التي يهزمون بها عوامل الفناء.

وقد يكون هذا صحيحا، ولكن غير الصحيح هو تقديمهم دينهم على أنه طود شامخ راسخ، لاتنال منه العواصف، ولاتهزّه الأعاصير، ولو أننا وقفنا وقفة مستريحة، وسألنا بموضوعية وأناة: ماذا يريد اليهود؟ لوجدنا أنفسنا أمام سيل من المتناقضات، فهم يحرصون في داخل المجتمعات البشرية التي يعيشون فيها - ابتداءً من مصر الفرعونية وحتى الآن - على أن يكونوا غير ملحوظين ولا ظاهرين للعيان من جهة، وعلى أن يكونوا مختلفين في زيهم وشمائلهم ولغتهم، فضلاً عن تقاليدهم وأسلوب تعاملهم مع الناس بشكل ملفت للأنظار من جهة أخرى. فهم في آن واحد يسعون جاهدين إلى المساواة من ناحية، وإلى الامتياز من الناحية الأخرى. فإذا تحققت لهم المساواة بدؤوا باستغلالها لتحقيق الامتياز! وهم لايكفون عن التغنّي (بالصدق) مع الله! وقارئ التلمود يجدهم - في كل صفحة من صفحاته - يتبرعون بالكذب على الله، مؤكدين أن التوراة ليست إلاّ الصدق الإلهي على مستوى العامّة، وأن هذا الصدق الإلهي موجود بكامل تألّقه في التلمود من أجل الخاصة! وهنا تتحطم مزاعم اليهود في المساواة، بادعائهم أن الحقيقة الربّانية نفسها تفرّق بين العامة والخاصة، إلى أن يأتي أحد مفكريهم (كارل ماركس) فيلغي الخاصة من قواميس الأمم الأخرى ويوقعها في الفقر والبطالة والحروب الطاحنة وإرهاب الطغاة! وكالعادة، يكون اليهود هم الضحايا الأوَل لهذه الماركسية، التي حكمت نصف العالم قرابة قرن من الزمان، ثم انهارت فجأة في أقل من عام واحد. ومع ذلك كان دائما في اليهود عقلاء وحكماء وعلماء يدركون بوضوح أن ظاهرة التطور في دينهم حقيقة ملموسة، يجب دائما أن تدخل في الحساب. وقد يتساءل الإنسان: لماذا لم يتبع اليهود الأديان السماوية الأخرى، وهم يعلمون أنها في جوهرها مصدِّقة لشريعة موسى، وأن الذي أنزل التوراة على موسى، هو الذي كان يعلم بحكمته اللانهائية أنها ستحتاج إلى تطوير في بعض التفاصيل دعت إليه ظروف العباد بعد موسى عليه السلام. فأنزل الكتاب على يحيى وآمنت به الصابئة، ثم أنزل الإنجيل على عيسى فانتشرت النصرانية، ثم أنزل القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام فظهر الإسلام؟ لماذا لم يقبل اليهود هذا التدرّج الحكيم المحكم، ورفضوا قبول هذه الشرائع، وراحوا يكتبون مابدا لهم ضرورة للتطوير، ونسبوه - دون سند - إلى الله؟ وسبب ذلك واضح، وهو الحرص على (المساواة) بالأمم الأخرى، مع المحافظة على (الاختلاف) وأن يكون هذا الاختلاف قائما على الاستعلاء والتميز والتفوق. ولما كانت أية شريعة إنسانية عامة تقوم على المساواة فقط، مع ضوابط خفيفة لحدود الامتياز، فقد وجد زعماء الفكر اليهودي منذ القدم أن هذا النهج يمثل خطرا على بقاء اليهود مختلفين عن غيرهم، إذ من المؤكد أن يندمجوا في بني آدم جميعا، فلا تكون هناك (أمة يهودية). ولذلك رسموا لأتباعهم من الحدود أو الأسوار مايمنعهم من أن (يذوبوا) في شعوب العالم، لاسيما بعد أن علّمتهم تجارب الزمن أن اليهودي سريع الإصابة بضعف الإيمان، وإهمال التدين، فحوّلوا الشريعة الموسوية إلى شريعة سياسية تقوم على التماسك القومي والتعصب العرقي، وبالتالي رفْض الاندماج، أكثر مما تقوم على الإيمان بموسى وكتابه.

ومع ذلك توالى دعاة (الاندماج) في المجتمع اليهودي، فلم يستمع إليهم إلاّ عدد أقل من القليل. فقد ظهر - مثلاً - باروخ سبينوزا في هولندا، في القرن السابع عشر، أي في قمة عصر النهضة الأوروبية، ودعا اليهود إلى الاندماج في المجتمع الأوروبي، ونادى بشعار تَكَرَّرَ عند جميع دعاة الاندماج في زمانه وبعده، وهو: كن يهوديا في بيتك، ومواطنا عاديا في الشارع. كما أفتى بأن اليهودي غير مطالب بالحرب من أجل احتلال فلسطين والعودة إلى القدس، بل يكفيه أن يتجه إليها بصلاته حيثما كان، وأن الصلاة في المعبد اليهودي في امستردام تعدل

عند الله صلاةً أمام حائط المبكي في أورشليم - القدس، فأصدر المجلس الملّي اليهودي - في أمستردام - قرارًا رسميا بتكفيره بتاريخ ٢٧ يوليو ١٦٥٦م. ولكنه استمر في دعوته وأصدر بها مقالة باللاتينية عنوانها: دراسة لاهوتية سياسية، وتم نشر هذه الدراسة عام ١٦٧٠م، ومات سبينوزا عام ١٦٧٧م. وحاول كهنة اليهود بعد إعلان تكفيره أن يحرّضوا عليه من يقتله، فنصحه تلاميذه بالرحيل من أمستردام، بل إنهم نصحوه بذلك قبل صدور قرار التكفير، فانتقل إلى فوربورغ عام ١٦٤٤، ثم إلى لاهاي عام ١٦٧٠م، وبقي فيها إلى أن مات. وكان يعيش من صناعة النظارات والعدسات، وبعد أن صدر القرار بكفره من كهنة اليهود عرضت عليه جامعة هايدلبرغ في ألمانيا أن يأتي إليها، وأن يشغل أستاذية الفلسفة هناك، فاعتذر. وكان لويس الرابع عشر - أعظم ملوك فرنسا - قد احتل هولندا، فعرض عليه راتبا سخيا للمعاش، بشرط أن يؤلف كتابا ويجعل إهداءه إلى لويس الرابع عشر، فأبى الرجل وبقي قانعا بكسب يده المتواضع.

رائد اليهود الإصلاحيين

وجاء بعده الألماني موسى مَنْدلْسون، أكبر دعاة الاندماج بين اليهود، وكان من أعظم علماء الشريعة اليهودية، وكان أبوه يكتب النسخ الشرعية للتوراة في مدينة دَاسّاوْ الألمانية، فولد فيها عام ١٧٢٩م. ثم رحل إلى برلين فكان يكتب نسخ التوراة مثل أبيه (واليهود يحرّمون استعمال التوراة المطبوعة التي تُحفظ في محراب المعبد، إلى الآن). وفي برلين أتقن العبرية والألمانية، وتعلم اليونانية واللاتينية، وكذلك الإيطالية والفرنسية والإنجليزية. ثم انتقل إلى دراسة الرياضيات والفلسفة. وعاش مع ذلك فقيرًا، يُعلِّم أبناء علية القوم في المنازل، ثم اشتغل بالتجارة مع اهتمامه بالدراسات الفلسفية والدينية والأدبية. وفي عام ١٧٦٢م تزوج يهودية من مدينة (هَمْبورغ) ابنة أسرة عريقة في يهوديتها هي أسرة جُوجنْهَايم، ورزق منها بستة أبناء. وكان قبل زواجه بسنة قد نال الجائزة الأولى من أكاديمية بروسيا في برلين بكتابة «بحث في البرهان في علوم ماوراء الطبيعة». ثم تعاقبت كتب مندلسون ومقالاته وبحوثه بالعبرية حينا وبالألمانية أحيانا، وترجم التوراة إلى الألمانية مع تعليقات اتهمها المحافظون من كهنة اليهود بأنها منحرفة ومبطَّنة بالزندقة، واتخذوا قرارًا بتحريم قراءتها.

وتوفي مندلسون في السابعة والستين من عمره، عام ١٧٨٦م، بعد حياة تألّق فيها نجمه، فأصبح رجل المجتمعات الثقافية، وصديق أكثر معاصريه الأوربيين من شعراء وأدباء وفلاسفة وفنانين، كما فتح صدره وقلبه لكل الشباب اليهودي الذي ملّ تزمّت الكهنة، فتحمسوا لهذا الرجل، وسموا أنفسهم «المستنيرين» كما سُمِّي عصر مندلسون بعصر «التنوير»، ووصف كثير من المؤرخين هذا الرجل بأنه «الذي أخرج اليهود من الحبس في الجيتو - حارة اليهود -». ومع ذلك فقد بقي الرجل على يهوديته التقليدية - على الأقل من باب التقية - ولم يجابه اليهودية المتزمتة مواجهة باروخ سبينوزا، ومع هذا لم ينجُ من نيل الكهنة من أخلاقه وعرضه ودينه. واليهود (الإصلاحيُّون) الآن يعتبرونه رائدهم، وواضع أساس تحرر الإنسان اليهودي من الكهنة أولا، ومن اللاسامية أيضا. وأمّا الصهاينة المعاصرون فهم مختلفون؛ فاليسار الصهيوني يعطيه حقه من الاهتمام، لأن برامجهم تلتقي مع فكره عموما، وفي كثير من التفاصيل كذلك، وأوضحها الاستجابة لدعوة التنوير، والخروج من «الجيتو» والاهتمام باللغة العبرية، وتحرير الفكر اليهودي من الوصاية الكهنوتية، دون الوقوع في الردّة أو الإلحاد. ولو أدرك مندلسون عصر زعيم الصهيونية العالمية «تيودور هرتسل» لكان - في رأيي - من أقرب أتباعه إليه. أما الأوساط الصهيونية الرجعية، وهي قوية في إسرائيل، فإنها تتظاهر بإهمال شأن هذا الرجل، وتتمنى لو لم يتكرر أمثاله في المجتمع اليهودي، وهي دعوة لاتستجاب، لمنافاتها لمنطق الحياة بمتغيراتها.

التنوير الصحيح

أما التنوير الصحيح فقد غمر اليهود بظهور الإسلام، قبل تلك العصور بأكثر من ألف عام. إذ وجد اليهود في ظل الدين الجديد التحرير والتنوير، ووجدوا حضارة نشطة، وفكرًا علميا منظما، وفكرًا دينيا سمحًا فتيّاً في إيجابيته وعدالته، وحرصه على مصالح من يرعاهم من الناس، مسلمين وغير مسلمين. والسيرة النبوية مملوءة بالمناقشات الدينية بين يهود العرب والنبي العربي عليه الصلاة والسلام. ولولا حرص اليهود على قومية خرافية أساسها العنصرية العرقية لدخلوا في دين الله أفواجًا، ولولا هذه القومية العرقية - التي أثبت علم الأجناس البشرية حديثا أنها خرافة - لكان اليهود من السابقين إلى الإسلام. ولكن كهنتهم في ظل الكوارث والهزائم والمذابح، كانوا منذ قرون طويلة قبل الإسلام، قد جعلوا اليهودية احتكارا في بني اسرائيل، فهي ليست دينًا تبشيريًا يأمر بنشر دعوته إلى الناس كافة، فوضع لمن يريد اعتناقها من غير اليهود عقبات لاتنتهي، ولايطالب بها اليهودي المولود في تلك الأمة. وأولى هذه العقبات أن شيخ الدين اليهودي إذا جاءه من يريد أن يتهوَّد فإن عليه أن يصرفه عن عزمه بالتي هي أحسن، كأن يذكر له أن أعداء اليهود في العالم أضعاف اليهود أنفسهم، وأن حياة اليهودي في هذه الدنيا عذاب مابعده عذاب، وأن مطالب هذا الدين صعبة وكثيرة. فإن أصرَّ بعد ذلك، حدّد له الشيخ موعدًا لاختبار معرفته بالأوامر والنواهي الشرعية، وقد سبق أن ذكرنا أنها حُصِرَتْ في ستمائة وثلاثة عشر بندا، فإن وافق على ذلك، عقد له الامتحان عند باب المعبد، بحضور شاهدين من الأتقياء العارفين بالدين، فإن نجح في الامتحان أعطاه بذلك

لأن اليهودي سريع الإصابة بضعف الإيمان، فقد حول مفكرو اليهود الشريعة الموسوية إلى شريعة سياسية

شهادة بأنه يهودي من (غير) بني إسرائيل الأصلاء، وحسَب شريعتهم تحرم عليه الإمامة في الصلاة، وتولي المناصب الحساسة في الطائفة، كالإفتاء والقضاء وقيادة الجند، فضلا عن الرئاسة والوزارة والسفارة، ويستمر تطبيق هذه الشرائع في ذريته إلى يوم القيامة! أما اليهودي (الأصيل) فإنه يُعفى من هذا كله. وإذا كان (المتهوّد) من أمة لاتعرف ختان الأولاد، ختنوه حتى ولو كان قد بلغ من العمر أرذله. ثم على هذا المتهود - والمتهوّدة أيضا - أن يواظب على الحضور إلى المعبد، وسؤال الشيخ عمّا يشغل فكره في الدين، وكان (صديقنا) الحاخام التلمودي جوجنهايم يسمي هذا بسخرية: «خدمة مابعد البيع»! فهذا الاحتكار القومي العنصري هو الذي منع اليهود من الدخول في الإسلام، وهو دين المساواة والحرية والعدالة، لافضل فيه لعربي على عجمي إلا

بنوة الفكر اليهودي للإسلام

بالتقوى، في حين أن التفاضل بين الناس ـ حتى بين اليهود بعضهم بعضا ـ أمر عادي في شريعتهم، ويكفينا مثالا على ذلك أمر ورد في (المشنا) خاص بأحكام الصلاة، يطرح سؤالا هو: إذا كان اليهودي يصلّي إحدى الصلوات المفروضة، ودخل عليه إنسان يهودي أيضا فألقى عليه التحية، فهل عليه رد التحية؟ تقول المشنا: إذا كان هذا الداخل أكبر منزلة من المصلي قطع الصلاة وردَّ عليه التحية، وإذا كان مساويا له فهو بالخيار في الردّ أو إرجاء ذلك إلى مابعد الصلاة، وأما إن كان دونه في المنزلة فعليه أن يستمر في صلاته إلى نهايتها.

وإذا كنا قد قدمنا بين يدي هذا المقال أن اليهودية دين دائم التطور، فإن الحرية التي وجدها شيوخ اليهود في أحكام الإسلام، والدقة المتناهية في تناول الإفتاء والفقه والقضاء كادت تجعل منهم خلقا جديدًا. وقبل أن نذكر ظواهر بنوّتهم للفكر الإسلامي مع بقائهم على دينهم، نضرب مثلاً واضحًا للتطور الخطير في نصوص الصلوات المفروضة.

ولعل القارئ الكريم يذكر «الوصايا العشر» الموجودة بنصها في التوراة (سفر الخروج، الفصل العشرون: ١ـ١٤)، وتكررت بنصها تقريبا في الفصل الخامس من سفر التثنية، (آخر أسفار التوراة). ويكاد الباحثون في الشريعة اليهودية وتاريخها يُجمعون على أن تلك الوصايا هي العمود الفقري لدعوة موسى عليه السلام، وأنها كانت الصيغة الأولى للصلاة اليهودية.

ودخلت على نص الصلاة بعض النصوص المختارة من التوراة وأشهرها «قراءة السماع»، وهي عندهم تقابل الشهادة عندنا، وأولها: اسمع يإسرائيل! الرب إلهنا، الرب واحد (سفر التثنية ٦:٤)، وتتوالى بعد ذلك خمس جمل تأمر بتوحيد الله ومحبته، ونشر هذا بالقول والكتابة، ثم يلي ذلك نصٌ من سفر التثنية (الفصل ١١: ١٣ ـ ٢١)، ثم فقرة ثالثة من سفر العدد في التوراة أيضا (١٥: ٣٧ ـ ٤١)، والفقرة الثانية تعد بالثواب على الطاعة، والعقاب على التفريط، والأمر بتلاوة هذه النصوص وكتابتها وتعليقها وإفشائها. والفقرة الأخيرة تنص على الثياب الواجب ارتداؤها للعبادة، مع التحذير من اتباع الهوى والانحراف.

ولاشك أن القديم من هذه النصوص هو «اسمع يإسرائيل»! إلى آخر الجملة ، والباقي إضافة متأخرة.

ومع ذلك، لاتقف نصوص الصلاة اليهودية الشرعية عند هذا الحد، فهي ـ على كل حال ـ تلاوات من التوراة المنسوبة إلى موسى، ولكنها تتعدى التوراة إلى (المشنا) التي كتبها الربّي يهودا الكبير في القرن الثاني بعدالميلاد، مع وجود محاولات لجمع مرويّاتها قبل هذا بمائتي سنة، إذ تعاقب عليها أكابر القادة الروحيين، مثل: هليل، ثم عَقيبا وأخيرا مئير. وما كاد يهودا الكبير يجمع مرويات (المشنا) في صورتها النهائية حتى وقع الاختيار على نص من نصوصها ـ الجزء الرابع ـ وهو فصل اشتهر باسم «فقرات الآباء» أو «حكَم الأسلاف»، وهي مجموعة من الوصايا ـ ١٨ فقرة ـ تحمل في ثناياها ـ إلى جانب محاولة مصطنعة لتسجيل سلسلة من الرواة من عهد موسى عليه السلام إلى الجيل السابق ليهودا الكبير ـ بصمات واضحة من الذوق اليوناني في ذكر المشاهير بأسمائهم ، وماتيسر من أقوالهم في الحكمة

لولا حرص اليهود على قومية خرافية أساسها العنصرية العرقية لدخلوا في دين الله أفواجا

التي سارت واشتهرت وصارت أمثالا. وهكذا دخلت «فقرات الآباء» في نصوص التلاوة الشرعية للصلاة، «ليفهم منه المتعبِّد ـ غلطًا بطبيعة الحال ـ أنه من موسى إلى مابعد المسيح، تتصل أجيال متعاقبة من القدسية السماوية في إسرائيل»! (كما ورد في كتابنا «الفكر الديني اليهودي» الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، ص١٣٣).

ثم جاء عصر التلمود، فاختار أحباره أيضا نصا طويلاً يسمونه «العاميده» أي الوقفة. ولم يكتف التلمود بإدخالها في الصلاة، بل وصفها بأنها «هي الصلاة نفسها»، وجعلها وقفًا على صلاة الجماعة في المعبد، وشرط الجماعة عشرة من اليهود الذكور المكلّفين، وشرط العدد في الجماعة يسمى في التلمود «منْيان»، والمثل العامي الإشكنازي يقول: «عشرة من الإسكافيّة خير من تسعة من الكهنة»! ونصوص «العاميده» تحتوي على بركات وتحميدات وأدعية واستغفارات، وابتهالات لاستعجال نزول المسيح المخلّص لليهود، ولعنات على الكفرة والزنادقة، ومالى ذلك. ويقرؤها الذي يؤم الصلاة أمام خزانة التوراة في المحراب، الذي يحدد الاتجاه إلى أورشليم ـ القدس، والمصلون خلفه يؤمّنون معه على كل فقرة. وتضاف إليها إضافات أخرى: مع بدايات الشهور القمرية، وفي رأس السنة اليهودية، وفي اليوم العاشر من بداية السنة وهو «عاشوراء» اليهود، أو «يوم الغفران» وصيامه فرض على اليهود، والأتقياء منهم يقضونه في المعبد. و«العاميده» واجبة، وتضاف إليها نصوص خاصة تتضمن اعترافات وابتهالات.

نصوص صلواتهم تأثرت بعلم التوحيد الإسلامي

ثم نفاجأ مع ظهور الإسلام بروح جديدة تَحَرَّرَ فيها العقل اليهودي من عقدة الاضطهاد ووجد إمكانات لم يكن يعرفها من قبل، عندما أتقن اليهود لغة الإمبراطورية الإسلامية الممتدة من غرب الصين وجنوب روسيا والكثير من جزائر المحيطين الهندي والهادي، إلى أقصى الغرب على سواحل المحيط الأطلسي في المغرب وإسبانيا. فهذه اللغة العربية، وهذا الأمن المطلق الذي كفله الدين الإسلامي لأهل الكتاب، إلى جانب الحرية والرخاء قد أطلقت اليهود من عقالهم، فأقبلوا على إعادة النظر فيما تراكم عندهم من تراث ديني عبر العصور، في التوراة وكتب الأنبياء وأسفار الحكمة المودعة في (العهد القديم)، ثم في المرويات الشفهية الشرعية (المشْنا)، ثم شرح هذه الأخيرة شرحًا موسوعيا يجمع بين الفقه والقصص والأساطير (التَلْمُود)، وماصحب ذلك من محاولات للتفسير والتكميل (المِدْراش).

واتضح للمثقفين اليهود أنه لامناص من مجاراة التيار الإسلامي في الدين، وإلاّ افتتن أبناء ملّتهم بمتانة هذا الدين الجديد وحضارته ومرونته فاندمجوا فيه! وهذا (الاندماج) كان دائما الشبح المخيف لكل علمائهم وفقهائهم، فاحتالوا حتى يستفيدوا من خيرات الإسلام دون أن (يذوبوا) في حضارته، لاسيما أن تشابه اللغة العربية بالعبرية التوراتية، والآرامية التلمودية قوي جدا، كما أن الإسلام - بنص القرآن الكريم - قد تشدد في دعوته إلى التوحيد - وهي صلب الدعوة الموسوية - وأشاد بمآثر موسى عليه السلام ومن خرج معه من بني إسرائيل هربا بعقيدتهم من كفر فرعون وجبروته وظلمه، ووصل افتتان اليهود بالعرب إلى أنهم قلدوهم في آدابهم وشمائلهم، حتى تسمّى الكثيرون منهم بأسماء لاتترك بينهم وبين العرب فرقا؛ فعالمهم في بغداد العباسية سعديا، عُرف باسم سعيد بن يوسف الفيومي، وأستاذه في العقائد والشريعة كان اسمه أبو زكريا يحيى بن داود الطبري.

ويشعر الباحث في تاريخ الشريعة اليهودية في العصر الإسلامي بأن الفقيه اليهودي كان ابنًا للفقيه والمفسر والمحدّث والمفتي المسلم، وبعكس أهل الملل الأخرى فإن الإسلام كان مع أهل الذمة في أقصى درجات التسامح والمساواة والكرم، حتى لاحظ مؤرخو اليهود - من اليهود أنفسهم - أن ماظهر في تاريخ الإسلام من اضطهاد لأهل الذمة إنما ظهر فقط في ظروف وجدت فيها الأمة الإسلامية نفسها في حالة فقر وضعف وحرب ضد غزاة طغاة.

أمّا والأمة الإسلامية قوية عزيزة الجانب لايفكر الأعداء في النيل منها، فإن الأقليات الدينية تعيش فيها سعيدة آمنة لاتكاد تشعر بأنها أقلية، وهذا بعكس معظم أمم الأرض، إذا أحست بالقوة انقضّت على من عندها من الأقليات الدينية والعنصرية واللونية - وبخاصة اليهود - فأوسعتهم تعذيبا وتنكيلا وتشريدا!

ظهر هذا بوضوح في دولة الفراعنة، ثم الأشوريين، ثم البابليين، ثم الفرس، ثم اليونان، ثم الرومان، ثم الدول الاستعمارية الغربية من هتلر في ألمانيا إلى موسوليني في إيطاليا، إلى ستالين في الاتحاد السوفييتي المنهار، وطغاته من الأذناب والأتباع في بلغاريا ورومانيا وماكان يسمّى يوغوسلافيا من قبل.

أما في الدولة الإسلامية فقد خطب اليهود تبني الإسلام لهم، فانتعشوا - في داخل دينهم - على نحو لم يعرفوه من قبل، وأوغلوا فيه على طريقة المسلمين، مستفيدين من مناهج الفقهاء المسلمين يختارون منها ماطاب لهم، ويتعاملون معها كأبناء للحضارة الإسلامية، ويؤلفون في أخصّ خصوصياتهم باللغة العربية.

وإذا كان المسلمون - واليهود أيضا - لايكادون يذكرون من علماء اليهود الذين نبغوا في العالم، وكان لهم أثر بعيد في إيقاظ البحوث الدينية في شريعتهم وإنهاضها غير موسى بن ميمون (١١٣٥ أو ٣٨ - ١٢٠٤م)، فإن لنا عنده وقفة متأنية في مقال قادم إن شاء الله. ولكن لمّا كنا في المثال الذي سقناه عن التطور الدائم في شريعة اليهود، حتى في نصوص الصلوات، فإننا نذكر هنا إتماما للفكرة أن موسى بن ميمون الأندلسي، ابن الثقافة الإسلامية، وطبيب القصر الأيوبي من أيام صلاح الدين إلى من أتى بعده في مصر والشام، كان قد ألّف كتابا في التوحيد والعقائد اليهودية عنوانه «دلالة الحائرين» أشرنا إليه في مقال لنا من قبل. ويهمنا هنا أن نذكر أن ابن ميمون قد لخّصَ موادّ الإيمان اليهودي في ثلاث عشرة مادّة، كتبها بالعبرية، ودخلت بنصّها في صلواتهم باسم «الأصول الثلاثة عشر»، ومع موسى بن ميمون نحن بعيدون عن موسى بن عمران - عليه السلام - بأكثر من ألفين وخمسمائة عام، ويكاد أثر علم التوحيد الإسلامي يكون عصب هذه الصلاة، وترجمتها على هذا النحو:

١- أنا أومن إيمانًا كاملاً بأن الخالق - تبارك اسمه - هو الموحد والمدبّر لكل المخلوقات، وهو وحده الصانع لكل شيء فيما مضى، وفي الوقت الحالي، وفيما سيأتي.

٢- أنا أومن إيمانا كاملاً بأن الخالق - تبارك اسمه - واحد لايشبهه في وحدانيته شيء بأية حال. وهو وحده إلهنا. كان منذ الأزل وهو كائن، وسيكون إلى الأبد.

٣- أنا أومن إيمانا كاملا بأن الخالق - تبارك اسمه - ليس جسمًا، ولاتحدّه حدود الجسم، ولاشبيه له على الإطلاق.

٤- أنا أومن إيمانا كاملا بأن الخالق - تبارك اسمه - هو الأول والآخر.

٥- أنا أومن إيمانا كاملاً بأن الخالق - تبارك اسمه - هو وحده الجدير بالعبادة، ولا جدير بالعبادة غيره.

٦- أنا أومن إيمانا كاملاً بأن كلّ كلام الأنبياء حق.

٧- أنا أومن إيمانا كاملاً بأن نبوّة سيدنا موسى - عليه السلام - كانت حقا، وأنه كان أبا للأنبياء، مَن جاء منهم قبله، ومَن جاء بعده.

٨- أنا أومن إيمانا كاملاً بأن كل التوراة الموجودة الآن بأيدينا، هي التي أُعطيتْ لسيدنا موسى عليه السلام.

٩- أنا أومن إيمانا كاملاً بأن هذه التوراة غير قابلة للتغيير، وأنه لن تكون شريعة أخرى سواها من قبل الخالق - تبارك اسمه -.

١٠- أنا أومن إيمانا كاملاً بأن الخالق - تبارك اسمه - عالم بكل أعمال بني آدم وأفكارهم، لقوله: هو الذي صوّر قلوبهم جميعا، وهو المدرك لكل أعمالهم.

١١- أنا أومن إيمانا كاملاً بأن الخالق - تبارك اسمه - يثيب الطائعين لوصاياه، ويعاقب المخالفين لها.

١٢- أنا أومن إيمانا كاملا بمجيء المسيح، ومهما تأخر فإنني أنتظره كل يوم.

١٣- أنا أومن إيمانا كاملاً بقيامة الموتى، في الوقت الذي تصدر فيه إرادة الخالق بذلك، تبارك اسمه، وتعالى ذكره، الآن وإلى أبد الآبدين.

فهذه النصوص التي تسربت إلى الصلاة الشرعية اليهودية، لاتدخل فيها الأشعار والأذكاروالأناشيد التي تتخلل صلاة الجماعة في المعبد إلى يومنا هذا، وكثير منها مما كتبه سعديا الفيومي أو يهودا اللاوي أو موسى بن عزرا أو ابن جبيرول بين من تبنتهم الثقافة العربية الإسلامية من اليهود. ويكفي أن أذكر أغنية شعرية تتردد في جميع معابد اليهود مساء كل يوم جمعة، وهو موعد الدخول في طقوس السبت. والأغنية من شعر «سليمان بن موسى اللاوي، الشهير بلقب «القابض»، ومطلع الأغنية:

تَعَالَ أخي إلى العُرسِ
نُحَيِّي سبتَنا القُدسي...

وقد التزمت في هذه الترجمة الإيقاع نفسه في أصلها العبري، غير الرَّويّ طبعًا.

أما المؤلف فقد وُلد في تركيا عام ١٥٠٥م، أي بعد استيلاء السلطان العثماني محمد الثاني - الفاتح - على إسطنبول بقليل. ثم انجذب إلى التصوف، ورحل إلى مدينة صفد بفلسطين في حدود عام ١٥٣٥م فأقام فيها إلى وفاته عام ١٥٨٤م. ومن أصدقائه وتلاميذه هناك العلاّمة الإيطالي موسى كوردوفيرو، وكان صهرًا له. كما كان صديقا لواحد من أقطاب المتصوفين في صفد هو عالم الشريعة داود بن سليمان بن زِمْرَه (١٤٧٩ - ١٥٥٣م).

بنوة الفكر اليهودي للإسلام

علماء اليهود المتأثرون بمناهج الفقه الإسلامي

وفي هذا الجيل من علماء اليهود الذين تأثروا بمناهج الفقه الإسلامي إيطالي آخر هو: عوبَديا بن أبراهام دي (برطينورو)، وُلِدَ في هذا البلد من شمال إيطاليا عام ١٤٥٠م تقريبا، ورحل في صغره إلى قشتالة في شمال إسبانيا، ثم تركها عام ١٤٨٥م عندما بدأ اضطهاد الأمراء المسيحيين للمسلمين واليهود. وكان هذا الرجل محبا للأسفار، حريصا على الكتابة في وصف مايراه، فدخل جزء كبير من كتاباته في أدب الرحلات عند اليهود. وعندما غادر إسبانيا قاصدا فلسطين، استغرقت رحلته ثلاث سنين، زار فيها إيطاليا من جديد، فمرّ بمدينة سالرنو ونابولي، ثم وصل إلى جزيرة صقلّيَّة فشاهد بالِرْمُو ومسِّينا، ثم انتقل بحرا إلى جزيرة رودس، ثم وصل إلى مصر فتعرف فيها إلى رئيس الجالية اليهودية الحاخام ناتان شوُليل الذي ساعده في الوصول إلى القدس، وشغل منصب الحاخام الأكبر بهذه المدينة التي كان عدد اليهود فيها قد قلّ جدا منذ احتلال الصليبيين لها. فبذل جهدا كبيرا لإنعاشها وتنظيمها، لاسيما عندما تقاطر عليها يهود الأندلس الفارّون من وجه الحكم النصراني هناك، بما صحبه من الاضطهاد وقرارات «التطهير الديني والعنصري» ومحاكم التفتيش الكاثوليكية الحاقدة المتعصبة عام ١٤٩٤م. وألّف هذا الفقيه شرحا على (المشنا)، اعتمد فيه على آراء السابقين، وفي مقدمتهم موسى بن ميمون، واليهودي الفرنسي الربّي سليمان الإسحاقي. كما كان يرجع أحيانا إلى آراء الفقيه اليهودي الألماني آشرْ بن يحيئيل، الذي اشتهر بتزمته وتشدده في تطبيق شرائع التلمود. وعاش بقية حياته في برشلونة (١٢٥٠ـ ١٣٢٧م)، وواصل رسالته من بعده ابنه يعقوب بن آشر. ومات برطينورو عام ١٥١٥م.

وفي الأندلس، قبل استيلاء الكاثوليك عليها، من الصعب في هذا الإطار الصغير أن نعرِّف كل من دخلوا في البنوّة العربية الإسلامية من علماء اليهود ـ في علومهم الدينية فقط ـ فقد كانت لهم مدارس ومعاهد وأكاديميات في العراق والشام وإيران ومصر أولا، وفي المغرب والأندلس أخيرا. والموجود من آثارهم في العالم الآن ـ بعد أن ضاع أكثرها ـ يعد بعشرات الآلاف من الكتب، بين مطبوع ومخطوط. على أننا نكتفي بالإشارة إلى بعض روّاد هذا العلم الذي حملوه عن المسلمين إلى أبناء ملتهم من اليهود في شمال أفريقيا والأندلس. ونذكر من أولئك الروّاد: إسحق بن يعقوب الفاسي (١٠١٣ ـ ١١٠٣م) أشهر روّاد الشريعة اليهودية وشيوخها المتقدمين، ولد في إقليم قسنطينة (الجزائر) ودرس في القيروان (تونس) فأتقن العبرية والعربية والآرامية، وتبحّر في التلمود، ثم رحل إلى فاس (المغرب) وفيها أكمل دراسته، وأصبح ينسبُ إليها. وسافر إلى قرطبة (الأندلس) ثم إلى لوسنيا (أليسنة عند العرب)، وكانت بالقرب من قرطبة مركزا مهما للدراسات الدينية اليهودية، فحمل معه إليها اهتماما كبيرا بالدراسات التلمودية، حتى وصفه مؤرخو اليهود بأنه المؤسس لدراسة التلمود، والمنسق لدراسة الفقه اليهودي، وناقل العناية بهذه الدراسات من بابل (العراق) إلى الأندلس. ومن أشهر كتبه التي ألفها «كتاب الأحكام» وأكثر أبوابه

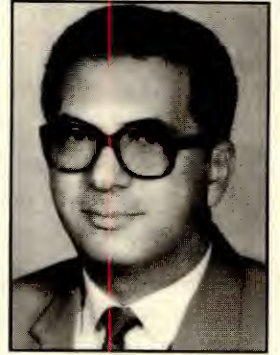
ابن ميمون لخص مواد الإيمان اليهودي في (١٣) مادة دخلت في صلواتهم، وهي متأثرة بعلم التوحيد الإسلامي

مكتوب باللغة العربية، وبهذه اللغة كان يكتب ردوده إلى فقهاء اليهود في جميع الأقطار إذا طلبوا منه الإفتاء فيما يواجهونه من معضلات، ووصلتنا مئات من هذه الفتاوى. ويذكرنا هذا الرجل بعالم آخر ـ متأخر عنه ومتأثر به ـ هو شمعون بن صِيْمَحْ المعروف باسم دُورَانْ (١٣٦١ ـ ١٤٤٤م)، من مواليد جزيرة ميورقة (إسبانيا) وفي هذه الجزيرة درس الطب والفلسفة وماتيسر له من العلوم الدينية اليهودية. ثم رحل إلى سرقسطة وأكمل فيها دراسته، واحترف مهنة الطب. ثم هاجر إلى الجزائر حيث اختاره اليهود هناك ليكون حاخامًا، فقبل بشرط ألا يصدر قرار رسمي من الحكومة بتعيينه لأنها ـ غالبا ـ حكومة أمة أخرى (جوييم) ولاتمثل الملّة اليهودية. وكان ينقد موسى بن ميمون في بعض اجتهاداته الفقهية، كما خالفه في أن ابن ميمون كان يستحسن أن يعالج الطبيب اليهودي من يأتي إليه من المرضى دون أن يشترط أجرا، وأن يعالج أي مريض مجانا إن ثبت له أنه فقير، أما دُوران فكان يرى أن ممارسة العلاج الطبي يجب أن تكون بأجر، لاسيما لعالم الدين حتى يستطيع التفرغ للرعاية الروحية في طائفته، وأن يقوم لهم بالفتوى في الدين بلا أجر. وهي مشكلة طويلة كثر فيها الخلاف بين الفقهاء والأطباء من اليهود وكثرت السخرية من ذلك حتى قال الشاعر اليهودي الأندلسي يوسف بن زكّارة (ق١٢م): إن الطبيب وملَكَ الموت يقومان بالمهمة نفسها، إلا أن الأول يأخذ عليها أجرا!

ومن هؤلاء الفقهاء الأطباء المعاصرين لموسى بن ميمون: موسى بن نحمان الجيروندي (١١٩٤ ـ ١٢٧٠م)، من الصف الأول من فقهاء اليهود ومفسري التوراة والتلمود. وذاعت شهرته بين يهود الأندلس حتى سموه «الربّي» دون حاجة إلى ذكر اسمه، وهو من مواليد جيرونا باقليم قطلونيا، في شمال إسبانيا. شغل مناصب رفيعة في بلاط الملك جاك الأول في أراغون. ودعاه أحد المعتنقين للدين المسيحي حديثا ـ واسمه بابلو كريستياني ـ إلى مناظرة يشرح فيها اليهودية أمام خصمه المؤيد للمسيحية، واستمرت المناظرة أربعة أيام، عام ١٢٦٣م، في برشلونة. ثم طارده الرهبان الدُّمينيكان حتى هرب من إسبانيا إلى القدس، ثم تركها إلى عكا حيث مات.

وبعد، فمعذرة للقارئ الكريم في حشد كل هذه الشخصيات والحوادث في هذا الإطار الضيّق. وبالتأمل نرى أن فقهاء اليهود أخذوا من أصول الفقه الإسلامي: الكتاب (العهد القديم) والسنَّة (المشنا والتلمود) والإجماع ثم القياس.

التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون



د. عبدالحليم عويس

لم يكن لرجل في مثل عقل عبدالرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ) إلا أن يكون "رجل تاريخ" بالمعنى المزدوج.. أي إنه يكتب التاريخ ويفعله، يتأثر بالتاريخ ويؤثر فيه. إنه مؤرخ وإنسان تاريخي!!

وبصرف النظر عن الهدف الذي يسوق من أجله (عبدالله العروي) النصّ التالي، ومع اختلافنا مع هدفه، إلا أننا نوافقه على أن ابن خلدون: "يمثل راوياً مثل غيره من الرواة عندما يتكلم عن أصول العرب والبربر والترك، مشاهداً بل صحفيا عندما يتكلم عن نفسه وعن سلاطين بني مرين، مؤرخاً يزاحم في الإتقان والنباهة والاطلاع المسعودي أو البيروني، مُنَظِّراً لقواعد الكتابة التاريخية، مبدعاً لعلم العمران في مستوى فلاسفة عهد التنوير، كاشفًا عن الحقيقة التاريخية كميزة بشرية"(١) إلا أن مالم يدركه (العروي) أن كل ذلك كان وفق منهج إسلامي، وكان انبثاقه من روح إيمانية، ولم يكن دنيويًا أو علْمانيًا!

إن ابن خلدون مثل سابقيه الموسوعيين العظماء الذين نبغوا في أكثر من تخصص، وكانوا قادرين على المزج بين العلوم الشرعية والإنسانية والطبيعية، ويرونها كلها - إذا صلحت النيّة والهدف - (علوماً إسلامية).

ويأتي الخطأ في توجيه آراء ابن خلدون وتقويمها عندما تُتجاهل هذه الحقيقة الإسلامية الموسوعية عند ابن خلدون، فأيّ محاولة للنظر لابن خلدون بعيدًا من انتماء عقله للمنهجية الإسلامية القرآنية - التي تتجاوز كل ضغوط الحاضر السياسية وإسقاطاته الفكرية، وتحقق لصاحبها موسوعية في الفكر، وقفزًا فوق إسقاطات الواقع - محكوم عليها بالفشل!

ومع ذلك فما أكثر الدراسات التي تجاهلت هذه الحقيقة، ونظرت إلى ابن خلدون بمنظار معين وحاولت نزع انتمائه عنه وإلباسه رداءً لايصلح له، ضيقًا كان أو فضفاضًا!

إننا لانوافق محمد عابد الجابري حين يؤكد عبارة "مكسيم رودنسن" التي يصف فيها تراث "كارل ماركس" بأنه تراث من اليسير أن نجد فيه مايبرر أية فكرة، ويرى أن هذا الوصف يصدق أيضا على ابن خلدون: "فإن المؤمن والملحد والكاهن والمشعوذ والفيلسوف والمؤرخ ورجل الاقتصاد وعالم الاجتماع، وحتى كارل ماركس نفسه... كل أولئك يستطيعون أن يجدوا في "المقدمة" مايبررون به أيّ نوع من التأويل يقترحونه لأفكار ابن خلدون"(٢).

إن هذا القول، وهذا القياس، فاسدان جملةً وتفصيلاً، وهما لايستقيمان إلا في زوايا تلك العقول المظلمة المتأولة التي ترى أن كل نص مهما كان وضوحه وانسجامه مع اللغة والعقل والمنطوق والمفهوم يمكن تأويله، وتوجيهه وفق دعوى منهجية معينة (عصرانية) أو (ظرفية تاريخية) أو (تحديثية)...

إن التأويل في رأي هؤلاء - أي إخضاع النص لهوى الباحث وأفكاره - منهج ألسني (سوسيولوجي) يسمح (بتحريف) كل النصوص [وتعبير التحريف هو التعبير الصحيح].. حتى تزول معالم اللغة وضوابطها ودلالاتها باسم (التاريخانية) ومعالم العقل والمنطق والدين باسم (القراءة المعصرنة للنص!).

تمتاز أفكار ابن خلدون التي ترد في المقدمة بأنها ترد وفق منهجية شمولية تمزج بين جوانب المعرفة الإنسانية مزجا كاملا، وتنظر للإنسان نظرة عضوية مترابطة، ثم تنطلق من ذلك إلى النظرة للمجتمعات دون تشقيق، ومن ثم ترى في الحضارة كائنا حيا يشبه الكائنات الحية العضوية أو يكاد، يخضع للشروط نفسها. وللتكاملية بين العوامل الفاعلة فيه على النحو

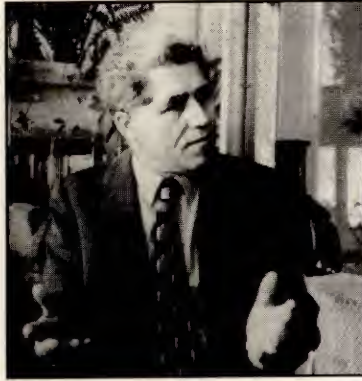
الذي تخضع له المجتمعات والإنسان الفرد. ويوشك ابن خلدون أن يضع أيدينا على أعمار الدول أو الدورات التاريخية المتعاقبة، وكأننا نشاهد طفلا ينشأ ثم ينمو، ثم تدبّ في محياه مخايل الشباب، .. ثم ينحدر بطيئاً إلى الشيخوخة.... حتى الموت!!

هذه النظرة التي قد يختلف فيها الكثيرون معه إنما كانت فقْها خلْدونيا اجتماعيا لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية حول تداول الأيام بين الناس، وحول أثر الظلم، والترف، والكفر بأنعم الله في سقوط الدول، قال تعالى: ﴿لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولايستقدمون﴾ (يونس:٤٩). وقال تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ (آل عمران:١٤٠). وقال تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (النحل:١١٢). وقال تعالى: ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ (الأعراف:١٢٩). وقال تعالى: ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ (القصص:٥٩).

بل إنني أرى أن ابن خلدون قاس الدولة أو "الدورة التاريخية" قياساً كاملاً على عمر الفرد ومراحل تطوره في ضوء الآية القرآنية الكريمة: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة...﴾ (الروم:٥٤).

كما أننا لا نستطيع أن نتهم ابن خلدون بالغفلة عن القصص القرآني وعواقب كل أمة كما فصّلها الوحي الكريم، بل إننا نراه في "المقدمة" وفي "العبَر" على وعي كامل بالقصص القرآني والعبَر المستخلصة منه، سواء في جانب الرخاء والنعمة والأمن والنصر وغيرها من ثمار الإيمان والتزام شريعة الله، أم في جانب الترف والظلم والانحلال وغيرها من مظاهر البعد من شريعة الله والكفر بنعمة الله، والعواقب الحتمية الوخيمة - مهما طال الزمن - لهذه السلوكيات الجالبة لغضب الله والمدمرة للحضارة.

ولم تكن سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في شؤون الحياة كلها بعيدة من فكر ابن خلدون، بل إن ابن خلدون ابنٌ روحي للإمام مالك (٩٣ - ١٧٩هـ) إمام دار الهجرة، وقد ولي القضاء في مصر على المذهب المالكي، ومعروف أن المذهب المالكي من مذاهب الحديث والأثر وليس من مذاهب الرأي، وهذا يلزم الفقيه المالكي الملتزم، فضلا عن القاضي المالكي، أن يكون على وعي تام بالسنة والأثر، والدارس لفكر ابن خلدون السياسي يكتشف بسهولة عمق الصلة بين آراء ابن خلدون في النظام السياسي بعامة ونظام الحكم بخاصة، وبين السنة النبوية والقرآن الكريم.


د. عبدالله العروي


كارل ماركس

إنه منذ البداية يقرر أن أحكام السياسة القائمة على النظام "الدنيوي العلماني" طريق خراب الناس، فهي تحصرهم في مصالحهم الذاتية، على حساب مصلحة الأمة، ومصلحة الملّة.

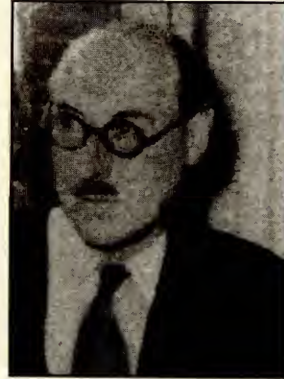
وبعد أن يقدم ابن خلدون في مقدمته نماذج من الحكومات الدنيوية العلمانية، يرفضها جميعا ويدعو المسلمين إلى الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية التي هي الضمان الوحيد لكفاية العباد وإسعادهم، وضمان انقيادهم والتزامهم... يقول عن هذه الحكومات الدنيوية: "وقد أغنانا الله عنها في الملة ولعهد الخلافة؛ لأن الأحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة، وأحكام الملك مندرجة فيها"(٣). ويصف هذه الحكومات "الدنيوية العلمانية" بأسوأ الصفات قائلاً: "فما كان منه - أي من نظم الحكم - بمقتضى القهر والتغلب وإهمال القوة العصبية في مرعاها فَجَوْرٌ وعُدوان(٤)، وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها فمذموم أيضًا لأنه نظر بغير نور الله، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور؛ لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم، من أمور آخرتهم، وأعمالُ البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من ملك أو غيره، قال صلى الله عليه وسلم: «إنما هي أعمالكم تردّ عليكم». وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط: ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا﴾ (الروم:٧)، ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم"(٥).

وعندما كان ابن خلدون يتحدث عن نظريته في (أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص، وهي النظرية التي تمثل جوهر فكره في (الدورية العضوية) للدولة.. أو للحضارة حسب فهم بعضهم، كان القرآن هو مصدره لهذا التصور...

ونحن نرى هذا جليًا في قول ابن خلدون: "إن الدولة في الغالب لاتعدو أعمار ثلاثة أجيال، والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو أو

النشوب إلى غايته. قال تعالى: ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة﴾ (الأحقاف:١٥)، ولهذا قلنا إن عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل، ويؤيده ماذكرناه في حكمة التيه الذي وقع في بني إسرائيل، وأن المقصود بالأربعين فيه فناء جيل الأحياء ونشأة جيل آخر لم يعهدوا الذل ولا عرفوه"(٦).

وهكذا كان ابن خلدون، وهو يتحدث في الفكر التاريخي أو العمراني أو السياسي يعتمد على القرآن والسنة وقصص الأنبياء اعتمادا مباشرا، وكان لسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - مكانة متميزة في استشهاداته واقتباساته وقياساته... كما أنه يتحدث عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حديثا مباشرا(٧) باعتباره النموذج الأعلى لتطبيق شريعة الإسلام التي يدعو إليها ابن خلدون، ويعمل على بيان جدارتها وأحقيتها وحدها للتطبيق على المجتمع الإنساني(٨).


هاملتون جب

لقد صمّم ابن خلدون نظرية العمران أو المجتمع الإنساني على أنه مجتمع إسلاميّ الحكومة والرعية، وقد خصص المقدمة كلها - إلا في القليل - لهذا الأمر، وقرر ضرورة أن يكون الحكم خلافة، وأن الخلافة لحراسة الدين ولسياسة الدنيا(٩). ورفضَ الحكم الدنيوي العلماني العقلي، والحكم الطبيعي الشهواني، وحدد المعالم الكبرى لنظام الحكم معتمدا على الرسالة التي وجهها طاهر بن الحسين (ت٢٠٧هـ) إلى ولده عبدالله بن طاهر (ت٢٣٠هـ) لما ولاه المأمون الرقّة ومصر ومابينهما(١٠). كما حدد معالم نظام القضاء وآدابه معتمدا على الرسالة التي وجهها الخليفة العظيم عمر بن الخطاب إلى الصحابيّ الجليل أبي موسى الأشعريّ(١١).

وعلى الرغم من الجهود الهائلة التي يبذلها - وبذلها بسخاء وإسراف شديدين - الشيوعيون المرتزقون والعلمانيون الملحدون، والقوميون اللاإسلاميون، فإن نسيج المقدّمة كلها، ألفاظا ومصطلحات، ولغة واستشهادات، وأفكارًا ومضامين، هو نسيج إسلامي ينبع من مصادر الإسلام الأساس، ومن الفكر المعتمد والموثّق في التراث الإسلامي.

وكل المحاولات المبتذلة واللاعلمية - بل السوقية أحيانا - التي حاولت توجيه أفكار ابن خلدون توجيها ماديا أو علمانيا عقليا لاصلة له بالوحي هي محاولات تتحدث عن شخص آخر غير ابن خلدون، وعن مقدمة أخرى غير مقدمته .. بل إنها تتحدث عن كاتبها المادي وفكره اللاديني.

إن المستشرق (غوستاف ريختر) ينفي هذه الصورة التاريخية المسقطة على ابن خلدون، ويؤكد أن المقدمة تقف شامخة باعتبارها ذروة من ذرى الإبداع في العصور الوسطى كلها.

يقول ريختر: إن إنجاز ابن خلدون إنجاز لايبتعد كثيرا عن الروح (العربية - الإسلامية) كما يحلو للبعض أن يصور. إن ابن خلدون الذي تتميز نظريته بالطابع الواقعي التجريبي يبقى في السياق العام للثقافة الإسلامية ولايخرج عليه كما لا يحاول تغييره.

إنه يبقى عالما مسْلما عميقَ الاطلاع، ومنظومتُه نفسها لها حدودها التي هي حدود الثقافة العربية - الإسلامية(١٢).

ومن الطريف أن يتولى مستشرق مثل (هاملتون جب) في كتابه المعروف «دراسات في حضارة الإسلام» الردّ على العرب العلمانيين والمستغربين الذين يسعون إلى توجيه المقدمة وصاحبها توجيها يخدم أفكارهم المادية واللادينية.

ومن المفيد أن نشير إلى أن المفكر المصري المعروف (عبدالرحمن بدوي) - على نزعته الوجودية والاستغرابية - خضع للحكم العلمي، فأكد الإسلامية الالتزامية الواضحة لابن خلدون ومقدمته، وأدان كل محاولات تحريفها وفق أفكار مذهبية أو عنصرية.

أما صاحبنا (هاملتون جب) فإنه - في فصل كامل من كتابه الآنف الذكر - يتولى الردّ على نموذج من هذه النماذج الانهزامية الاستغرابية، وهو الأستاذ (كامل عياد) في أطروحته(١٣)، التي يذهب فيها إلى أن ابن خلدون (لايَعُدّ النبوة ضرورة للاجتماع الإنساني) وأنه (ارتفع فوق معتقداته الدينية وهو يحقق منجزاته الضخمة) وأنه (يبني نظريته العلمية بطريقة فريدة على المادة التجريبية)... وكل هذا ضرب من الوهم لا سبيل لإثباته إذا كان الفكر فكر ابن خلدون، وإذا كان الكتاب هو مقدمته... فالمقدمة موجودة، لكن الاعتساف غير الأخلاقي أمر شائع بين جماهير الشيوعيين والعلمانيين.

ويردّ (جب) على هذا الباحث - وأمثاله - ردًا حاسما فيعود برأي ابن خلدون في النبوة - وضرورتها للاجتماع الإنساني - إلى رأي عالم سنّي يتهمه بعضهم بالتشدد وهو الإمام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، وينقل (هاملتون جب) نصّ ابن تيمية من كتابه (الحسبة) مبينا أنه لا فرق بين الرأيين، وبالتالي فابن خلدون عالم سنّي مثله مثل ابن تيمية(١٤).

بل إن ابن خلدون - كما يقول (جب) - لم يكن مسلما فحسب، بل كان، كما تؤكد كل صفحة من المقدمة، فقيهًا متكلمًا من أتباع المذهب المالكي المتشدد، وكان يرى أن الدّين أهم شيء في الحياة، وأن الشريعة هي الطريق الوحيد إلى الهدى(١٥).

ويرى (جب) أن الأساس الأخلاقي الإسلامي في فكر ابن خلدون ضمني يُستشف من خلال عرضه كله، عدا عن أنه يلجأ دائمًا إلى الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. أما مبدؤه في العلّية والقانون الطبيعي... ذلك المبدأ الذي يراه الدكتور (عياد) معارضاً -

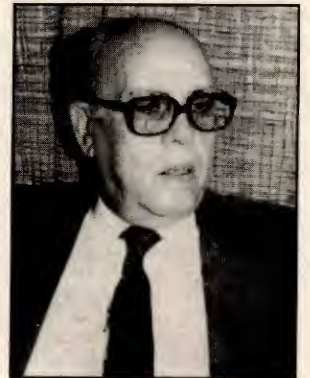
التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون

على نحو حاد - للآثار الكلامية الإسلامية في القرآن، فليس هو في رأي (جب) إلا سنة الله يتردد ذكرها في القرآن.

على أننا قد نسلم بأن ابن خلدون ينص بقوة على الاقتران المحتوم بين السبب والمسبب في صورة قانون طبيعي أكثر مما يفعل سواه من المؤلفين المسلمين(١٦) فالأمر لايعدو اجتهادا من الاجتهادات الدائرة في المحيط الإسلامي.

وبطريقة ذكية يبسط (جب) أفكار ابن خلدون مع ربطها بالرؤية الإسلامية، فنحن إذا حاكمنا نظرية ابن خلدون التاريخية خرجنا بنتيجة متشابهة، فاجتماع النوع الإنساني ضروري للتعاون "لتتم حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه" وإلا لم يكمل وجودهم، وماأراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وأيضًا فإن السياسة والملك هما كفالته للخلق، وخلافة لله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم سواء أكان الملك خيرًا أم شرًا، والعصبية إنما تتم بجمع القلوب، وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه...(١٧).

وهكذا يؤكد (جب) أنه من المستحيل علينا أن ننحّي عن أنفسنا الشعور بأن ابن خلدون، إلى جانب أخذه في تحليل تطور الدولة، كان كغيره من فقهاء المسلمين في عصره مهتماً بالتوفيق بين المتطلبات المثالية التي تريدها الشريعة ووقائع التاريخ.



د. مصطفى الشكعة



د. عبد الرحمن بدوي

فالقارئ المتأني يلحظ أنه ينبه الأذهان مرة إثر مرة إلى أن سياق التاريخ لم يكن كما هو عليه إلا لانتكاث الشريعة من جراء آثام ثلاثة هي (الكبر، والترف، والجشع)، حتى التوفيق في الحياة الاقتصادية لايتأتى إلا حين تكون أوامر الشرع مرعية(١٨).

وحول مصادر فكر ابن خلدون بصفة عامة يؤكد (جب) أن ابن خلدون "استمد بعض المواد التي بنى عليها تحليله من تجربته... واستمد بعضها الآخر من المصادر التاريخية التي كانت لديه متصلة بتاريخ الإسلام، فقد فهمها وتأولها على نحو فذٍّ من طرح التحيزات القائمة، ولكن الحقائق والقواعد هي التي توصل إليها عمليا كل الفقهاء والسنيين السابقين والفلاسفة الاجتماعيين الأولين"(١٩).

وتفصيلا لهذه الحقيقة التي ينتهي إليها - صادقا - هاملتون جب، نذكر أنه بالإضافة إلى المصادر الأساس التي اعتمد عليها فكر ابن خلدون - والتي أشرنا إليها سلفا - وعلى رأسها كتاب الله وسنة رسوله، فإن ابن خلدون، وإن لم يكن ابن عصره المتخلف والممزق، فإنه كان ابن الفكر الإسلامي وتلميذ العقول الإسلامية الكبيرة في عصور الإسلام السابقة كلها... لقد اغترف من تراثها، وتمثّله خير تَمثُّل، وأحسن إخراجه، كما تخرج النحلة عسلها من غذائها... لقد أفاد من مِسْكَوَيه (ت:٤٢١هـ)، والبيروني (ت:٤٤٠هـ)، وابن سينا (ت:٤٢٨هـ)، وابن رشد (ت:٥٢٠هـ)، وأبي حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ)(٢٠) وغيرهم.

ويخصص أستاذنا الدكتور مصطفى الشكعة الباب السادس من كتابه الرائع (الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته) للحديث عن تأثر ابن خلدون بعلاء الدين علي بن أبي الحزم المشهور بابن النفيس (٦٠٧ - ٦٨٧هـ) فيما يتصل بنظرية العمران، بل إن الأمر - كما يذهب أستاذنا الشكعة - يتعدى ظاهرة التأثر إلى واقع النقل(٢١).

ففي مؤلفه (السيرة الكاملية) يعالج ابن النفيس ضرورة الاجتماع من خلال قصة «كامل» الذي نشأ منفردًا معزولاً في جزيرة نائية مثل صاحب قصة ابن طفيل (ت:٥٨١هـ) (حي بن يقظان).. ويورد الدكتور الشكعة موازنات بين نصوص وردت في (السيرة الكاملية) ونصوص وردت في (مقدمة ابن خلدون) ويبين أوجه التشابه في المعاني - بل الألفاظ - بين هذه النصوص وتلك.

وفي قضية التعامل بين الناس في الاجتماع الإنساني يورد الدكتور الشكعة نصا لابن النفيس، ثم يذكر أن ابن خلدون أخذ الموضوع نفسه والظاهرة نفسها وقدمها من خلال كلمات لاتخرج عما قصد إليه ابن النفيس وأجاد التعبير عنه. ومثلما انتهى ابن النفيس في السيرة الكاملية إلى ضرورة الحكومة الشرعية، انتهى ابن خلدون إلى النتيجة نفسها في مواطن شتى من مقدمته(٢٢).

والحقيقة أن التشابه كبير، وأن تأثر ابن خلدون بأفكار ابن النفيس لاشك فيه، وهو تأثر يمتد إلى مستوى الالتقاء في أساليب التعبير وفي المضامين الجزئية الداخلية... وإن كنا لانرى أثرا واضحا للنقل المباشر، كما أن (السيرة الكاملية) في إطارها القصصي الفلسفي لايمكن أن تمثل إلا رافدا واحدا من عشرات الروافد التي يحتاج إليها عمل في زخم مقدمة ابن خلدون ومعطياتها.

وبالإضافة إلى ابن النفيس، وماذهب إليه أستاذنا الشكعة من عمق تأثر ابن خلدون به، نضيف مؤثرًا آخر من الروافد التراثية الإسلامية التي نهل منها ابن خلدون ووجهته توجيها

التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون

مباشرا عميقا، وتأثر بها تأثرا لايمكن إغفاله، وهو أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ.

فمن الغريب أن الأمثلة التاريخية التي قدمها ابن خلدون، ليبين بها: "مايعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسباب ذلك"، قد اقتبس بعضها من موسوعة «الفصَل في المِلل والأهواء والنِّحَل» لابن حزم. وليس هذا فحسب، بل إن ابن خلدون قد اقتبس نقد ابن حزم لهذه المغالط والأوهام.

فأول الأمثلة التي قدمها ابن خلدون في مقدمته بيانا لفساد المنهج التاريخي التقليدي، مانقله المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل من أن موسى أحصاهم في التّيه بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون(٢٣).

ويُكذِّب ابن خلدون هذا العدد على أساس تقدير مساحة العمران في مصر والشام، وعلى أساس صعوبة قتال جيش بهذا العدد في تلك العصور، ويوازنها بعدد جيوش الفرس في حرب القادسية وهو عدد لايزيد على مائة وعشرين ألفا. ثم يأتي ابن خلدون بحجة أخرى، وهي أن الذين بين موسى وإسرائيل (يعقوب) هم أربعة آباء فقط، عاشوا مائتين وعشرين سنة، وكان عددهم أيام يعقوب سبعين.

فمن المستحيل عقلا أن يتناسل سبعون في مائتين وعشرين سنة أيْ في أربعة أجيال... فيصبحوا ستمائة ألف مقاتل.. فضلا عن من لايستطيع القتال(٢٤).

هذا ماذكره ابن خلدون في أول أبواب المقدمة، وهو الباب الذي اعتبره الكثيرون تحوّلا في مسيرة المنهج التاريخي.

أما ابن حزم.. فقد ذكر عشرات الأمثلة «الأسطورية» من هذا القبيل وفنّدها بقريب من الحجج التي اقتبسها ابن خلدون.

وفي هذا المثل الذي ذكرناه ـ وهو الذي اخترناه للموازنة ـ يقول ابن حزم: "فصل: في السفر الرابع ـ أي من التوراة ـ ذكر أن عدد بني إسرائيل الخارجين من مصر القادرين على القتال خاصة من كان ابن عشرين سنة فصاعدا كانوا ستمائة ألف مقاتل وثلاثة آلاف مقاتل وخمسمائة مقاتل، وأنه لايدخل في هذا العدد من كانوا أقل من عشرين ولا من لايطيق القتال ولا النساء جملة، وأن عددهم إذ دخلوا الأرض المقدسة ستمائة ألف رجل، وألف وسبعمائة رجل وثلاثون رجلاً(٢٥).

ثم يقول ابن حزم متعجبا: "فياللناس كيف يمكن أن يتناسل من ولادة واحد وخمسين رجلا فقط (هم عند ابن خلدون سبعون رجلا) في مدة مائتي عام وسبعة عشر عاماً (وهي عند ابن خلدون ٢٢٠ سنة) ـ أزيد من ألفي ألف إنسان؟ هذا غاية المحال الممتنع"(٢٦).

إن من المستبعد عقليا أن يكون ابن خلدون قد فاته الاطلاع على كتاب «الفصَل»، وألا يكون قد قرأ ردّ ابن حزم على التوراة.. وبالتالي على من أخذوها من التوراة دون تحليل أو نقد كالمسعوديّ وغيره.

وليس إهمال ابن خلدون لذكر ابن حزم كأستاذ له في منهج النقد التاريخي إلا اتباعًا لنهج سار عليه كثير من المؤرخين من أسلافنا.

وحسبنا أن نذكر أن هذه الأسطورة التي فندها ابن خلدون في أقل من صفحتين قد نقدها ابن حزم في أكثر من خمس عشرة صفحة من القطع الكبير... كلها إحصاءات ومقارنات وبيان تناقضات وتتبع تاريخي.

وبإيجاز فإنني أعتقد أن كثيراً من الذين يعكفون على دراسة الرموز الكبيرة في حضارتنا غير ابن النفيس وابن حزم يمكنهم أن يكتشفوا تأثر ابن خلدون بها، وأثرها في المقدمة بدرجة ما، وبطريقة أو بأخرى... ذلك لأن ابن خلدون ابنٌ لهذه الرموز العملاقة وثمرة من ثمرات المصادر الصحيحة والمبدعة، في حضارتنا الإسلامية الزاخرة.

الهوامش:

(١) مفهوم التاريخ ج١ (الألفاظ والمذاهب)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٢م، ص ١٨.
(٢) فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط٣، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٧.
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٣٠٣، ط٦، دار القلم، بيروت، ١٤٠٦هـ.
(٤) المقدمة: ١٩٠.
(٥) المقدمة: ١٩٠.١٩١.
(٦) المقدمة: ١٧٠.
(٧) المقدمة: ٩١، ٩٢، ٢٠٩، ٢٦٤.
(٨) د. مصطفى الشكعة: الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، ص ٩٣، ط٢، ١٤٠٨هـ، الدار المصرية اللبنانية.
(٩) المرجع السابق: ٩٤.
(١٠) المقدمة: ٣٠٣، والكتاب بيان لما يحتاج إليه الأمير من الآداب الخلقية والسياسة الشرعية والملوكية ومحاسن الشيم.
(١١) المقدمة: ٢٢٠، ٢٢١.
(١٢) غوستاف ريختر: الصورة التاريخية في أعمال المؤرخين العرب القدامى، ترجمة: رضوان السيد، دراسة بمجلة الفكر العربي، عدد تموز/يوليو ١٩٧٨م، ليبيا، بيروت.
(١٣) ومثله وقبله كان طه حسين واحدا ـ بل إماما ـ في هذا الطريق الانهزامي الاستغرابي.
(١٤) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ص ٢٢٢، ٢٢٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
(١٥) المرجع السابق، ص ٢٢٥.
(١٦) المرجع السابق، ص ٢٢٦، ٢٢٧.
(١٧) المرجع السابق: المكان نفسه.
(١٨) المرجع السابق: ص ٢٢٨، ٢٢٩.
(١٩) المرجع السابق: ص ٢٢١.
(٢٠) انظر: د. مصطفى الشكعة: الأسس الإسلامية، ص ٧٦.
(٢١) المرجع السابق، ص ١٢٣.
(٢٢) المرجع السابق، ص ١٢٥، ١٢٦.
(٢٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٠.
(٢٤) المصدر السابق ص ١٠.١١، وانظر كتابنا: ابن حزم الأندلسي وجهوده في التاريخ والحضارة، فصل تأثير ابن حزم في المنهج التاريخي، الصفحات من ١٦٩ إلى ١٧٤، ومن ٢٠٢ إلى ٢٠٦، طبعة دار الاعتصام للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٩م.
(٢٥) الفصَل ج١، ص ١٦٥، طبع المثنى، ببغداد.
(٢٦) الفصَل ١ ـ ١٧٤.

أزمة الازدواج الثقافي في العالم العربي

خلدون صبح

مفهوم الفصام والازدواج الثقافي والروحي والمذهب الفكري (الأيديولوجي):
يُسمَّى عصرنا الحديث - بوعي من مطلق التسمية أو دون وعي - عصر القلق وعدم الاستقرار؛ وبخاصة فيما يتعلق بالعالم الذي أنتج الترسانة التقنية (التكنولوجية) الهائلة، التي أدّت إلى خلق الفصام الروحي والثقافي والفكري (الأيديولوجي) على المستويات الاجتماعية كافة، وبخاصة لدى مجموعة اجتماعية مهمة في قيادة المجتمع هي المجموعة الثقافية أو مجموعة المثقفين.

وتتعمق مأساة الفصام والازدواج الثقافي في المجتمعات التي ما زالت تبحث عن نموذجها الأمثل من أجل خطتها المحكمة (استراتيجيتها) في مسيرة التقدم للاندراج ضمن عقد المجتمعات التي تسعى بدأب إلى الأمام. ويمكن أن نقول - بجرأة بالغة ودون أي تحفظ - إن مجتمعنا العربي هو في رأس قائمة المجتمعات التي تبحث عن أبدال في شتى الاتجاهات، وهذا ما يخلق في ذاته الثقافية والاجتماعية تلك الفصامات الجمة، إذ لا يمكن الحديث فقط عن ازدواجية ثقافية، بل عن ازدواجيات ثقافية وفكرية. وتتحدد الازدواجية معرفيًا بمستويين، المستوى الأول: التنازع الثقافي في الذات الفردية الواحدة أو في المؤسسة الاجتماعية الواحدة بين نماذج ثقافية عدة. وهذا ما ندعوه حقيقة بالفصام المرضي الذي لم يحدد بعد نموذجه المختار ويعمل لإرسائه. والمستوى الثاني: التنازع الثقافي والفكري(الأيديولوجي) العام في المجتمع، وهذا ما ندعوه بالصراع بين النماذج. وخير مثال عليه في المجتمع العربي الصراع الدائم بين ثنائية العودة إلى الماضي والبحث عن أبدال في الوافد (النموذج الغربي للحضارة).

عوامل الازدواج والفصام

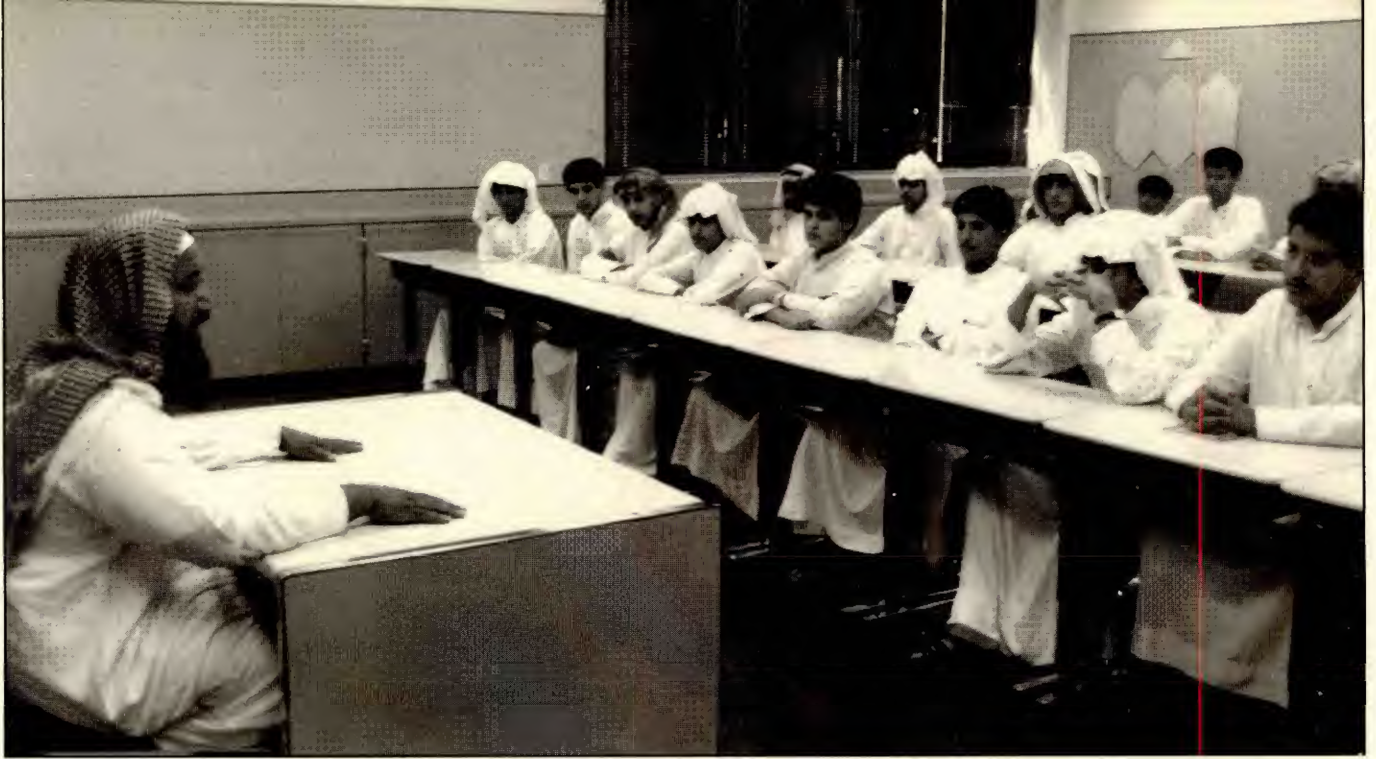
١- العوامل الداخلية: طبيعة الذات الاجتماعية العربية وتكوين المجتمع العربي، تعدد الرؤية إلى الإنسان والحضارة والتاريخ، الموروثات التاريخية التي تخلق التباين الديني والاجتماعي، القدرات الثقافية المعاصرة الضئيلة، البحث عن الذات.

٢- العوامل الخارجية: الغزو الثقافي، البحث عن الأبدال، الغزو الاستعماري اقتصاديًا وعسكريًا واجتماعيًا.

نطرح بادئ ذي بدء سؤالاً ليجيب عنه مقالنا هذا، وسؤالنا هو: هل تؤثر الازدواجية اللغوية والفكرية والاجتماعية والدينية في بنائنا العقلي والسلوكي والاجتماعي؟ وللحظة الأولى يشعر كل من يقرأ هذا السؤال ويتعمق في أغوار نفسه وأفكاره أن سؤالنا قد لامس ذهنه وقلبه، لأن الإنسان العربي بشكل خاص والإنسان في العالم كله بشكل عام يعيش ازدواجية يقف أمامها حائرًا لايملك الخيار، فيشعر بالضعف أمام هذه الازدواجية التي تجزِّئ حياته فيصبح إنسانًا في اثنين وفكرة في فكرتين وعملاً في عملين.

الازدواج اللغوي

وإذا ماأردنا رصد الازدواج الذي يمكن أن ينبني منذ الطفولة وينمو مع الكبر فينتج منه الازدواج الفكري والاجتماعي، نجد أن الطفل منذ نعومة أظفاره يتعلم لغة فصيحة في المدرسة، ثم مايلبث أن يخرج إلى حياته خارج المدرسة فيستعمل لغة أخرى في البيت والشارع، لتتشابك ثروته اللغوية فيصبح قاموسه اللغوي عاميًا وفصيحًا، وما إن يصبح الطفل يافعًا حتى تعرض عليه نماذج من القواعد اللغوية في كتب أدبية تُشرح بأسلوب بعيد من التعبير الوظيفي، فالطالب تُعرض عليه المعلومات عرضًا دون ذكر الزوايا الجمالية للنص التي يمكن أن يحددها المعلم لتصقل شخصية الطالب ولغته، ليستطيع أن



يعاني الطالب ازدواجية لغوية بين ما يتعلمه في المدرسة، وما يستعمله في البيت والشارع

يستعمل التعبير الوظيفي والإبداعي في المستقبل.

وللوهلة الأولى قد يتساءل السائل عما يسببه هذا الأسلوب في التعليم من ازدواج ثقافي، وقد يعترض أيضاً، ولكننا ننتقل من بداية مراحل الازدواج الثقافي الذي يتعرض له الإنسان العربي في بداية حياته حتى نهاية مراحله، إن كان لهذا الازدواج نهاية، فالصعوبة التي سيجدها الطالب في لغته وأسلوب الكتب الوعر البعيد من قواعد البلاغة العربية، والهابط جماليًا وموسيقيًا وقاموسيًا، ستجعله يبتعد تدريجيًا عن منابع العربية ليقع في اللحن والخطأ، فيميل إلى التعبير العامي والاتجاه نحو الثقافة الغربية. والمدرسة حين تعتني بتدريس الأدب وقواعده بنحوه وصرفه بالاعتماد على الحس الجمالي، تجعل الطالب معجبًا بهذه اللغة مبهورًا بها معتمدًا عليها في كتاباته وفكره. وأعتقد أنه عندما يؤلف كُتُبَ الأدب المدرسية مؤلفون أدباء وذوو خبرة تربوية ستصبح المناهج أكثر جمالاً وأكثر قوة، فاللغة ليست مجرد وسيلة تفاهم وإنما هي وعاء للفكر والسلوك معًا، لأننا نفكر باللغة ونحكم سلوكنا بها، وازدواجية اللغة تنتج، بلا شك، ازدواجية في الفكر وازدواجية في السلوك الاجتماعي.

وهذه الازدواجية في اللغة ما هي إلا عامل واحد من عوامل عدة أثرت في الشخصية العربية وبناء العقل العربي، لأننا لانستطيع أن ننكر أثر الثقافة الغربية في تكويننا بوصفنا عربًا يتعرضون دون شك لغزو ثقافي، وانفتاح عالمي لم يشهد له العالم العربي مثيلاً.

الازدواج الثقافي

إن الإنسان العربي ينظر إلى قوة العالم الغربي فيدهش ويثق في ثقافة الغرب، فأمريكا مثلاً استطاعت أن تصبح أقوى دولة خلال قرنين من الزمن، وهذا مثال يجعل الإنسان العربي عاجزًا بثقافته أمام مثل هذه الحضارة، وهذا مايذكره الدكتور فؤاد زكريا في كتابه (العرب والنموذج الأمريكي) حين يقول: "لقد أصبحت الوصفْة غاية في البساطة، أمريكا بنت نفسها في قرنين من الزمان وأصبحت أعظم بلاد العالم، إذن فاتباعنا للنموذج الأمريكي، سوف يجعلنا بدورنا عظماء متقدمين وسينقلنا من الفقر إلى الغنى، ومن الضعف إلى القوة"(١).

نعم إنها قوة الغرب، فهل نتخلى عن ثقافتنا وتراثنا ونحتضن ثقافة غريبة علينا، وليست لنا لنستطيع أن نقاوم عالمًا قويًا؟ هكذا تتشكل الازدواجية الثقافية في ذهن الإنسان العربي، فهل يتخلى عن ثقافته أم يتحدى بها ثقافة الغرب؟

إن الآراء التي تطرح من أجل الوقوف أمام هذا الغزو الثقافي تقوم على أساس هضم هذه الثقافة وإعطائها صبغتها العربية الأصيلة، وهذا الرأي يتبناه كبار المفكرين في عالمنا العربي، فالثقافة العربية بتراثها وأصالتها قادرة على أن تستوعب جميع الثقافات، وتعيد صياغتها بالطابع العربي الأصيل دون أن تؤثر في بنيان النفس العربية واتزانها. فالرأي المذكور آنفًا هو الحل الوحيد للوقوف أمام هذه الثنائية الثقافية. ومع ذلك لايمكن أن يكون هذا الحل حلاً شاملاً بسبب اختلاف مستوى التعليم وكيفيته في البلدان العربية، لأن التعليم الحكومي يختلف في أهدافه الثقافية عن التعليم الخاص والتعليم في المؤسسات التابعة لحكومات أجنبية، وبذلك يصبح الازدواج الثقافي كيفيًا في مجتمع تنوعت فيه مناهل ثقافته.

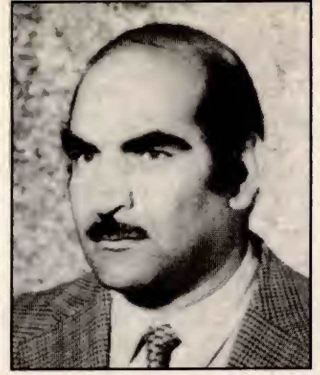
والحقيقة أننا في تسميتنا للثقافة الآتية من الغرب بثقافة الغرب نعطي للغرب صفة لايستحقها بالشكل الكامل، لأن ثقافة أي شعب ما هي إلا نتاج حضارات عدة اختلطت عبر الزمن، واندمجت أفكارها لتنتج حضارة جديدة.

إن الثقافة الغربية تؤثر في ازدواجية الثقافة العربية بشكل سيِّئ من ناحيتين كما يقول إبراهيم منصور في كتابه (الازدواج الثقافي):

١ـ العدوانية الشديدة: وذلك لارتباطها تاريخيًا بالفتوحات الاستعمارية.

٢ـ تجاهلها الثقافات الأخرى؛ فالثقافة الأوربية ـ مثل إله يهوذا ـ لاتقبل سوى نفسها ولاتعترف إلا بها، وهي تحارب وتحاول أن تسحق كل ما

أزمة الازدواج الثقافي في العالم العربي



د. محمد عابر الجابري



د. فؤاد زكريا

يعاصرها من ثقافات أخرى ويختلف عنها.."(٢).

ومن مظاهر الازدواج الثقافي والفكري مانشهده اليوم من اعتراف وتبادل للعلاقات بين إسرائيل والعرب. وهنا تتفاقم الازدواجية، فمناهجنا التربوية والتعليمية التي نلقنها للشباب تنفي بشدة وجود أي علاقة من الممكن أن تقام بيننا وبين إسرائيل، فما بالنا اليوم ونحن نعترف بإسرائيل وتعترف بنا. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل ستكون هناك مناهج جديدة لكي نتخلص من هذه المفارقة الفكرية التي صُدِمَ بها شبابنا؟ وهل ستبين هذه المناهج أن العلاقة بيننا وبين إسرائيل علاقة من الممكن أن نتقبلها في المستقبل؟

هذا سؤال لانريد أن نناقشه بحدة لأن الأيام كفيلة بالإجابة عنه.

إن الازدواج الفكري في البلاد العربية ينمو منذ الطفولة ويكبر في مراحل الرجولة أمام المفارقات التي تكبر وتتضح يومًا بعد يوم.

الازدواج الديني

ومن أهم أنواع الازدواج الذي نعيشه في أيامنا هذه، الازدواج الديني والتناقض القائم بين المثال والواقع، فالدين يرسم دنيا العفاف والطهارة، ويبين النتائج الطيبة لهذه الحياة. أما الواقع - وما أصعبه من واقع - فهو واقع التكالب والطمع والغدر. وأمام هذه الازدواجية يقف شبابنا حائرين. فالإيمان المطلق بالواحد الذي هو نور كل الأشياء وليس كمثله شيء، بينما حياة الواقع والسطوة والسلطة تفرض الخوف والوقوف الحائر بين المثال والواقع.

إن عالم البطولة والتضحية والاستشهاد والمروءة في الإنسان العربي يتحطم يومًا بعد يوم؛ لأنه يبحث عنها دفاعًا عن شخصيته وتربيته التي تلقاها منذ الصغر فلا يجدها على أرض الواقع، فيصاب بازدواج يقف أمامه مشدوهًا عاجزًا، وهو الازدواج بين المثل العليا التي بحث عنها لينفذها فلم يجدها وبين الواقع، وبذلك يحدث الصراع النفسي الذي يعانيه إنساننا العربي في أيامنا وواقعنا هذا.

الازدواج بين الأصالة والحداثة

إن الصراع الذي تعيشه أمتناعامة، ومثقفونا خاصة، هو صراع بين القديم الموروث والحديث المحلي أو الآتي من الغرب، وهذا الصراع تتحكم فيه عوامل متنوعة، فطبيعة الذات العربية المتعصبة أحيانًا للقديم والتمسك بالتاريخ والقدرات المحلية الحديثة الضئيلة قد تفرض تطرفًا للتراث من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن ضرورة التطوير والبحث عن ذات متميزة تستطيع أن تواكب الحضارة الحديثة تفرض علينا الأخذ بالحديث.

إن هذه الثنائية أو المفارقة تتضح يومًا بعد يوم، ويتضح أمامنا أيضًا أن الزمن والتطور لاينتظران المتخلفين، لاسيما بعد أن أثبتت ثقافتنا ثباتها زمانيًا ومكانيًا، بينما اتضح أن ثقافة الغرب ثقافة تعتمد على النقل من تطور إلى تطور ومن مكان إلى آخر. وهذا الرأي يكاد يقرره الدكتور محمد عابد الجابري حينما يقول: "وأكاد أقرر أن الحركة الثقافية العربية كانت ومازال حركة اعتماد لا حركة نقلة وبالتالي فزمنها مدةٌ يَعُدُّها (السكون) لا الحركة، وهذا على الرغم من جميع التحركات والاهتزازات التي عرفتها"(٣).

وهذا الكلام ينطبق تمامًا على التعريف المشهور للثقافة الذي يقول: الثقافة هي مايبقى عندما يتم نسيان كل شيء. فما الذي يبقى من ثوابت الثقافة العربية؟ هذا السؤال إذا سألناه أنفسنا لاتَّهَمْنا الثقافة العربية اتهامات خطيرة أمام هذا الغزو الثقافي الآتي من الغرب، والذي أثبت جدارته في بناء حضارة غربية. والحل للخروج من هذه الازدواجية كما طرحه المفكرون هو: "إن التقدم يتطلب الوعي الكامل بأن المعرفة ملك البشر جميعًا، وبأن اكتسابها حق من حقوقهم وبأن من يتخلى عن ذلك الحق أو يتهاون فيه قد يحكم على نفسه وعلى مجتمعه بالتخلف المؤبد"(٤).

ولكن هذا الدمج بين التراث والحداثة يجب أن يكون على أسس سليمة، وأن نعطيه - كما ذكرنا سالفًا - صبغة خاصة بنا كعرب، فنحن نريد عقلاً مكوِّنًا يخلق حضارة عربية تشرفنا لا عقلاً مكوَّنًا ثابتًا. فالصراع القائم بين الأصالة والحداثة صراع لايمكن أن ينتهي لأنه جدل من أجل الدمج والتطور.

خاتمة

إن ما عرضناه من ازدواج فكري وثقافي وديني في العالم العربي يؤثر في بناء العقل العربي وسلوكه بشكل يجعل شخصيته مزدوجة ذات وجهين.

وللخلاص من هذا الازدواج الثقافي العربي، ولانعني هنا بالخلاص إلغاء الازدواج الثقافي لأن ذلك غير ممكن بحكم الاتصال الثقافي والعلمي بين الدول والذي يجب أن يتم، وإنما نعني بالخلاص خلق شخصية عربية أصيلة، تبنيها مناهج تربوية حديثة تعتمد على الأسس الحديثة لبناء الإنسان المطمئن صاحب الروح الجميلة القوية التي تستطيع أن تستوعب الحضارة الغربية، وتدمجها بالحضارة العربية، وتعطيها قالبًا عربيًا أصيلاً.

إن الاعتماد على توازن الشخصية وخلق الثقة في النفس العربية يأتي من طريق الأديان السماوية التي تحقق السلام والطمأنينة في القلوب البشرية على أسس واقعية. إن السلام والطمأنينة في النفس الإنسانية دليلا الإنسان في حياته ومستقبله.

الحواشي:

١- العرب والنموذج الأمريكي، د. فؤاد زكريا، ص ٥.
٢- الازدواج الثقافي وأزمة المعارضة، إبراهيم منصور، ص ٣٦.
٣- تكوين العقل العربي، د. محمد عابد الجابري، ص ٤٢.
٤- التخلف لماذا..؟ والتقدم... لم لا؟ أحمد قائد بركات، ص ١٣٢.

نشأة العلمانية

لم تنشأ العَلْمانية في أرض الإسلام ولا في أرض المشرق بصفة عامة، لأن دواعي ظهورها لم تكن موجودة هناك، وإنما ظهرت في أوربا المسيحية التي هيمنت فيها الكنيسة على كل شيء؛ فالعلم والتربية والأخلاق والسياسة والاقتصاد والحكم والأدب والفن مرده إلى سلطان الكنيسة، وكل ماخالف تفسيرات الكنيسة ومقولاتها فهو باطل، وكل من اعتنق شيئًا مخالفًا لما تقول به الكنيسة وجبت محاكمته، وربما وصل الأمر بهم إلى اعدامه حرقًا. ولقد بلغ الذين صدرت ضدهم أحكام من الكنيسة ٣٤٠ ألفًا حتى سنة ١٨٠١م، أُحرق منهم مائتان أحياء(١)، ولم يكن هذا الأمر محتملا، لا من جمهور الناس، ولا من العلماء والمفكرين.



د. عبده زايد

وكان التمرد السياسي على الكنيسة أسبق، ولقد ذكر كافين رايلي أن أقدم إمارة علمانية أقامها فريدريك الثاني في جنوب إيطاليا قبل أن يبدأ عصر النهضة بثلاثة قرون تقريبًا: "كانت هذه الدولة ملكية مطلقة بالمعنى الحديث للكلمة، فقد حررت نفسها من أي تأثير أو نفوذ للكنيسة، ولم يكن القائمون على هذه الدولة من رجال الإكليروس، بل كانوا أناسا عاديين، وكان للمسيحيين واليهود والمسلمين حقوق متساوية في الإدارة، ولم يُستبعَد أحد لأسباب دينية، ولم تكن التفرقة بين النِّحَل أو الأمم أو الأجناس معروفة في بلاط فريدريك الثاني، وكانت المصلحة العليا هي مصلحة الدولة العلمانية - الدولة الدنيوية"(٢).

وكان من جراء هذا أن حَرَمت الكنيسة فريدريك الثاني حرمانا كنسيا مرتين، أما دانتي فقد وضعه في قاع الجحيم في حلقة المهرطقين(٣)، وفي عام ١٢٤٥م أصدر البابا قرار بخلعه مغضوبًا عليه(٤).

وفريدريك الثاني هذا هو آخر أباطرة العصور الوسطى، وقد اجتمع له من الصفات مالم يجتمع لرجل واحد، وربما كانت نشأته في صقلية حيث ملتقى الأديان والأجناس، ومعرفته اللغة العربية، ومخالطته المسلمين، واصطناع بعضهم وراء تمرده على سلطان الكنيسة، وإقامة دولته العلمانية. ومما يؤيد ذلك أنه بدا كالشرقي في عاداته وحياته الخاصة، وقد كان جريئًا ثائرًا على القديم في جميع مناهجه وآرائه، لهذا ولغيره نعته معاصروه بأنه أعجوبة العالم(٥).

وقد كانت محاولة فريدريك الثاني حلقة في سلسلة الصراع بين الكنيسة والدولة على السلطة الزمنية، والذي بدأ منذ زمن بعيد. ويمكن أن تجد لذلك صورة واضحة في الصراع بين الإمبراطور أوتو الكبير، والبابا جون الثاني عشر في العقد السابع من القرن العاشر الميلادي(٦)، ولم ينقطع هذا الصراع حتى انتصرت الدولة العلمانية في نهاية الأمر في بداية عصر النهضة الأوربي.

ومما يذكر أن ملوك أوربا في صراعهم ضد الكنيسة استخدموا نظرية الحق الإلهي في الحكم في محاولة لتحرير الحكومة المدنية أو العلمانية من رقابة البابا أو الكهنة(٧)، وقد انتشرت نظرية الحق الإلهي للملوك حيث وجدوا فيها ضالتهم، حتى أصبحت مقبولة من الشعب في مختلف بلاد أوربا. ومادام الحكم هبةً إلهية مباشرة، فلايليق "بأي إنسان يدّعي أنه مسيحي أن يثور ضد حكومته، سواء تصرفت عدلا أو ظلمًا" كما قال مارتن لوثر، بل لقد ذهب لوثر إلى أبعد من هذا حينما قال: "أمراء هذا العالم آلهة، وعامة الشعب إبليس الجحيم"(٨)

ومع مرور الزمن تبلور هذا الصراع في مذاهب سياسية في ظل نشوء القوميات، وكان ميكيافيللي أبرز منظر للدولة العلمانية.

وكان كتابه "الأمير" الذي ألفه عام ١٥١٣م أشهر كتاب وضع فيه تصورا للدولة العلمانية على أساس ثوري متطرف في عصره(٩) فَصَل فيه السياسة عن الأخلاق، وذهب إلى أن الأخلاق تتحدد وفق احتياجات الدولة" فَحلَّت أخلاق الدولة ودين الدولة محل الأخلاق المسيحية

التقليدية للحكم"(١٠)، وَعَرَّفَ السياسة بأنها نشاط علماني(١١).

وبما أن كتاب "الأمير" لم يطبع في حياة مؤلفه، فإنه قد نجا من عقوبات الكنيسة. فلما طُبِعَ الكتاب بعد وفاته بخمسة أعوام (عام ١٥٣٢م)، وتوالت طبعاته في العشرين سنة التالية، حتى وصلت إلى خمس وعشرين طبعة هاجت الدنيا ضده، فقد "اتهم في روما بالإلحاد، وحُرّمت مؤلفاته فيها وفي كل مكان بأوربا، وأحرق اليسوعيون تمثالا صغيراً له في ألمانيا، واشترك الكاثوليكيون والبروتستانت في الدعوة ضده، وفي سنة ١٥٥٩م وضعت جميع مؤلفاته في قائمة الكتب المحرَّمة"(١٢).

ولكن هذه الثورة ضده لم تمنع قيام الدولة العلمانية في أوربا وانتشارها في محاولة للانعتاق من سلطان الكنيسة التي هيمنت على كل شيء: "لما كان البابا ممثلا لله على الأرض فقد ادّعى لنفسه سلطة مطلقة"، "ولم يكن البابا الملك المطلق في المملكة الروحية فحسب، ولكنه ادّعى ومارس إلى حد بعيد تلك السلطة التشريعية الشاملة التي زعم مشرعو روما في القديم أنها من حق السلطان، ولقد كان البابا الواضع الأول للقوانين ومصدر كل نَبَالة، بما في ذلك نَبَالة الملك، والمصدر الشرعيّ الوحيد للسلطة على الأرض، ومؤسس جميع الرهبنات، وواهب الدرجات العلمية الجامعية، والقاضي الأسمى الذي يقسم الحقوق بين الأمم، وحارس الحق الدولي"(١٣).

ومع بداية عصر النهضة في أوربا بدأ الصراع الحقيقي بين الكنيسة والعلم الحديث.

لقد كان العلم التجريبي الذي ورثته أوربا عن الحضارة العربية الإسلامية، وانطلقت به، يقول شيئًا، والكتاب المقدس بحسب التفسير الكنسي يقول شيئًا آخر، ولم يكن أمام العلماء إلا أن يؤمنوا بما انتهت إليه تجاربهم وأصبح يقينًا لديهم، وكان معنى هذا ان يكفروا بما يقوله الكتاب المقدس، أو بما يقوله رجال الدين في تفسيرهم للكتاب المقدس، فإذا أعلنوا إيمانهم بحقائق العلم التي تخالف الكتاب المقدس وُوجهوا بالحرمان الكنسي، أو بأحكام مختلفة قد تنتهي بهم إلى الإعدام حرقًا، ولاينقذهم من هذا إلا إعلان التوبة والكفر بهذه الأفكار المهرطقة.

وإذا كان كوبرنيكوس - معاصر ميكيافيلي - الذي قال بأن الشمس هي المركز، وأن الأرض تدور حولها نجا من عقاب الكنيسة بموته قبل انتشار كتابه، وبسبب المقدمة المضللة التي كتبت لكتابه، فإن الكنيسة قد انتقمت من أنصار نظريته، مثل برونو، الذي "أُدين، فأُحرق مربوطًا إلى عمود، في شباط/ فبراير سنة ١٦٠٠م، ومثل جاليليو، الذي أجبرته محكمة التفتيش، على أن يجثو على ركبتيه، ويدحض جميع معتقداته، ونظريات كوبرنيكوس، وحُكم عليه بالسجن بقية أيام حياته"(١٤).

أما موقف الكنيسة من مذهب كوبرنيكوس فكان على النحو التالي: "الاقتراح الأول القائل بأن الشمس هي المركز، وأنها لاتدور حول الأرض حماقة وسخف وزيف في علم اللاهوت، وهرطقة، لأنه يناقض على طول الخط ما جاء في الكتاب المقدس، وأما الاقتراح الثاني القائل بأن الأرض تدور حول الشمس وليست في المركز فسخيف وزائف فلسفيًا، ومن الناحية اللاهوتية يعارض على الأقل العقيدة الحقيقية"(١٥).

ولم يكن من الممكن لشرارة العلم التي انطلقت أن تتوقف مهما بلغت التضحيات، وكان كل فتح جديد في دنيا العلم يعني زيادة في الكفر بمقولات رجال الكنيسة، وفي كل يوم جديد كان العلم يزداد قوة وانتشارًا، وكانت الكنيسة تفقد موقعًا من مواقعها، حتى وصل المجتمع الغربي إلى اقتناع كامل بأن الكنيسة يجب أن ترفع يدها عن شؤون الحياة كلها، وألا يتجاوز سلطانها حدود جدرانها، ولم يتحقق ذلك في يوم وليلة، ولم يكن الطريق إلى هذه النتيجة مفروشًا بالورود؛ فقد استمر قرونًا بين شد وجذب، وتوارد عليه رجال يكفرون بسلطان رجال الكنيسة ولايكفرون بالدين، ورجال يكفرون بالكتاب المقدس نفسه وبكل مقولاته، ويجاهرون بذلك بلا مبالاة ولاخوف من حرمان كنسي،أو عقوبة من عقوبات محاكمة التفتيش. وَعُرِفَ هؤلاء المعارضون للكنيسة ولسلطانها بأنهم أحرار الفكر، وَعُرِفَ عصرهم بعصر التنوير، والاستنارة. وهذا يعني أن الاعتماد على التفكير العقلي المجرد هو الذي يقودهم إلى التقدم والنهضة والتطور، وأن الاعتماد على مقولات الكنيسة هو الذي يشدهم إلى التخلف والاستكانة والخنوع. ومن هنا التصقت بالكنيسة ورجال الدين والكتاب المقدس كل الصفات السلبية، التي انطلقت من ألسنة العلماء ودعاة العقلانية.

وهكذا أصبحت الكنيسة في واد، وحركة الإنسانية في واد آخر، حتى ألقت الكنيسة بآخر سهم في جعبتها، وهو مبدأ عصمة البابا من الخطأ، الذي أعلنه المجمع المسكوني العشرون للكنيسة الكاثوليكية الرومانية سنة ١٨٧٠م، فقد "نص على وجوب اعتبار مبدأ العصمة عقيدة مستوحاة من الله، تلك العقيدة القائلة بأن البابا حين يتكلم بصفته الرسمية إنما يملك تلك العصمة التي شاء المخلّص الإلهي أن يمنحها للكنيسة"(١٦).

ولم يكن هذا المجمع قد اجتمع منذ القرن السادس عشر أي منذ بداية عصر النهضة، ولكن هذا الإعلان لم يكن إلا حشرجة الموت، فقبل انصرام هذا العام كانت قوى

نشأة العلمانية

المملكة الإيطالية الجديدة قد احتلت روما، وكان المجلس قد انفض ، وأصبح البابا سجين الفاتيكان(١٧).

هذه هي الأرض التي نمت فيها بذرة العلمانية، وهذا هو المناخ الذي أنشأها، وهي ظروف محلية خالصة ليس لها صبغة عالمية بحال.

وقد ترتب على سلطان العلمانية أن انطلقت الأفكار من عقالها؛ فظهرت المذاهب الفلسفية والاجتماعية والتربوية والنفسية والأدبية والفنية وغيرها، دون أن تتقيد بسلطان الكنيسة أو بمقولات الكتاب المقدس، وأصبح النشاط الإنساني في الغرب كله نشاطًا علمانيًا خالصًا، ولم يعد للوحي ولا للدين مكان في حياة الناس، وأصبحوا يديرون حياتهم وفق مايرون أنه في صالحهم، وأصبح العقل معيار الصواب والخطأ والحق والباطل، وأصبحت حياة الناس ومصالحهم ورغباتهم منبع القوانين والتشريعات، وأصبح الدين علاقة خاصة بين العبد وربه، لاعلاقة للمجتمع به لا من قريب ولا من بعيد، فلاعلاقة له بأمر ولا نهي، ولاحرام ولاحلال.

ولم ير المجتمع الغربي العلماني تناقضًا بين أن يسلك الإنسان سلوكًا معينًا هو في عرف الكنيسة حرام، ثم يتردد على الكنيسة في أيام الآحاد لأداء الصلوات والتراتيل، لأن سلطان المجتمع هو المرجع في مايجوز ومالايجوز. وحينما انتهت رحلة العلمانية إلى اعتراف المجتمع بحق الشذوذ الجنسي، وإباحة زواج الذكر من الذكر والأنثى من الأنثى على يد رجال الدين، وإلى زواج الرجل من محارمه لم تكن في ذلك مخالفة لمبدأ، ولامعتدية على تشريع، لأن التشريع من حقوق المجتمع؛ فما يراه صوابًا فهو صواب، ومايراه خطأ فهو خطأ، ولابأس أن يقر المجتمع شيئًا ثم يحظره بعد ذلك إن رأى في ذلك مصلحة لأفراده. ومن هنا انتزعت العلمانية مكان الدين، وانتزع المجتمع سلطان الله في التشريع والأخلاق والجزاء والعقاب!!

وإذا كانت العلمانية هي الحل الوحيد لمشكلة أوربا مع الكنيسة - من وجهة نظرهم- فإنه ليس من الضروري أن تكون هي الحل الوحيد لمشكلة أي مجتمع مع الدين الذي يعتنقه، هذا إن كانت هناك مشكلة من الأصل.

لقد كانت الفترة التي ألقيت فيها بذرة العلمانية في أوربا فنمت وأينعت، وأثمرت فترة ركود في المشرق الإسلامي، بعد مرحلة الإبداع والازدهار والنهضة والتطور، التي سادت البيئة الإسلامية في القرون الأولى، ولم تكن فترة الركود راجعة إلى سلطان للمسجد يحول بين العقول والنظر الحر المجرد والاكتشاف والابتكار.

فليس للمسجد سلطان كسلطان الكنيسة، وليس هناك «بابا» للمسلمين يبسط سلطانه على عقول الناس وأفكارهم، ويهيمن على كل أنشطة الحياة.

وليس هناك أحد كائنا من كان يملك تفسيرًا وحيدًا للقرآن الكريم، ويمنع الناس بسلطان الدين من الأخذ بما سواه.

وليس هناك أحد يدعي لنفسه حق العصمة من الخطأ إلا مازعمه الشيعة للإمام في عقيدتهم، وهي عقيدة لايؤمن بها جمهور المسلمين.

ثم إن تاريخ الإسلام لم يكن فيه مايجعل للحاكم حقًا متميزًا على أحد من أفراد المسلمين، ولم يكن فيه تمييز بين الناس بسبب من الدين أو الجنس أو اللون، فحقوق المنتمين إلى المجتمع الإسلامي واحدة. وفي الوقت الذي كانت أوربا غارقة فيه في حروب دينية بين المذاهب المسيحية المختلفة، كان المجتمع الإسلامي يضم المسلمين والنصارى واليهود والمجوس وغيرهم، وكان كل إنسان آمنًا على نفسه وماله وعرضه، ولايقع عليه عقاب إلا بسبب ذنب جناه، ولايحال بينه وبين أن يتبوأ أرفع المناصب إن أهلته كفاءته لذلك، ولم يمنع الفقه الإسلامي غير المسلمين من أن يتبوّؤا المناصب المختلفة في الدولة الإسلامية، إلا الولاية العامة ووزارة التفويض والقضاء وأمر الجهاد.

من هنا فإن الإسلام لم يكن سبب الركود والجمود والجهل وقتل الإبداع والحيلولة دون التقدم والنهضة، وإنما كان البعد عن الإسلام -ذلك الدين القيم الذي فتح آفاق المعرفة على أوسع أبوابها، وجعل التفكير فريضة واجبة- هو السبب في هذا التخلف والركود.

وفي الوقت الذي انطلقت فيه أوربا حينما نَحَّتْ الكنيسة عن شؤون الحياة، ارتكس المسلمون حينما نَحّوا الإسلام عن شؤون الحياة. وهكذا اتسعت الفجوة بين أوربا المتقدمة المنطلقة والمشرق الإسلامي الذي كان دونها بمسافة طويلة.

الهوامش:

١ - د. عبدالمنعم النمر، الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغزاء، ص ٣٠٩، هامش ٢ .
٢ - كافين رايلي، الغرب والعالم، ٢/١٥.
٣ - السابق: ٢/١٦. وانظر أيضًا: هـ.ا.ل. فشر، تاريخ أوربا، العصور الوسطى، ١/٢٥٢.
٤ - هـ.ا.ل. فشر، مرجع سابق: ١/٢٥٣.
٥ - السابق: ١/٢٤٩، ٢٥٠.
٦ - د. عبدالقادر أحمد اليوسف، العصور الوسطى الأوربية، ١٤٣-١٤٦.
٧ - جون هرمان راندال، تكوين العقل الحديث، ١/٢٧٥.
٨ - السابق: ١/٢٧٦ .
٩ - كافين رايلي، مرجع سابق: ٢/١٧.
١٠- السابق: ٢/٢٠.
١١- السابق: ٢/٢٩.
١٢- روبرت .ب .داونز، كتب غيرت العالم، ص ٤٤.
١٣- جون هرمان راندال، مرجع سابق: ١/٢٧٢. وانظر أيضًا: هـ.ا.ل فشر، مرجع سابق: ١/٣٣٣.
١٤- روبرت .ب. داونز، مرجع سابق: ٢٢٩.
١٥- السابق: ص ٢٢٨.

مخطوطات
جديرة بالدراسة والنشر

الاتصال في مختلف النسبة لمغلطاي بن قليج

٢

١٧



حلقات يكتبها :
حمد الجاسر

مؤلفات مُغُلْطاي

لاأستبعد أن من آثار عداء معاصري مغلطاي له ضياع كثير من مؤلفاته، التي ذكر مترجموه كابن حجر في «الدرر الكامنة»(١) نقلاً عن الشهاب ابن رجب (٢): «عدة تصانيفه نحو المئة أو أزيد». ومع ذالك فلم يذكروا منها سوى مايزيد على العُشر بيسير كما سيأتي .

ومن طالع مابقي منها يبلغ به العجبُ مبلغهُ من غزارة علمه، وتنوع معارفه، وكثرة مايرجع إليه من المؤلفات. وهذا مالاحظه الصفدي الذي وصفه بكثرة المطالعة والكتابة والدأب، وعنده كتب كثيرة جداً(٣).

وسأكتفي من ذكر مؤلفاته بما ذكره ابن حجر في «الإصابه»، والسيوطي في «حسن المحاضرة»، والزركلي في «الأعلام». مع الإشارة إلى ماهو معروف منها. وكان مما رجعت إليه البحث القيم الذي كتبه الأستاذ محمد علي قاسم العمري، من طلبة قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية، وقد أبلغ تلك المؤلفات إلى (٣٣) كتابا ليس كلها موجودا، وفي بعض ماذكر ماهو محل للنظر، ولاتفوت الإشارة إلى أن مغلطاي في كتبه المعروفة سَمَّى من مؤلفاته مالم يَرِدْ له ذكرعند مترجميه :

١- «الاتصال في مختلف النسبة»، وهو موضوع البحث، وجاء في كتاب الأعلام بعد ذكر «الاتصال» ووصف مخطوطته: «(الإيصال (؟) في اللغة) المجلد الأول منه بخط المؤلف في (خزانة الرباط) (٣٦١)» وهذا سهو من صاحب «الأعلام»، فهذه النسخة هي كتاب «الاتصال»، الذي ذكره كما أوضح لي هذا أستاذنا المحقق الدكتور محمد بن شريفة (محافظ خزانة الرباط)(٤).

٢- «الإشارة» في السيرة مختصر (الزهر الباسم) مع إضافة سير بعض الخلفاء، ومنه مخطوطات عدة، منها مخطوطة نفيسة رأيتها في سنة (١٣٥١هـ) في (مكتبة الحرم المكي) والكتاب مطبوع قديمًا، ومنه نسخ مخطوطة في عدة مكتبات ، وقد رجع إليه تقي الدين الفاسي في «العقد الثمين» ـ١/٢١٨ ـ قائلاً عن مغلطاي: «وإنما عولت على كتابه دون غيره من الكتب المصنفة في هذا المعنى على كثرتها، لأن كتابه أكثر فوائد، وفيه من الفوائد النفيسة مالايوجد في كثير من الكتب المبسوطة في هذا المعنى، وأضفت إلى ماذكرته من كتابه فوائد لم يذكرها».

٣- « إصلاح ابن الصلاح في مصطلح الحديث» ، وهو مثبت في حواشي «علوم التاريخ» لابن الصلاح ، على ماجاء في كتاب «تاريخ الأدب العربي» ج ١، ص ٢٠٣، في دار الكتب المصرية.

٤- «الإعلام بسنته عليه السلام» شرح «سنن ابن ماجة» في خمسة مجلدات، موجود منها اثنان بخط مؤلفه كُتبا سنة (٧٣٢هـ) في خزانة (فيض الله) في اسطنبول برقم (٣٦٢)، وثلاثة مجلدات في (المكتبة الآصفية) في الهند، وثلاثة في (دار الكتب المصرية) من أجزاء مكررة.

٥- «إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، قام أحد أبنائنا وهو الأستاذ محمد علي قاسم العمري بتحقيق قطعة من هذا الكتاب، وكتب مقدمة ضافية عن الحافظ مغلطاي، ومنهجه في كتابه «تهذيب الكمال» رسالة «دكتوراه» بإشراف الدكتور محمد ميرة سنة (١٤٠٢هـ)،وقدم لي نسخة من هذا البحث مشكوراً الابن عبدالرحمن بن ناصر السعيد، الذي يقوم بدراسة وتحقيق « الزهر الباسم» وفقه الله. وقد وصف العمري من مخطوطاته أجزاء مفرقة في (مكتبة الأزهر) في القاهرة، وفي (دار الكتب المصرية)، وفي (مكتبة فيض الله) و (مكتبة قليج علي) في اسطنبول، ومن تلك الأجزاء المفرقة ماهو بخط مغلطاي، ولايوجد الكتاب كاملا.

مخطوطات جديرة بالدراسة والنشر

وقد اطلعت على مصورة مخطوطة تقع في خمسة أجزاء (تجزئة حديثة) من أول الكتاب إلى نهاية ترجمة شريك بن عبدالله النخعي، المتوفى سنة سبع وسبعين ومئة، وفي آخر حرف الألف من المجلد الأول ثلاثة أبيات يبدو أنها للمؤلف هي :

العاجزون يرون قولك مُفْضَلاً
والعالمون يرونه كالمعوز
من غير ماطُوْل كَتَبْتُ مجلدا
لو شئتُ أكتبُ سابعا لم أعجز

وبعده بيت ثالث .

وفي الجزء الأول: (صورة خط المؤلف الحافظ مغلطاي الحنفي بظاهر أصله الجزء الأول من كتاب «إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال»)، وتحته بخطه أيضًا:

اخترت ذا الاكمال من كُتب عدَّة
مشهورة كمذاهب النعمان
عجز الورى عن نيلها وأنالَنِيـ
ـها ذُو العلَى والطَّول والإحسان
في مدة قَصُرَتْ كَحلْبك ناقةً
أو قسمها بوجازة وبنان
زعم الجهول بأن سيدرك شأوَه
(قد حيل بين العَيْر والنزوان)
أيروم شيخا قصَّرت أشياخه
عن بعضه، والبيت ذي الأركان(٥)

وتحتها : (نقله كما شاهده عبد الرب بن أبي الفضائل بن الشحنة الحنفي). وأصل هذه المصورة التي اطلعت عليها محفوظ في (المكتبة السليمانية في اسطنبول) برقم (١٩٠)، والخط نسخي وليس قديمًا، ولكنه واضح.

٦- «انتخاب كتاب من وافقت كنيته اسم أبيه» للخطيب، رسالة في ثمان ورقات (في مكتبة أحمد الثالث) في اسطنبول، ومصورتها في (مكتبة الجامعة الإسلامية) في المدينة المنورة.

٧- «التحفة الجسيمة لإسلام حليمة» .

٨- «التلويح في شرح الجامع الصحيح» شرح «صحيح البخاري» في عشرين مجلدًا، في مكتبة (فيض الله) في اسطنبول منه خمسة عشر مجلداً برقم (٤٧٧).

٩- «جمع أوهام التهذيب».

١٠- «الخصائص النبوية»، رسالة في ست ورقات في (المكتبة الملكية في الرباط)، وفي (خزانة ابن فارس الأدوزي في السوس في المغرب) .

١١- «زوائد ابن حبان على الصحيحين».

١٢- «الزهر الباسم في سير أبي القاسم»، وهو من أحفل الكتب في موضوعه، وتعقب كثيراً من العلماء الذين كتبوا في السيرة، أو شرحوا ماأُلِّف فيها، مثل السُّهَيلي والخشني وغيرهما، وقد نصحت أحد أبنائنا للقيام بدراسته وتحقيقه، فاتَّجه لذالك منذ نحو عام.

١٣- «فتوح أفريقية من المهدية إلى أرض المغرب»، وصفه الدكتور محمد عبدالله عنان في «فهارس الخزانة الملكية» ٣٧١/١ بأنه مجلد ضخم، منه أربع نسخ وصفها، وذكر أنه طُبعَ في تونس في جزءين سنة ١٣١٥هـ.

١٤- «منارة الإسلام، رتب فيه بيان الوهم لابن القطان، وأضافها إلى الأحكام» للإشبيلي.

١٥- «الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين»، وعُرف لهذا الكتاب مخطوطتان، وقد أدمج البقاعي إبراهيم بن عمر المتوفى سنة (٨٨٥هـ) أغلب مافيه في كتابه «أسواق الأشواق من مصارع العشاق»، وتصدَّى لنشره - «الواضح» - المستشرق (اوتوسبيز) سنة ١٩٣٦م، وكان أستاذًا بالجامعة الإسلامية في (علي كَرَه) في الهند، فطبع القسم الأول في (٢٢٤) صفحة ولم يكمله (٦)، إذ توفي قبل الانتهاء من ذالك.

كتاب «الاتصال»

من المعروف أن أول من عُني بهذا الفرع من فروع العلم «المؤتلف والمختلف من الأسماء» هم علماء الحديث، كالدارقطني وعبدالغني بن سعيد، وبعدهما الخطيب البغدادي وغيرهم، حتى جاء الحافظ ابن ماكولا فألف كتابه «الإكمال» ولكنه لم يقتصر فيه على ماذكر متقدموه من الصحابة والتابعين، ورواة الحديث والفقهاء والمحدِّثين، لكنه توسع في ذالك، كما قال في مقدمة كتابه: «قدَّمْتُ في كل صنف الصحابةَ وأتبعتهم بالتابعين، فالأقدم من الرواة، ثم جعلت بعد من له ذكر في رواية، الشعراء والأمراء والأشراف في الإسلام والجاهلية، وكل من له ذكر في خبر من الرجال والنساء». انتهى. (٧).

ثم جاء مَنْ بعدَ ابن ماكولا فلم يتوسعوا توسُّعَهُ ، وإنما اقتصروا على ماعُني به مَنْ قبله، كما يتضح هذا من مؤلفاتهم، ومن أوسعها كتاب «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» لابن حجر العسقلاني.

أما كتاب مغلطاي الذي سماه «الاتصال لكتاب ابن سَليم وابن نُقْطَة والصابوني والإكمال» كما يتضح هذا من مقدمته، فقد نهج منهج ابن ماكولا في التوسع، بل عُني عنايةً بالأخبار والأشعار قد تفوق عناية ابن ماكولا، ومن هنا تبرز ميزة كتاب مغلطاي، وأنه وإن لم يهمل الجانب الذي عناه علماء الحديث إلاّ أنه أفسح للأخبار والأشعار في كتابه ماجعله أشبه بكتاب أدب وتاريخ، ومن هنا تَبْدُو ميزته التي قال عنها الحافظ ابن حجر: الذيل الذي ذيل به أجزاء العلامة علاء الدين مغلطاي، وهو ذيل كبير. وأضاف بعد وصفه بأنه كثير الأوهام والإعادة قائلاً: «والإيراد لما لاتمس الحاجة إليه غالبا»(٨). وجاء بعده السخاوي في كتاب «فتح المغيث شرح ألفية الحديث»(٩) فقال: «وكذا ذَيَّلَ على ابن نقطة العلاءُ مغلطاي جامعًا بين الذيلين لابن الصابوني وابن العمَّادية، مع زيادات من أسماء الشعراء وأنساب العرب وَغيَر ذلك، ولكن فيه أوهام وتكرار، حيث يذكر ماهو صالح لإدخاله في الباء والتاء والسين والشين مثلاً في أحدهما، ويكون من قبله ذكره في الآخر»(١٠). وتقدم قول صاحب «كشف الظنون» في وصف هذا الكتاب.

ولكي يتَّضح منهج مغلطاي في كتابه يحسن أن تُقَدَّم للقارىء مقارنةٌ بين بعض ماورد فيه، وماورد في كتاب الحافظ ابن حَجَر في «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه»(١١). ذكر ابن حجر في حرف الجيم مانصه: «جَزْءٌ بفتح الجيم وسكون الزاي وبعدها همزة: أحمد بن جَزْء السدوسي، ومَحْمِيةُ بن جزء الزُّبَيْدي، وابن أخيه عبدالله بن الحارث بن جَزْء، وجَزء بن مالك الأنصاري، وجزء بن حَدْرَد، صحابةٌ، وزياد بن جزء الزُّبيدي مخضرم، وأبو جَزْء محمد بن حمدان عن أبي العيناء، وجزء بن معاويه، عمُّ الأحنف بن قيس. قلت: وجَزء بن ضرار أخو الشَّمَّاخ، وجزء بن علقمة التيمي، وأبو جزء خالد بن جعفر بن كلاب شاعر، والربيع بن عبدالله بن الحارث بن جزء يروي عن أبيه، وعُمَارةُ بن جزء، عن رجلٍ من كلب، وشقيق بن رباح بن عمرو له ذكر، والمُحَلَّقُ بن جزء، من بني أبي بكر بن كلاب، وأزهر بن يزيد بن عبد يَغوث بن جزء المُرداي ثم الغطيفي، شهد فتح مصر، وجزء بن أنس السلمي، له صحبة ورواية عند بنيه، وجزء بن الحدرجان له ولأبيه صحبة ورواية عند بنيه، من طريق جزء بن عبدالرحمن بن جزء بن الحدرجان ، عن أبيه عن جده، واختلف في بعض هؤلاء، فقيل: هكذا، وقيل كالذي قبله». انتهى.

وفي كتاب «الاتصال في مختلف النسبة»(١٢): (باب جَزْء وحُرٍّ وجَرٍّ وحق وحُنٍ وجنٍ) «أمـا الأول: بفتح الجيم وسكون الزاي وهمزة بعدها، كذا ذكره العسكري، وابن دريد في كتاب «الاشتقاق» فهو جزء بن ضرار أخو الشماخ بن ضرار، وهو القائل يرثي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:

عليك سلامٌ من أمير وباركتْ
يَدُ الله في ذاك الأديم الممزَّقِ
فمن يَسْعَ أو يركبْ جناح بعوضة
ليدرك ماقدَّمْتَ بالأمس يُسْبَقِ

www.ahlaltareekh.com

الاتصال في مختلف النسبة لمغلطاي بن قليج

٢

ولَمّا ذكره المرزباني قال: هو شاعر مخضرم مشهور، وبنحوه ذكره ابن سَلاَّم في كتاب «الطبقات»، وفي كتاب ابن سعد: فكانوا يرون أن قائل هذين البيتين الجن.

وجزء بن شريح بن الأحوص العامري شاعر.

وجزء بن كليب الفقعسي شاعر إسلامي خطب إليه رجل فقال:

وإنّا على عَضّ الزمان الذي ترى
نُعالج من كره المخازى الدواهيا
فلاتَطلُبَنْها يابن كوْزَ فإنه
غدا الناس مذْ قام النبي الجواريا[؟](١٣)
فإنَّ التي حُدِّثتها في أنوفنا
وأعناقنا من الإباء كما هيا

وجزء بن معاوية بن حصين عم الأحنف بن قيس، كان صحابياً وشاعراً، قال الشاطبي: هو بفتح الجيم وتسكين الزاي، وبعدها همزة، قيده أبو علي الغساني، وذكره الأمير - بكسر الجيم والزاي -، وهزَّانُ بن مرة بن جزء بن خالد بن جعفر، قتلته بنو فزارة يوم الرقم(١٤).

وأربد بن قيس بن جزء.

وعبدالعزيز بن زرارة بن جزء بن عمرو بن عوف بن كعب، كذا ضبطه الشيخ الشاطبي، كان سيد أهل البادية، وهو الذي أتى باب معاوية بن أبي سفيان فقال: مَنْ يستأذنُ لي اليوم أستاذن له غداً؟ توفي بالصائفة مع يزيد بن معاوية، فقال معاوية لأبيه زرارة: في هذا الكتاب موت سيِّد العرب، فقال زرارة: هو ابني أوابنك. قال: بل ابنكَ، وزرارة بن جزء هذا مَنْ مَرَّ مروانُ بن الحكم سنة بُويع على ماء لبني جزء وهو شيخ كبير، فقال: كيف أنتم آل جزءٍ؟ فقال: بخير، أنبتنا الله فأحسن نباتنا! ، ثم حَصَدَنا فأحسن حصادنا!، وكانوا هلكوا في جهاد الروم، ولذلك حديث ذكره في «الجمهرة» وفي كتاب أبي عبيد.

جزء بن سفيان بن عوف بن كلاب، وذكره الأمير(١٥) في باب (جزى - بكسر الجيم).

وجزء بن أنس السُّلَمي له صحبة، حديثه عند نائل بن مطرف بن عبدالرحمن بن جزء بن أنس. قال نائل: أدركت أبي وجدي في أيديهم كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنه عندهم إلى اليوم، ويقال: هو رز بن أنس، ، ولامدخل لجِزْء فيه، قاله أبو موسى المديني.

وجزء السَّدُوسيُّ ثم اليمامي قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتمر من اليمامة، قال ابن الاثير: ويقال فيه جرو (براء وواو) أخرجه هناك الحافظان أبو نُعيم وابن مندة، وهنا جزم أبوعمر. وَجَزْءٌ غير منسوب شاميٌّ له صحبةٌ حديثه عند أنس بن وداعه.

وجزء بن الحدرجان بن مالك له ولأبيه صحبة، ولأخيه رواه هاشم بن محمد بن هاشم بن جزء بن عبدالرحمن بن جزء بن الحدْرجان، قال: حدثني أبي عن أبيه هاشم عن أبيه جزءَ عن جده عبدالرحمن عن أبيه جزء بن الحدرجان، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: وفد أخي قُدامةُ بن الحدرجان على النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن، فلقيته سرية للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم: أنا مؤمن، فلم يقبلوا منه وقتلوه في الليل، فبلغنا ذلك فخرجتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم أطلب ثأره فنزلت: ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتمْ في سبيل الله فتبينوا﴾. والحديث بطوله ذكره ابن الأثير، وذكر ابن ماكولا جزءَ بن الحدرد، فلاأدري أهو هذا أم لا، فإن كان هو فقد عَرَّفْنَاهُ، وإن لم يكن هو فهو المطلوب». انتهى.

وأكتفي بهذا المثال مشيراً إلى عناية مغلطاي الفائقة بذكر مايتعلق بأنساب العرب وبأخبار الشعراء، فقد رجع إلى كتب النسب المعروفة كـ «الجمهرة» وكتاب أبي عبيد، و«الاشتقاق» لابن دريد، وغيرها مما ألف في هذا العلم، كما عُني بتتبع الأسماء التي بحاجة إلى ضبط من الشعراء بحيث نقل فأكثر النقل عن كتاب المرزباني «معجم الشعراء»، وكان ذا اهتمام بهذا الكتاب(١٦)، وقد ذيل عليه بكتاب سماه «تَرْك المراء في الزيادة على معجم الشعراء»، ذكره في كتاب «الواضح المبين».

وكثيراً مايورد مغلطاي في كتابه ضبط أسماء لم يرد لها ذكر في كتاب «التبصير» ولاغيره من الكتب المعروفة الآن، وخاصة مايتعلق بأخبار الشعراء وغيرهم، كقوله في (باب حَمَد وجَمَد وجَمْد) (١٧): أما حَمَدُ (بفتح الحاء والميم) كذا رأيته مضبوطاً بخط ابن أبي نصر الحميدي، وابن هشام كاتب أبي العلاء، فهو حَمَدُ بن مالك بن أُهبان، حاجب النعمان بن المنذر اللخمي، الذي يقول فيه أكثم بن صيفي:

ياحمد بن مالك بن أُهْبانْ
هل تُبْلغَنْ ماأقُولُ النُّعْمانْ؟!
أهْلَكْنَا بالحبس بعد الحرْمان

وأما جَمَد (بجيم وميم مفتوحتين) فهي آمنة بنت جَمَد بن معدي كرب، زوج الأشعث بن قيس، وهي أم النعمان الذي بُشِّر به وهو عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: والله لَجَفْنَةٌ أُطْعمُها قومي أحبُّ إليَّ منه. خلف عليها حُجْر بن عدي الأدبر بعد الأشعث فقُتل حُجْرٌ عنها، ذكره ابن الكلبي في «الجمهرة».

أما جَمْدُ (مثله، إلا أنه بسكون الميم) فهو جَمْدٌ الكِنْديُّ، ذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» من تصنيفه، وذكر قصته في بغض الولد، وقال: قال أبو نُعيم : والمشهور المستفيض أنه جرى - يعني هذا - للأشعث بن قيس، ويشبه أن يكون حماد بن سلمة شَبَّه قلة رحمة الأشعث بالجماد، فلقبه بجمد، ولاأعرف جمداً من كنده، إلا جمد أحد الملوك الأربعة يعني بن مَعْدي كربَ الذين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فَقُتلُوا في الردة. انتهى.

أما عند الحافظ ابن حجر فَنَصُّ ماورد (١٨) : حَمْدُ عدةٌ، وبجيم جَمْدٌ الكندي له صحبة، وعنه عاصم بن بهدله، وجَمْدُ بن معدي كرب من ملوك كندة، صوّب ابن ناصر وغيره أنه بالسكون، وضبطه الأمير بفتح الميم، قلت: وبنته آمنة كانت زوج الأشعث بن قيس، وفي الحديث أنه بُشَّرَ بولد من ابنته جمد فقال الحديث، وبضم الحاء المهملة وتثقيل الميم أحمد بن ابراهيم بن حُمَّد المعافري القاضي أخذ عن زيد اليفاعي، وكان أديباً فاضلاً. وذكره الجَنَديُّ في «تاريخ اليمن». انتهى(١٩). والمجال أوسع من إيراد أمثلة لهذا.

الحواشي:

١- ج ٤ ، ص ٣٥٣.

٢- هو والد زين الدين عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، صاحب المؤلفات المعروفة.

٣- «الدرر الكامنة»، ٣٥٣/٤.

٤- في كتاب بعثه إليَّ بتاريخ جمادى من هذا العام جاء فيه : (توجد بالخزانة الحسنية الملكية بعض مؤلفات مغلطاي، ولكن لايوجد بينها تأليفه الذي سمي في «الأعلام» مرة بـ «الاتصال» ومرة «بالإيصال»، وهما كما ذكرت مخطوط واحد حمل رقمين مختلفين، وقول المرحوم الزركلي: (والإيصال (؟) خ في اللغة) إلى آخره غير دقيق، فالكتاب كما تعلمون هو في مختلف النسبة حسب عبارة الشيخ عبدالحي الكتاني أو في المؤتلف والمختلف عامة).

٥-القسم بالبيت وغيره من المخلوقات، لايجوز بنص حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

٦- انظر: «التعليقات والنوادر» للهجري، ص ١٩١١.

٧- «الإكمال»، ج ١، ص ٢ .

٨- «تبصير المنتبه»، ٢/١ .

٩- ٤١٢/٣، ط. المكتبة السلفية في المدينة سنة ١٣٨٨هـ.

١٠- «توضيح المشتبه»، ٤١/١ .

١١- ج ١، ص ٢٥٤ .

١٢- ص ٩٦ مخطوطة خزانة الرباط.

١٣- كذا ورد البيت، وانظر كتاب «المؤتلف والمختلف» للآمدي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ص ٩٥، عن هذا الشاعر.

١٤- انظر تحديد موضع الرقم وعن هذا اليوم: (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

١٥- يقصد ابن ماكولا، فقد عُرِفَ بلقب (الأمير).

١٦- والجزء الثاني من هذا الكتاب هو الذي طبعه (كرنكو)، ثم الأستاذ عبدالستار فراج، وأصله في مكتبة برلين، وكاتبه هو مغلطاي كما جاء في آخره، وذلك بتاريخ ١٣ ربيع الآخر سنة ٧٣٨هـ بالمدرسة الظاهرية بالقاهرة.

١٧- ص ١٩٩.

١٨- «تبصير المنتبه»، ج ١، ص ٤٦٠.

١٩- واسم حُمَّد -بضم الميم وتشديدها- لايزال مشهوراً في جنوب الجزيرةالعربية، وهناك قبيلة بهذا الاسم. انظر: «العرب»، س ٨ ، ص ٧٩٢. وكلمة (اليفاعي) لعل صوابها (اليافعي) .

قصة قصيدة

أبغض الحلال

د. محمود الربداوي

قال قيسُ بن ذُريح عندما طلّق زوجته وندم:

أتبكي على (لُبنى)، وأنت تركتها … وكنتَ كآتٍ غيَّه(١) وهو طائعُ؟
فلاتبكيَنْ في إثر شيء ندامةً … إذا نَزَعته من يديْكَ النوازعُ
فليس لأمر حاول اللهُ جمعه … مُشتٌّ، ولامافَرَّق اللهُ جامع
وليس محبٌّ دائماً لحبيبه … ولاثقةٌ إلا له الدهرُ فاجع
كأنك لم تقنع إذا لم تُلاقِها … وإن تلْقها فالقلبُ راضٍ وقانع

فياقلبُ، خبّرْني، إذا شطَّت النَّوى(٢) … بلُبنى، وصدّتْ عنك، ماأنت صانع ؟
أتصبرُ للبَيْن المُشتّ (٣) مع الجوى … أم أنتَ امرؤ ناسي الحياءَ فجازع(٤)
فما أنت إن بانت لُبينى بهاجعٍ … إذا ماستقلّتْ بالنيام المضاجعُ
ولاخير في الدنيا إذا لم تُواتنا … لُبينى ، ولم يجمع لنا الشملَ جامعُ
ولولا رجاءُ القلب أن تعطف النوى … لما حَمَلتْهُ بينهنّ الأضالع
له خَفَقاتٌ إثْرَ لبنى كأنها … شقائق برقٍ في السحاب لوامع

لقد رسخت في القلب منك محبةٌ … كما رسَختْ في الراحتَين الأصابع
نهاري نهارُ الناس حتى إذا دجا … ليَ الليل هزتْني إليك المضاجع
أُقضّي نهاري بالحديث وبالمنى … ويَجمعني بالليل والهمّ جامع
ألا إنما أبكي لما هو واقعٌ … وهل جَزَعٌ من خوف بُعدك نافع ؟
أحال عليَّ الهمّ من كل جانب … ودامت، فلم تَبرح عليَّ الفواجع

نعم أبغض الحلال عند الله الطلاق، وأبغض (الأبغض) الطلاق القسري، وهو إذا كان الطرفان مُتحابين ليس بينهما مايعكّر صفو حياتهما.

قد تقول لي : إذا لم يكن بينهما مايعكر صفو حياتهما فلايُتَصَوّرُ أن يحتكما إلى الطلاق. ولكن قصة هذه القصيدة تحكي قصة رجل وامرأة أحب كل منهما الآخر، فتزوجا، واستمر الحب، ولكنهما أُرغما على الطلاق، فأقدم عليه الزوج مُكرَهًا على مفارقة من يحب، فكان الفراق، وكان الندم، غير أن الحب استمر طويلاً حتى بعد الطلاق، ولم يتوقّف إلا بتوقف حياة المحبين بالموت.

بَطَلا هذه المأساة الزوجية رجل اسمه: قيس بن ذريح الكناني، شاعر تُخَمَّن ولادته في حوالي السنة الخامسة للهجرة، وُلد في قبيلته التي كانت مرابعها بالقرب من المدينة المنورة، وتوفي في حوالي سنة ٧٠ للهجرة. فهو من شعراء القرن الهجري الأول أو مايسمى بالعصر الأموي، ويُروى أنه كان رضيع الحسن بن علي بن أبي طالب، وأما المرأة فاسمها: لُبنى بنت الحباب، وكانت على جانب من الجمال، فلما رآها قيس وقعت من نفسه موقعًا حسنًا، فطلب من أبيه أن يزوجه إياها، فأبى وقال له : بنات عمك أولى بك؛ لأن أباه كان ميسور الحال كثير المال، فكان والده يريد أن يزوجه من بنات عمه لتظل ثروته في نطاق قبيلته وفي نطاق نسله، ووافقت أم قيس على هذا التوجه، فما كان من قيس إلا أن استعان بجاه أخيه في الرضاع الحسن بن علي، فأرسله إلى والد لبنى يخطبها منه لقيس، فقال له الحسن: قد جئتك خاطبًا ابنتك لقيس بن ذريح، فقال

والدها: يابن بنت رسول الله ماكنا لنعصي لك أمراً، ومابنا عن الفتى رغبة، ولكن نحب أن يخطبها أبوه ذريح، فإنا نخاف إن لم يسمح أبوه أن يكون علينا عارٌ وسبّة، فأتى الحسن ذريحًا وقومه فأعظموه، فقال لذريح: أقسمتُ عليك إلا خطبتَ لبنى لقيس، فقال: السمع والطاعة. ثم قام فخطبها وَزَوَّجَها لقيس، فأقامت معه مدة، ولكن قَدَر الزوجين كان يتربّص لهما بالتنغيص، فمضى قسط من حياتهما دون أن يُرزقا طفلاً، وطال انتظارهما للطفل، فلما يئس والدا قيس من انتظار المجهول، قالت أم قيس لأبيه: لقد خشيت أن يموت قيس ولم يترك ولدا، وقد حُرم الولد من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصير مالك إلى غير ولدك، فزوِّجه بغيرها لعل الله يرزقه ولدًا، وألحت عليه، ففاتحه والده بهذا الرأي، وطلب منه أن يتزوج من بنات عمه، فرفض قيسٌ رفضًا باتًا، فقال له أبوه: إن في مالي سعة فتسرَّ ببعض الجواري، فقال قيس: والله لا أسوء لبنى بشيء، فقال أبوه: أقسمتُ عليك إلاطلقتها، وأخذ يلح عليه في ذلك، لأن تقاليد القبيلة تبارك الإنجاب الكثير، ولأن مطامح والدي قيس الثريّيْن تخشى على ضياع ثروتهما، إذا لم يُرزق ابنهما بمن يرثه. فلما لم يجد قيس بُدّاً من الطلاق أذعن لطلب والديه مرغمًا، فطلّق لبنى، ومع كلمة الطلاق انبجست آهة الحسرة عليها، لأنها عزيزة على نفسه ولم تقترف ذنبًا تستحق عليه الطلاق، فقال مفصحًا عن عواطفه الحقيقية:

أقول لخلّتي في غير جُرمٍ
ألا بيني بنفسك أنتِ بيني
فواللهِ العظيم لَنَزْعُ نفسي
وقطعُ الرّجل مني واليمين
أحبُّ إليَّ يالبنى فراقًا
فَبَكّي للفراق وأسعديني
ظلمتُكِ بالطلاق بغير جُرمٍ
لقد أذهبتُ آخرتي وديني

فلما سمعت بذلك لبنى بكت بكاءً شديدًا، وأنشأت تقول:

رحلتُ إليه من بلدي وأهلي
فجازاني جزاءَ الخائنينا
فمن يَرَني فلايَغْتَرَّ بعدي
بحُلْوِ القول، أو يبلو الدفينا

وبقيتْ في بيته حتى انقضتْ عدتها، فلما رغبتْ في العودة إلى بيت أهلها أُتيتْ بناقة لتُحمَل عليها، فلما رأي قيس ذلك اشتد عليه موقف الفراق هذا، وقال قصيدة لامية على غرار قصيدة كعب بن زهير:

بانت (لُبينى) فأنت اليوم متبول
وإنكَ اليوم بعد الحزم مخبول
فأصبحتْ عنك لبنى اليوم نازحةً
ودَلُّ لبنى – لها الخيرات – معسول
أستودِعُ الله لبنى إذ تفارقني
عن غير طوعٍ، وأمرُ الله مفعول

ثم ارتحلتْ جِمَالُ لبنى، فشيّع هودجها وموكبها الحزين بنظرات ممزوجة بالدموع، فلما غابت عن ناظريه سقط على الأرض يلوم والديه، ويلوم حظه العاثر، وانتحى جانباً يبكي ويقول:

أتبكي على لبنى وأنت تركتها
وكنت كآتٍ غيّه وهو طائعُ

إلى آخر القصيدة العينية التي نحن بصدد الحديث عن قصتها.

ويقسو عليه الدهر أكثر من ذلك، فيشكوه أبو لبنى إلى معاوية لاستمرار تعلقه بها، فكتب معاوية إلى عامله مروان بن الحكم بهدر دمه إن تعرَّض لها، وأمر أباها أن يزوجها بخالد بن حلزة من بني غطفان. فكان الزواج ، فلما علم قيس جزع جزعًا شديداً، وقال:

فإن يحجبوها أو يَحُلْ دون وصلها
مقالة واشٍ أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عينيَّ من دائم البكا
ولن يُذهبوا ما قد أجنَّ ضميري
لقد كنتِ حَسْبَ النفس لو دام وصلنا
ولكنما الدنيا متاعُ غرور

وتُتوَّج المأساة بموت لبنى، فلم يطل مُكث قيس بعدها إلا قليلا، حيث مات ودُفن إلى جوارها، ويسدل الستار على مأساة شاعر كان واحدًا من الشعراء المحبين العفيفين الذين أحبو فعفّوا، فأكرهه والداه على ركوب المركب الخشن عندما أرغماه على طلاق لبنى، ولست أدري كيف غاب عن وعيهما ـ وهما مسلمان قريبا عهد بالصحابة ـ قوله عز وجل: ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق مايشاء يَهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانًا وإناثا ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾ (الشورى: ٤٩ – ٥٠). فمن هو العقيم ـ ياترى ـ لبنى أم قيس؟! هذا علمه عند ربي وهو علام الغيوب.

معاني الكلمات:

١ – الغي: الضلال .
٢ – شطت النوى: بَعُدت الشقة .
٣ – المُشت: المفرق .
٤ – الجازع: الذي لايقدر على الصبر .
٥ – الهجوع: النوم ليلاً .
٦ – دجا: أظلم .

عقباتٌ في طريق الاستثمار



د. محمود محمد بابللي

للمال أهمية كبرى في حياة الناس، فهو عصب الحياة الاقتصادية، ولا غنى عنه للفرد ولا للأمة، وحاجة الإنسان إلى المال، وكذلك حاجة الدولة إليه، أمر لا ريب فيه، لأن توفير معاش الإنسان يتوقف على وجود المال بين يديه ليتمكن من تغطية حاجاته الضرورية المتعددة والمتنوعة والمتزايدة.

وتوفير الخدمات العامة على اختلاف أنواعها يحتاج إلى المال، فالمال وسيلة لكل هذا وليس غاية.

ويشتري الإنسان المؤمن نفسه بالمال، وذلك بالمسارعة إلى فعل الخيرات وبذل ماله في سبيل الله، فيكون له ذخرا يوم القيامة.

واكتساب المال غير مذموم في ذاته، وإنما هو أمر تدعو إليه طبائع الأشياء، وبخاصة إذا كان المرء ذا عيال وهو مسؤول عنهم، لقوله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت» (أخرجه الإمام مسلم). ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَنْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُم﴾ (البقرة:٢٦٧).

وهذا الأمر يفيد الوجوب، ولا يتحقق مفعول هذا الأمر إلا من طريق الاكتساب، ومايتم التوصل به إلى تحقيق الواجب فهو واجب.

والإسلام لم يذم الغنى، وإنما مَنَّ الله به على عباده، وذمَّ الفقر وحاربه وحارب كل ما يؤدي إليه، وقد تعوَّذ منه النبي صلى الله عليه وسلم.

والغنى لايتحقق إلا بالسعي والعمل والأخذ بالأسباب، لأن الكسل والقعود عن السعي لمن هو قادر عجز.

وقد وردت تسمية المال في القرآن العظيم - في بعض آياته - أنه خير، وهذا الخير قد ينقلب إلى شر فيما إذا اتخذه الإنسان غاية واكتنزه، ولم يستفد منه في حياته الدنيا.

ضرورة استثمار المال الفائض عن الحاجة

إن وجود الوفر من المال بيد الإنسان أو لدى الدولة، لابد له من استثمار لكي لاتضيع فائدته، أو قوّته الشرائية من مالكه، أو تستهلكه الزكاة، لأن دَوَرَانَ المال في الأيدي يضاعف من فائدته، فينتفع منه صاحبه، وينتفع منه من يصل إلى يده، إلى أن يقع في يد من يحجبه عن التداول؛ فتتوقف منفعته ويصبح كنزا أو أشبه بالكنز، ما لم يكن المقصود من ادخاره تغطية حاجة مستقبلة، توافقًا مع قول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص: «إنكَ إن تدع ورثتك أغنياء، خير لك من أن تدعهم عالةً يتكففون الناس» (متفق عليه). ولقوله أيضًا لكعب بن مالك رضي الله عنه: «أمسكْ عليك بعضَ مالك فهو خيرٌ لك» (متفق عليه).

والدولة تستثمر الفائض من الأموال التي تدخل إليها في بعض الأحيان، وذلك في فتح مشروعات ثانوية، كي تعيد هذه الأموال إلى التداول بين الأيدي، ولتقضي أو لتخفف من البطالة، أو من شدة الأزمة المالية عند حدوثها، أو عند وقوع كوارث طبيعية.. وأمثال ذلك.

والمال قوة خيِّرة لا شك فيها، إذا استعمله الإنسان ووضعه موضع التداول واستهلكه في طرق الخير.

وهو قوة مدمرة لو أن الإنسان خرج في استعماله عن الطرق المشروعة، أو كنزه فكان وبالا عليه.

حُسْن استثمار المال

الإنسان الحكيم هو الذي يحسن استثمار أمواله ويتحاشى أن تضيع عليه في غير طرق مشروعة، أو أن يكون في عداد السفهاء أو المبذرين.

وقد ورد في معنى قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (النساء:٦).

أي إنهم متى بلغوا الحلم وكانت لهم أموال لديكم فلا تدفعوها إليهم حتى يتحقق لكم صلاحهم في دينهم وقدرتهم على حفظ أموالهم وحسن استثمارها.

وهذه الآية وردت بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُم قِيَامًا وارزُقُوهُم فِيهَا واكسُوهُم وقُولُوا لَهُمْ قَولاً مَعْرُوفًا﴾ (النساء:٥).

ومن هذه الآية استدل الفقهاء على جواز الحَجْر على السفهاء المبذِّرين لأموالهم مِنَ التصرف بهذه الأموال خشية إضاعتها في غير السبل المشروعة.

فالمال هو الوسيلة التي تقوم بوساطتها معايش الناس وتغطَّى بها حاجاتهم وتقوى بها شكيمتهم.

وإن طرق استثمار الأموال كثيرة، منها ما يتم من قبل صاحبها مباشرة، ومنها ما يعهد بها إلى من يوثق به لاستثمارها مشاركة أو مضاربة أو استخداما.

عامل الثقة وأثره في جذب الأموال إلى الاستثمار

سبق للرسول صلى الله عليه وسلم أن ضارب قبل البعثة بمال خديجة رضي الله عنها، وكان ذلك قبل زواجه منها، وسببا لزواجه بها.

وكانت المضاربة سبيل الكسب المعروف لمن يريد أن يستثمر ماله من طريق من يوثق به، أو يذهب بنفسه ويضرب في الأرض ابتغاء فضل الله.

وقد اشتهرت قريش بالتجارة، وكانت القوافل التجارية تتردد بين الشام واليمن للبيع والشراء، بأموال التجار أنفسهم وبأموال من شاركهم أو ضارب معهم عليها، وكانت الثقة هي العامل الأكبر في رواج هذه التجارة، وسببا لازدياد ثروة قريش وغناها، حتى إن من هاجر منهم مسلما إلى المدينة، وهي أرض زرع وغرس، زاول التجارة كما كان يفعل في مكة قبل الهجرة.

وقد شغلت التجارة بعضهم عن ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ألهاني عن سماع حديث رسول الله الصَّفْقُ في الأسواق". ويعبر عن التجارة بصفق الأيدي عند التبايع إشعارا بوقوع البيع ولزومه.

فعامل الثقة هو من أهم العوامل التي تخرج الأموال من مخابئها للاستفادة منها ربحا ونموا.

وإن خروج الأموال من مخابئها يحقق تقلبها بين الأيدي كما يحقق سيولتها، خلافا لكنزها أو حجبها عن التداول كما سبق بيانه.

التعاون المثمر

لا يخفى على إنسان أن التعاون في مفهومه المطلق قوة لاشك فيها، وأن التعاون عبارة عن ضم قوة إلى قوة أخرى إلى قوى عديدة، فيحصل من طريق هذا التعاون قدرات لايقف أمامها شيء، بشرط أن يصدق المتعاونون بعضهم مع بعض. وإن انتشار التعاونيات الاستهلاكية وغيرها، والتشجيع على إيجاد جمعيات أو شركات تعاونية بشروطها الخاصة، دليل على ما للتعاون من أثر في المجتمعات الواعية المدركة لصالح أمرها.

والتعاون يكون في الخير كما يكون في الشر، وقد أمر رب العالمين عباده بأن يكون تعاونهم على البر والتقوى، وألا يكون على الإثم والعدوان.

وإن كلمة البر كلمة جامعة لمعاني الخير بما فيها كلمة التقوى، وقد أفرد رب العالمين كلمة التقوى بالنص، لأنها ذات أثر أكبر في السلوك الاجتماعي العام، وتفيد اتقاء ما نهى الله عنه، وهو غاية السلامة للمجتمعات الإنسانية.

وكذلك الإثم فإنه كلمة جامعة لمعاني الشر بما في ذلك العدوان. غير أن إفراد العدوان بالنص يتضمن التأكيد على مافيه من معنى خاص به، فهو عدوان على النفس بإيقاعها في المهالك أو في المعاصي وتحميلها جرائر غيرها، كما أنه تجاوز على الحقوق الخاصة بالآخرين أو الإضرار بأشخاصهم.. وهذا ما يؤثر في الحياة الاجتماعية ويفكك من عراها.

وإننا هنا بصدد التعاون المادي، وضم بعض المدخرات - مهما كانت ضئيلة - إلى غيرها فتتشكل منها قوة مالية تستطيع أن تفيد في التنمية الاقتصادية ما لا يفيده انفراد كل مدخر بماله وعمله.

غير أن هذا التعاون المالي مشروط فيه أن



عندما تستثمر الأموال في إنشاء المصانع وتشغيلها، يقوى الاقتصاد وتتحقق دورة المال المفيدة للمجتمع

يكون في سبل الخير والنفع العام، وأن يتجنب مافيه ضرر وتعارض مع أحكام الشريعة الغراء.

وإن انفراد كل مدخر بماله - هذا إذا عمل فيه - لايعطيه الثمرة التي يعطيها اجتماع هذه المدخرات ووضعها في أيد أمينة وخبيرة تعمل فيها أو توجهها إلى من يحسن استثمارها.

وإن العائد الذي يحصل عليه كل مدخر نتيجة لتعاونه مع غيره يزيد أضعافا مضاعفة على العائد الذي يحصل عليه فيما إذا انفرد بالعمل بهذا الجزء اليسير من المال، وهي زيادة في الدخل الفردي، كما أنها زيادة في الدخل العام.

والفردية لم تنشأ - عند وجودها - إلا لسبب تستند إليه، وهو غالباً انعدام الثقة في التعاون مع الغير، وكذلك التعاون فإنه لايفرض نفسه إلا عند وجود الثقة والاطمئنان لمن تتعاون معه. وهذا لايتحقق إلا بوازع ديني أو خلقي أو مصلحي، يحول دون استغلال الناس بعضهم بعضا فيما إذا واتتهم الفرص.

العوامل المؤثرة في تداول الأموال سلبًا وإيجابًا

أ- العوامل السلبية:

إنَ الأزمات الاقتصادية لاتتولد إلا من عوامل تؤدي بالنتيجة إلى ظهورها، ومن أبرز هذه العوامل: عدم الاستقرار السياسي، أو لخوف من التسلط على أموال الأمة، أو لسياسة خاطئة تتبعها بعض السلطات في حقول التنمية الاقتصادية، أو لهزات اقتصادية في بعض بلدان العالم التي يكثر فيها استثمار الأموال من غير أبنائها.. أو لتخطيط يرمي لإضعاف القوة الشرائية للأموال المودعة أو المستثمرة في بلدان أجنبية.

ولنا في واقعنا المعاصر أمثلة كثيرة على آثار الهزات السياسية أو التسلط الغاشم الذي حصل في بعض البلاد - من عربية أو إسلامية -، هذه الآثار التي أدت إلى فشل أو تدمير الهيكل الاقتصادي لمعظم هذه البلاد، إما بالتوقف عن الإنتاج، أو التقليل منه، أو بتهريب الأموال خارج البلاد.

ولما كانت معظم الشعوب الإسلامية - في الماضي القريب - واقعة تحت نير الاستعمار، فإنها تأثرت بالنظم والتشريعات التي فرضتها عليها الدول المستعمرة، فجعلت منها تابعا لها في مختلف نواحي الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية - إلا من رحم ربك -؛ إذ إن مخططات الاستعمار كانت تقوم على نزع الثقة من أبناء الشعوب المستضعفة بعضها من بعض، وإظهار رجالاتها المستعمِرين (بكسر الميم الثانية) بمظهر الموثوق فيهم، حتى انطبعت كثير من المفاهيم بطابعها الأجنبي، وحتى انتقلت ثروات كثير من الأفراد والشعوب من طريق المصارف الأجنبية إلى البلاد المستعمِرة (بكسر الميم الثانية) لتُستَثْمَرَ هناك، وبعض هذه الدول التابعة لاتزال تحت تأثير العوامل المخدرة التي سبق لها أن تعاطتها من يد الأجنبي، ولو أن الاستعمار العسكري قد ارتفع عنها.

ويجب ألاننغفل عن استمرار تأثير سلطان العامل المخدر الذي تستعمله الدول الأجنبية، في جذب كثير من أموال الأفراد والشعوب الإسلامية إلى صناديقها، لما تظهره من سلامة التعامل في مؤسساتها، والطمأنينة التي تشيعها وتوحيها إلى من يتعامل معها، مستفيدة من سوء الأوضاع المتفشية في معظم عالمنا الإسلامي، ومن الأمثلة السيئة التي تعطيها بعض الشركات أو المؤسسات المالية في هذا العالم.

وهذه الأمثلة السيئة تؤدي إلى ضعف الثقة في هذه المؤسسات الوطنية، ويمتد الحذر إلى غيرها، مما لم يُعرف عنها شيء من التلاعب أو سوء استغلال الأموال المودعة لديها. لأن وجود مثل هؤلاء المستغلِّين أو المسيئين للأمانة يدفع أصحاب الأموال إلى التفتيش عمن يوثق فيه ليودع عنده أمواله لاستثمارها، فإذا ضعفت الثقة بالمؤسسات المحلية، فإن هذه الأموال ستتسرب إلى الخارج فتضيع على الأمة منفعتها.

وقد بلغ حجم الأموال العربية والإسلامية المستثمرة خارج بلادها بلايين الدولارات. ومن هنا يتأكد وجوب تدخل الدولة في إيجاد الجهاز الكفء ليتولى عملية الإشراف والرقابة على هذه المؤسسات لضمان حسن سيرها، وللمحافظة على ثقة المتعاملين معها، وللمحافظة على ثروة الأمة من أن تكون موضع استغلال واستثمار في غير بلادها.

وإذا ما عادت الثقة في المؤسسات المحلية؛ فإن استرجاع الأموال التي خرجت للاستثمار الخارجي يصبح أمرًا متوقعًا، وقد تسحب معها أموالاً أخرى فيما إذا كانت أنظمة الدولة تفسح المجال لرؤوس



استثمار المال في التعليم المهني خير إعداد للأيدي العاملة الفنية الماهرة، وخير ضمان للحياة الكريمة

الأموال الأجنبية لكي تُستثمر في بلادها.

ولا شك أن للمال حساسية شديدة يشعر بها أصحابه عند ظهور بوادر قد تؤدي إلى احتمال الانتقاص منه أو فرض القيود عليه، مما يدفع بهم إلى المسارعة في إيجاد الوسائل التي تحميه أو تقيه من وقوع التسلط عليه، فيقل تداوله لإمساك الأيدي عن الإنفاق، أو لحجبه كليا حتى يتمكن أصحابه من تهريبه إلى خارج البلاد لاستثماره هناك بعيداً من مواطن الخوف.

ومن هذا التصرف وأشباهه تتولد الأزمات الاقتصادية المحلية، فتعمد الدولة إلى الاستدانة بفوائد مرتفعة، وتحل مواعيد الوفاء ولا تجد سدادا لديونها، فتستدين مجددا مضيفة الفوائد السابقة إلى أصل الدين، وتقع الدولة تحت رحمة الدولة الدائنة.

لذلك فإن إحجام أصحاب الأموال عن استثمار أموالهم في مشروعات محلية، يعود إلى الخوف عليها، وإلى ضعف الثقة في العاملين، أو الذين سيعملون فيها.. وأصبح كثير منهم في شبه اليقين من أن استثمار أمواله في شركات أو مؤسسات أجنبية أضمن لها وأكثر عائدا. أو أن الاستثمار خارج البلاد سببته ضيق السوق المحلية، أو عدم توافر الدراسات الكافية للجدوى الاقتصادية لبعض المشروعات الاستثمارية التي يمكن أن تقوم داخليا لامتصاص الفائض من الأموال المدخرة، واستعادتها من البلاد الأجنبية.

وهنا تظهر أهمية وجود مجلس اقتصادي أعلى للدول الإسلامية للعمل على تنسيق التعاون فيما بينها، وإيجاد السوق الإسلامية المشتركة؛ ومن ثم تحقيق التكامل الاقتصادي الذي يستطيع أن يستقطب فائض الأموال الإسلامية في مشروعاته، ويحول دون تسربها إلى الخارج، أو أن يبقى هذا الفائض موضع استثمار واستغلال لدى الدول الأجنبية الأخرى، وذلك لصعوبة استيعاب السوق المحلية لدى كل دولة على حدة لهذا الفائض عند بعض الدول الإسلامية.

وإن من مصلحة الدول الأجنبية ـ وما تخطط

عقبات في طريق الاستثمار

له فعلا ـ أن تبقى الدول الإسلامية متشاغلة بأوضاعها الخاصة وبنزاعاتها الداخلية، وأن يبقى التناحر فيما بينها، وضعف الثقة في قدراتها الذاتية على إيجاد مؤسسات مالية واقتصادية متخصصة، وذات إمكانات عالية لتتولى التخطيط المسبق للتعاون المشترك في استثمارات خيراتها وخبراتها من قبل أبنائها.

ونستطيع مما تقدم أن نستعرض أبرز عقبات الاستثمار، ومنها:

١ـ الهزات السياسية:

إن كل هزة سياسية في أحد بلدان العالم الإسلامي تعوق التقدم الاقتصادي وتحول دون تحقيق ما ينشده من ازدهار في ظل الاستقرار الذي تحرص عليه كل دولة لذاتها. والأمثلة على ذلك معروفة ولا تحتاج إلى مزيد إيضاح، لأننا نعاصر معظمها.

٢ـ التسلط الغاشم:

إن تسلط بعض قادة الدول الإسلامية على شعوبها، والإرهاب الذي تستعمله في كبت الحريات، والتضييق عليها في سبل الحياة لتعدو لاهثة وراء لقمة العيش، وإضاعة الأوقات في انتظار الحصول على بعض المواد التموينية، وإذلال المواطن وجرح كرامته، على الرغم مما يلاقيه من عنت وتسلط، كل هذا وأمثاله مما تلجأ إليه بعض السلطات الغاشمة للمحافظة على مكاسبها الشخصية وحرصها على الاستمرار في إدارة دفة الحكم.

إن هذا التسلط الغاشم يوقع الرعب في قلوب الأفراد، ويدفع بهم إلى إيجاد الوسائل التي تحفظ لهم كراماتهم وأموالهم، فيقل الاندفاع وراء الإنتاج، وتختفي الأموال من الأسواق، وتنشأ الأزمات الاقتصادية ويتفاقم أمرها، فتكون البلاد قد أصبحت لقمة سائغة أمام المتربص الأجنبي ليسارع في تقديم المساعدات المشروطة، وتكبيل الدولة بقيود حديدية قلما تستطيع التخلص منها بسهولة.

ويظهر لنا نقيض ذلك في بعض الدول ـ وما أقلها ـ التي تحرص على كرامة أبنائها، وتقديم العون لهم، واستثمار أموالها في سبيل رفع مستواهم، وتمكينهم من تحسين أوضاعهم الاجتماعية بما يرتفع بهم إلى ما تنشده كل دولة حرة لأبناء شعبها، بذلك يتعلق المحكوم بحاكمه، ويدعو له باستمرار الوجود والتوفيق، فيحصل الحاكم على ثقة شعبه به، ويتحقق له البقاء في دفة الحكم محاطا بكل تقدير ومحبة، خلافا لمن كان يحرص على ذلك ويريده بفرض سلطانه الغاشم.. وشتان ما بين هاتين الصورتين من نتائج.

٣ـ اضطراب الأحوال الخارجية:

وإذا نظرنا إلى دول العالم الإسلامي نجدها تنفق على التسلح أموالا طائلة، تزيد أحيانا على نصف موازناتها، كالنفقات التي تنفقها الدول لمواجهة إسرائيل، ونفقات المغرب في نزاعه مع ثوار الصحراء الغربية، ونفقات السودان مع المتمردين من أبناء الجنوب، وباكستان مع الهند وغيرها من الدول المجاورة وما تكبدته في سبيل إيواء المهاجرين من أبناء الأفغان، وما أنفقته إيران والعراق في نزاعهما، وما تسببت فيه حرب الخليج من استنزاف أموال الدولتين المتحاربتين ـ في الحرب وفي السلم مستقبلا ـ، وتأثير ذلك على ما يجاورهما من الدول.. واستغلال الدول الأجنبية، المصدرة للسلاح ولغيره مما تحتاج إليه كثير من الدول الإسلامية لأغراض السلم المسلح، أو لمقاومة الثورات الداخلية وقمعها.

إن هذه الأموال الطائلة التي تذهب في هذه السبيل تكفي أو تزيد على متطلبات نمو هذه الشعوب ورفع مستواها في مختلف النواحي، وفي إعادة الطمأنينة والثقة إلى أفرادها بمسؤوليهم، ليتحقق التعاون المخلص بين الطرفين، ولتستقر الأوضاع ويزدهر الاقتصاد ويعم الرخاء بين الناس، وليتمكنوا بفضل مكاسبهم من المسارعة إلى تقديم العون إلى المعوزين والمنكوبين من الشعوب الأخرى.

عقبات في طريق الاستثمار

ب ـ العوامل الإيجابية:

إن كثرة الأموال الإسلامية المستثمرة خارج بلادها، تؤكد لنا أن هناك أسبابا دفعت بهذه الأموال إلى الخروج بغية المحافظة عليها وتنميتها في مؤسسات أجنبية، يغلب عليها صدق التعامل وسلامة النتائج ـ في أغلب الحالات ـ وذلك لسهولة الإجراءات واستقرار سعر الصرف، وحرية تحصيل الأموال، وللاستقرار السياسي في تلك البلاد.

إن هذه العوامل مجتمعة تولد الثقة في هذه المؤسسات الأجنبية، وتشجع على استثمار المدخرات فيها لسبق التجربة ولغلبة الشهرة بذلك، أو لاطلاع المستثمرين شخصيا على تجارب السابقين في هذا المضمار.

هذا وإن المستثمر يحرص على التأكد من أن أمواله في مأمن من الخطر، وأن يتحقق من جدوى الاستثمار الذي سيشارك فيه، والحصول على عائد مرتفع، وأن تعود إليه أمواله كاملة فور طلبه لها.. فهو لذلك لا يغامر بإيداع أمواله لدى مؤسسات لم تثبت كفاءتها، ولم تحز على الثقة من الراغبين في استثمار أموالهم.

ولا يخفى على المتتبع لأحوال الشركات والأسواق المالية الأجنبية، أنها تسهل الاتصال بين المودعين والمستثمرين، وتوفر لهم المعلومات الكافية التي تزيد في اطمئنانهم على أموالهم، لأنها تحت رقابة صارمة من الدولة، ومن الأفراد المتعاملين معها، وقد تتدخل الدولة في مراقبة سير العمل في هذه المؤسسات وتفرض القيود والالتزامات واتخاذ بعض الإجراءات التي تراها ضرورية لحماية أصحاب الأموال من أن تُستغل أموالهم بطريقة غير سليمة.. مع العلم أن وقوع الهزات المالية في الأسواق الأجنبية أمر غير مستبعد، ولكن النظرة إلى الاستقرار السياسي والضمانات التي تقدمها الدولة للمستثمرين تزيد في عوامل الاطمئنان للتعامل هناك. لذلك لابد من اتخاذ الأسباب التي تعيد الثقة إلى أبناء عالمنا الإسلامي، والثقة هي أكبر العوامل الإيجابية في مختلف الحقول الإنسانية.

وقد تعود الثقة باتخاذ الأسباب الوقائية التالية:

أولا: وجوب تدخل الدولة وتشديد الرقابة:

إن سوء استغلال بعض المؤسسات المالية للأموال المودعة لديها، بغية استثمارها في طرق مشروعة، يوجب على الدولة ـ حماية لهذه الأموال ـ التدخل بوضع أنظمة ولوائح تكفل حسن نتائج العمل في مثل هذه المؤسسات، وألاتهمل أو تتهاون في مراقبتها، وأن تشدد في عقوبة من يثبت عليه سوء التصرف أو سوء الأمانة وأن تجعل منه عبرة لغيره. لأن ضعف الرقابة على تصرفات الجهات المسؤولة عن المؤسسات المالية أو الشركات التجارية، قد يدفع ضعاف النفوس إلى استغلال مناصبهم والاحتيال لجر المنافع المادية إليهم، وإلى محاسيبهم، ولو على حساب المساهم الصغير، أو أن يغالوا بتقدير تعويضاتهم الإدارية أو السكنية أو بدلات الانتقال.. فيضيع معظم الربح في هذه الطريق، ولا يبقى للمساهمين إلا القليل.

والأمثلة على ذلك كثيرة، ولا تخلو فترة من ذكر بعضها في صفحات الجرائد أو على شاشة الرائي، وبخاصة في أيامنا هذه. وضعف الرقابة يكون من العوامل التي تساعد على تفشي الخيانة، وانتشارها بين بعض المسؤولين، بتقدير أنهم بعيدون عن أعين السلطات، كما أنهم لايحسبون لرقابة الله عليهم أي حساب، أو أنهم بتعاونهم مع بعض المفسدين يطمعون في ألايقعوا تحت طائلة المؤاخذة.. وتجر هذه الأعمال غير المشروعة كثيراً من العاملين تحت إشراف هؤلاء المفرّطين في أماناتهم إلى تقليدهم فيما أقدموا عليه، ويسكت بعضهم عن بعض لانغماس الأغلبية في هذه البؤرة من الفساد.

ولذلك يحجب كثير من الناس أموالهم عن التداول لما يشاهدونه أو يسمعون به من أمثلة مثبطة، فتضيع على الأمة إمكانية الانتفاع بقوة هذه الأموال الشرائية المدخرة، ويكون المسؤول عن ذلك ضعف الرقابة من الدولة.

ثانياً: الرقابة الذاتية:

إن الرقابة الذاتية هي من العوامل الفعالة في توجيه الإنسان نحو الخير، وهي تفسير لمعنى الإحسان الذي حدده الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنّك تَرَاهُ فإن لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ».

ومن يضع رقابة الله بين عينيه فإنه لاينحرف عن الصراط السوي، غير أن هذا العامل لا يؤتي ثماره فرديا، إذ لابد من تعاون المخلصين والمتفهمين لمدلول هذا التحديد لمعنى الإحسان، وأن يوجدوا أمثلة واقعية محسوسة في الميدان الاقتصادي بخاصة، وفي باقي الميادين بعامة. لأن الشواهد الحية أبلغ في التأثير من المواعظ، وفي كل خير.

لذلك فإن تعاون المؤمنين، من أصحاب الأموال، في تأسيس الشركات أو المؤسسات المالية قد يدفع كثيرا من أصحاب الأموال ـ على قلتها ـ إلى إخراجها والإسهام في هذه المشروعات التي يقوم عليها أناس تشهد لهم أعمالهم وتصرفاتهم بحسن السيرة وصدق التعامل.

وإيجاد الثقة في المؤسسة أو الشركة هو أكبر دعامة لها، ولو أنها لم تحقق أرباحًا عالية، مادامت الثقة قائمة والأمور مكشوفة أمام الجميع، والقائمون عليها لا يستغلونها في مصالحهم الذاتية، ويقدمون كل مجهوداتهم في سبيل إنجاحها وإبلاغها المستوى الذي ينشدون.

ولو أن الرقابة الذاتية كانت كافية وحدها في حسن سير المشروعات، فإن رقابة الدولة لا يُستَغنى عنها توافقًا مع الأثر المروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إن اللهَ لَيَزَعُ بالسلطان مَا لا يَزَعُ بالقرآن".

وكذلك لو أننا تحرينا نقاط المؤاخذة في تصرفات بعض المؤسسات المالية وتجنبناها، لكان ذلك كافيا في توجيه العمل نحو الأفضل، لأنها دروس وعبر لمن أراد أن يستفيد منها انتفاعا أو اجتنابا.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الجوانب الأساسية في التفكير العلمي

يُنسب التفكير العلمي إلى المشتغلين بالعلم الطبيعي، ويراد به كل دراسة تصطنع منهج الملاحظة الحسية - والتجربة العلمية إن كانت ممكنة -، وتتناول الظواهر الجزئية في عالم الحس، وتستهدف وضع قوانين لتفسيرها، وذلك بالكشف عن العلاقات التي تربط بينها وبين غيرها من الظواهر، وصياغة هذه القوانين في رموز رياضية، المسيطرة على الطبيعة والإفادة من مواردها وتسخير ظواهرها لخدمة الإنسان في حياته.



بهاء الدين الزهوري

إن العلم في الواقع متى تيسر له الكشف عن العلاقات التي تقوم بين الظواهر بعضها مع بعض، أمكنه أن يتنبأ مقدماً بوقوع الظواهر أو اختفائها، فإذا عرف الحرارة أو الضوء الكهربائي على النحو السالف الذكر، تسنى له أن يولده متى أراد، وأن يمنع وجوده متى شاء، وأثر هذا في حياة الإنسان أمر لايخفى على أحد.

وهذا المنهج الذي يكشف عن العلاقات الحقيقية بين الظواهر بعضها مع بعض، يمنع من التسليم بالخرافات والخوارق والأساطير، لأن مردها جميعها إلى الاعتقاد بوجود علاقات وهمية أو عرضية بين الظواهر بعضها مع بعض. وكثيراً ماتكون بعض هذه الظواهر - أو كلها - من الغيبيات التي لايمكن التثبت من حقيقتها بالرجوع إلى الواقع الحسي، وهو في العلم الطبيعي مقياس الصواب والخطأ، ومعيار الحق والباطل.

وقد ظن بعض السُذَّج من الناس أن التفكير العلمي بهذا الوضع يتنافى مع الإيمان الديني، بينما الحقيقة خلاف ذلك، لأن مناهج البحث التجريبي لاتوجب على العالِم أن يعيش فارغ القلب كافراً بدينه، ومن أجل هذا كان الكثيرون من أعلام البحث العلمي إذا فرغوا من دراساتهم العلمية، باشروا حياتهم الدينية كما يباشرها سائر الناس، ولم يمنع اشتغالهم بالعلم التجريبي من أن يؤمنوا بعالِم الغيب وخالق الكون وكل متطلبات الدين الصحيح، وهكذا كان أئمة العلم التجريبي في الإسلام(١).

جوانب التفكير العلمي

للتفكير العلمي جوانب أساسية(٢) لايستقيم من دونها، ونود أن نعرض أهمها، وهي:

١- البدء بتطهير العقل من معلوماته السابقة

على العالِم منذ البداية أن يقف من موضوع بحثه موقف الجاهل، أو من يتجاهل كل مايعرفه عنه، وذلك حتى لايتأثر أثناء بحثه بمعلومات سابقة يحتمل أن تكون خاطئة فتقوده إلى الضلال من حيث لايدري. والعالم كالفيلسوف من حيث أن كليهما مطالب بأن يطهر عقله منذ بداية البحث من كل مايحويه من معلومات حول موضوعه. وقد حرص على التنبيه إلى هذا واضعو مناهج البحث العلمي من الغربيين، منذ مطلع العصور الحديثة، فالفيلسوف «فرنسيس بيكون»(٣) أوصى الباحث بتطهير عقله من كل مايقوده إلى الغلط، ويعوق قدرته على التوصل إلى الحقائق، فحذره من الأخطاء التي تنشأ من تسليمه بأفكار سابقيه من مشاهير المفكرين والفلاسفة.

وإلى مثل هذا ذهب الفيلسوف «ديكارت»(٤)، فكان يوجب على الباحث أن يطهر عقله في بداية البحث من معلوماته باتخاذ طريق الشك المَنْهجيِّ، سبيلاً إلى التفكير، وهو منهج يفرضه صاحبه بإرادته رغبة منه في امتحان معلوماته، وتطهير عقله من كل مايُحتملُ أن يحويه من ضلالات، وبذلك يبدأ موضوعه وكأنه لايعرف عنه شيئاً. وأوجب ديكارت على الباحث أن يتحرر من كل سلطة إلا سلطة العقل، فيرفض كل ماعلق بذهنه من أفكار سابقة، ويتريث فلا يُدْخل في أحكامه إلا ماكان يبدو أمام عقله في وضوح وتميز يرتفع معهما كل شك. ولكن هذا كله، لاينفي أن الباحث لايستطيع أن يبدأ بحثه دون أن تكون لديه خطَّةٌ للبحث.

٢- الملاحظة الحسية مصدر وحيد للحقائق

يقتضينا الحديث عن هذا الجانب أن نذكر أن الخبرة الحسية مصدر وحيد للحقائق العلمية، مع التسليم بأن شهادة الآخرين مُكمِّلة لتلك الخبرة، وتعاون العلماء على البحث العلمي في صورة فِرَق.

يتخذ الفيلسوف العقل مصدراً للحقائق، ومعياراً للتثبت من صوابها، ويجعل الصوفي

الحَدْسَ أصلاً للمعرفة اليقينية ومعياراً لصحتها، أما العالم فإنه لايستمد حقائقه إلا من الملاحظة الحسية، والتجربة العلمية إن كانت ميسرة، ولايمتحن صواب معرفته إلا بالرجوع إلى الواقع، واستفتاء الخبرة الحسية.

ويراد بالملاحظة توجيه الذهن والحواس إلى ظاهرة حسية ابتغاء الكشف عن خصائصها، توصلاً إلى كسب معرفة جديدة. أما التجربة فهي ملاحظة مستثارة، لايقنع فيها الباحث بمعرفة الظاهرة وهي تحدث من تلقاء نفسها، ومن غير أن يُحْدِثَ فيها تغييراً، بل إنه في حال التجربة يتدخل في سير الظاهرة، حتى يلاحظها في ظروف هيأها وأعدها بإرادته تحقيقاً لأغراضه. فهو ينصت للطبيعة حين يقوم بالملاحظة، ويستجوبها ويضطرها إلى الكشف عن نفسها حين يقوم بالتجربة، وبهذا فإن التجربة لاتتيسر في بعض العلوم الطبيعية، كالفلك وعلم طبقات الأرض.

ومع أن الملاحظة بنوعيها أهم أركان المنهج العلمي التقليدي، إلا أن مباشرتها لاتكفي لقيام العلم، لأن قيامه يقتضي التوصل إلى وضع القانون الذي يفسر الظاهرة(٥).

وقد فطن العلماء إلى قصور الحواس عن إدراك بعض الظواهر إدراكًا مباشراً، لفَرْط صغرها، أو بعدها، أو نحو ذلك مما يعوق ملاحظتها، فعوضوا عن هذا القصور باختراع آلات وأجهزة من شأنها تقوية قدرة الحواس على الإدراك، كالمرقاب الذي يقرب البعيد، والمجهر الذي يكبر الصغير الدقيق، وساعدت هذه الأجهزة على أن تحول نتائج البحث إلى كميات عددية تتميز بالدقة المتناهية.

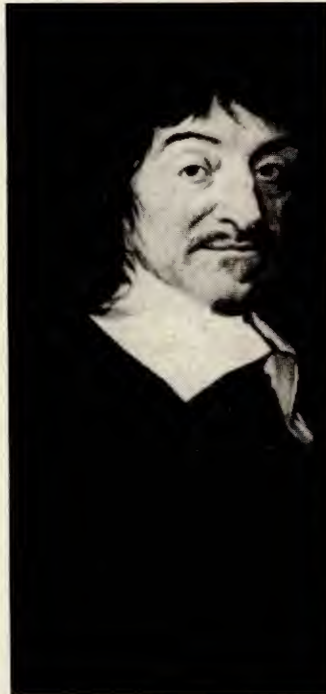
وتكملة للملاحظة كانت شهادة الآخرين مصدراً للمعرفة العلمية عند الغربيين، وذلك فيما تفوت الباحث معرفته بمشاهداته وتجاربه. فالمجلات العلمية تحمل نتائج البحوث العلمية متنقلة من بلد إلى بلد، وقد لايتسنى للعالم الذي يطلع عليها أن يتوصل إلى هذه النتائج بنفسه، ولايتثبت من صوابها بخبراته، وكثيراً مايقتضي البحث العلمي نفقات باهظة لايقوى عليها حتى الكثير من الدول المتقدمة، ولكي نتصور هذا علينا أن نذكر ما اقتضته تجارب غزو الفضاء من نفقات باهظة تتجاوز حد المعقول.

٣ـ نزوع العلم الحديث إلى التكميم(٦)

كانت الملاحظة الحسية أداة لكسب المعرفة العلمية، ولكن التقدم العلمي، في الآونة الأخيرة من عصرنا، نقل مركز الاهتمام من الملاحظة الحسية إلى تحويل الكيفيات إلى كميات، وإلى التعبير عن وقائع الحس بأرقام عددية، وأصبحت الظواهر المشاهدة تترجم إلى رسوم بيانية، ولوحات فوتوغرافية، وجداول إحصائية. وتمشيًا مع هذه النزعة الجديدة اخترعت آلات وأجهزة، جعلت الدقة في القوانين العلمية تُردُّ إلى صورتها الرياضية. وفي ضوء هذا كان العالم إذا هم بدراسة الصوت ردَّهُ إلى سَعَة الذبذبة، أو الضوء أرجعه إلى طول موجاته، أو الحرارة حولها إلى موجات حرارية. وهكذا أمكن أن تتحول الكيفيات إلى كميات عددية تمتاز بالدقة والضبط.

٤ـ موضوعية البحث ونزاهة الباحث

أوجب المُحدثون أن يتوخى العالِمُ الموضوعية



ديكارت

في كل بحث يتصدَّى له، بمعنى أن يحرص على معرفة الوقائع كما هي في الواقع، وليس كما تبدو في تمنياته، ويقتضي هذا إقصاء الخبرة الذاتية، لأن العلم قوامه وصف الأشياء وتقرير حالتها، ومحَكُّ الصواب في البحث العلمي هو التجربة التي تَحسِمُ أي خلاف يمكن أن ينشأ بين الباحثين، ومن هنا كان الخلاف بين العلم والفن. فالفنون والآداب تقوم على الخبرة الذاتية، بمعنى أن الفنان ينظر إلى موضوعه من خلال أحاسيسه وعواطفه وانفعالاته وأخيلته، ومن هنا بدا المنظر الواحد في صور الفنانين أو قصائد الشعراء في صور شتى أو قصائد متباينة، وبمقدار مايكون بينها من تفاوت وتباين تكون عبقرية كل واحد من أصحابها، بينما ينتهي العلماء في دراساتهم لأية ظاهرة إلى نتائج واحدة، وإلا كان الالتجاء إلى التجربة، لمعرفة وجه الصواب في أمرها.

أما النزاهة فيراد بها إقصاء الذات، أي تجرد الباحث من الأهواء والميول والرغبات، وإبعاد المصالح الذاتية ووجهات النظر الشخصية. وبالتالي فهي تقتضي إنكار الذات وتنحية كل مايعوق تقصي الحقائق من طلب شهرة أو مجد أو استغلال الثراء، مع اعتصام بالصبر والأناة، وحرص على توخي الدقة حتى يتسنى للباحث أن يتم موضوعه في أمانة ومن غير تحيز، وكل هذا يستلزم طاقة خلقية، وروحًا نقدية، وتحرراً من أية سلطة يمكن أن تملي عليه رأيًا، وبهذا يتوخى الحق، ويُخلصُ في طلبه، ويستبعد التعصب، ويتفادى إغراء الهوى، ويتفانى في تحري الحقائق وتمحيصها وفاء بحق الأمانة العلمية.

٥ـ الاعتقاد مقدمًا بمبدأ الحتمية

يفترضُ العالمُ مُقَدَّمًا مدركات عقلية أو قضايا أولية، هي أعم من مقدماته، يستخدمها دون أن يحاول البحث في صوابها أو خطئها، فيترك البحث في صوابها للفيلسوف. فمن ذلك أن العالم الطبيعي يسلم مقدما ـ في بداية بحثه ـ بمبدأ الحتمية، أو السببية العامة، وهذا يعني أن لكل ظاهرة علة توجب وقوعها، ولكل علة معلولاً ينشأ منها، فالظواهر يتحتم وقوعها متى توافرت أسبابها، ويستحيل أن تقع مع غياب هذه

الأسباب. وهذه الاستحالة هي ماتسمى بالضرورة، والأسباب والعلل في العلم لاتعزى إلى القضاء والقدر، الذي يرد وقوع الأشياء إلى قوىً عليا تسيرها، لأن في مثل هذا القول نوعًا من الجبرية التي لايمكن التخلص منها. بينما يتيسر مع القول بالحتمية العلمية تجنب وقوع الظاهرة المحتومة بالقضاء على أسبابها، كأن يتفادى الإنسان الإصابة بمرض معد بالابتعاد عن أسبابه. ولاترتد الأسباب في العلم إلى القوى الخفية لاستحالة التثبت منها بالخبرة الحسية، التي هي في العلم محك الصواب والغلط، كما تستبعد الحتمية المصادفة والاتفاق لأن الظواهر ضرورية وليست ممكنة، وهكذا يكون وقوع الظواهر لوجود أسبابها ضروريًا، وليس مُحتملاً أو ممكنًا.

وإذا كان علماء القرن التاسع عشر قد اعتقدوا في العلية قضية مسلَّمةً، بمعنى أن وقوع الظواهر الطبيعية محتوم حتمية لايرقى إليها الشكُّ، فإن التقدم العلمي الذي تحقق في القرن العشرين، قد زعزع ثقة العلماء الذين آمنوا بـ (القانون الطبيعي)، الذي تميَّز في أيامنا الحاضرة بأنه يصاغ من كم عددي، وبهذا كفّت العلوم الطبيعية في الوقت الحاضر عن البحث عن العلة والمعلول، وقنعت بالبحث عن الظروف التي تسبق الظاهرة أو تصحبها، ووضع القوانين التي تكشف عن العلاقة بين الظواهر المتغيرة في صيغة رياضية محددة تتميَّز بالدقة والضبط، ومن هنا كان أكثر العلوم تقدمًا في القرن العشرين هو ماكانت قوانينه تصاغ في كميات عددية.

٦- توافر الثقافة الواسعة للعلماء

وَلَعَ الغربيون في العصور الحديثة بالتخصص الضيق، واشتد اعتزاز العلم الطبيعي بمناهجه التجريبية، حتى استخف أهله بسائر فروع المعرفة البشرية ومناهجها الأخرى، ولكن القرن العشرين شهد تحولاً مفاجئاً، أفضى إلى نوع من التقارب بين العلم التجريبي وغيره من فروع المعرفة البشرية، وكان هذا بعد أن غلبت النزعة المادية على ذلك العلم، وانهارت الآمال التي علقها عليه الناس في إسعاد البشرية، وأيد هذا التحول واضعو المناهج العلمية حين طالبوا الباحثين بالوقوف على كل ما من شأنه أن يساعدهم في دراسة موضوعاتهم وفهمها على أحسن الوجوه. ومن ذلك أنهم أوصوا الطبيب بأن يلم بعلوم الأحياء والكيمياء والصيدلة والطبيعة والنفس وغيرها، وأوصوا العالم الطبيعي بأن يتزود بثقافة واسعة في الفلسفة والفن معًا، فالفلسفة تضفي على التفكير العلمي حركة تبعث فيه الحياة وتسمو به، والفنان يستمد من العلم أسسًا أرسخ، والعالم يستلهم من الفن حَدْسًا أصدق.



فرنسيس بيكون

الخاتمة

لم يكتسب التفكير العلمي سماته المميزة، التي أتاحت له بلوغ نتائجه النظرية والتطبيقية الباهرة، إلا بعد تطور طويل، وبعد التغلب على عقبات كثيرة(٧). وخلال هذا التطور كان الناس يفكرون على أنحاء متباينة، يتصورون أنها كلها تهديهم إلى الحقيقة، ولكن كثيراً من أساليب التفكير اتضح غلطها فأسقطها العقل البشري خلال رحلته الطويلة، ولم تصمد في النهاية إلا تلك الجوانب الأساسية، التي تثبت أنها تساعد على العلو ببناء المعرفة، وزيادة قدرة الإنسان على فهم نفسه والعالم المحيط به.

واليوم لايملك أي شعب يريد أن يجد له مكانًا بين شعوب العالم المعاصر، إلا أن يحترم أسلوب التفكير العلمي في عصرنا الحاضر، فلم يعد للسؤال: (أنتبع العلم أم لا؟) مجال في هذا العصر، بل إن الدول التي تحتل اليوم موقع الصدارة بين بلاد العالم قد حسمت هذا السؤال منذ أربعة قرون على الأقل(٨)، ولم تعد هذه المشكلة مطروحة أمامها منذ ذلك الحين.

وفي اعتقادي أن موضوع التفكير العلمي هو موضوع الساعة في وطننا العربي، ففي الوقت الذي أفلح فيه العالم المتقدم - بغض النظر عن أنظمته الاجتماعية - في تكوين تراث علمي راسخ، امتد في العصر الحديث، طوال أربعة قرون، وأصبح يمثل في حياة هذه المجتمعات اتجاهًا ثابتًا، يستحيل العدول عنه أو الرجوع فيه، مايزال المفكرون العرب يخوضون معركة ضارية في سبيل إقرار أبسط مبادئ التفكير العلمي، ويبدو حتى اليوم - ونحن نمضي قدمًا إلى السنوات الأخيرة من القرن العشرين - أن نتيجة هذه المعركة مازالت على كفة الميزان، غير أن المرء يخيل إليه أن احتمال الانتصار فيها أضعف من احتمال الهزيمة.

وأمام ذلك ينبغي أن نحترم العلم في الحاضر مثلما احترمناه في الماضي، وأن يكون هدفًا من أهدافنا التي نحرص عليها حاضرًا ومستقبلاً.

الحواشي:

(١) د.توفيق الطويل: في تراثنا العربي الإسلامي، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٨٧) آذار (مارس) ١٩٨٥م، الكويت، ص ٧، ٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٩ - ٥٨: يقوم المؤلف بإجراء موازنة في خصائص التفكير العلمي بين تراث الغربيين في عصورهم الحديثة والتراث العربي العلمي إبان عصوره الوسطى في الفصل الأول من الكتاب، وفي ضوء هذه الخصائص تحدثت عن الجوانب الأساسية في التفكير العلمي.

(٣) فرنسيس بيكون: فيلسوف إنجليزي (١٥٦١ - ١٦٢٦م).

(٤) رينيه ديكارت: فيلسوف فرنسي (١٥٩٦ - ١٦٥٠م).

(٥) يقول (برترند رسل): إن العلم وإن كان يبدأ بدراسة الوقائع الجزئية، إلا أن معرفتنا التجريبية بهذه الوقائع لاتكفي لقيام العلم، لأن العلم لايستقيم إلا إذا كشفنا عن القوانين العامة التي تكون هذه الوقائع الجزئية تطبيقًا لها.

(٦) التكميم: يقصد بها حساب الكمية.

(٧) د.فؤاد زكريا: التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٣) آذار (مارس) ١٩٧٨م، الكويت، ص ١٧.

(٨) المرجع السابق، ص ١٠، ١١.



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

إنما "فاعل" للمتابعة

قال أبو عبدالرحمن: من رأى أن «فَعَلَ» تأتي بمعنى «فَاعَل» استدل بأنه لم يجد فرقًا بين: دفع الله عنه السوء، ودافع عنه السوء.

قال أبو عبدالرحمن: الدفع في أصل اللغة اسم لهيئة حسيّة في تنحية الشيء، ثم تُوُسِّع به لكل تنحيَة. وإذا وُجد في الاستعمال العربي: دفع عنه المكروه ودافع عنه المكروه: فلايعني ذلك أنهما بمعنى واحد، بل على المتلقي أن يستحضر دلالة الصيغ فيفرق بموجبها.

ومايحكيه المعجميون من التوحيد في المعنى ليس نقلاً عن العرب أنهم وحدوا كقول الزبيدي: «يقال: دافع عنه، ودفع.. بمعنى.. تقول: دفع الله عنك المكروه دفعًا، ودافع الله عنك السوء دفاعًا»(١). وإنما ذلك اجتهاد منهم خاطئ بسببين:

أولهما: أنه غلب في ظنهم أن «فَاعَلَ» تأتي من طرفين فأكثر، والله سبحانه لامدافع له، فجعلوا دفع بمعنى دافع.

وثانيهما: القعود عن استكمال معاني الصيغة في الاستعمال العربي مع تبييت عزم الفكر على ضرورة البحث عن فارق بين «فعل» و«فاعل»؛ لأن الأصل افتراق معاني الصيغ إلا لنكتة بلاغية.

و«فَعَلَ» أبسط مدلولاً، لهذا تكون دفع دالة على دفع مكروه واحد مرة واحدة. ودافع استمرار لدفع الله المكروه.

بيد أن العرف العربي العام ينسى فوارق التعبير، أو يغفل عنها فتستمرئ الأجيال التسوية بين الصيغ المختلفة.

وكذلك سَفَرَ ليست بمعنى سافر؛ لأن سفر بين القوم بمعنى سعى في الصلح بينهم، وليست بمعنى سار إليهم، بل جاء المسير بدلالة لزومية.

وإنما المعنى أنه كشف لفئة مقصد الفئة الأخرى، لأن الأصل في مادة «سفر» الكشف والجلاء.

وسافر المُراعَى فيها انكشافُ المرء من مكانه في العراء الذي هو طريق المضي، كما قرر ذلك ابن فارس.

وهو لايزال ينكشف من مكان إلى مكان حتى يصل إلى غايته، فاختير لذلك صيغة «فاعَل» لدلالتها على أحداث متتالية.

قال ابن فارس: «وأما قولهم: «سفر بين القوم سفارة» إذا أصلح، فهو من الباب، لأنه أزال ماكان هناك من عداوة وخلاف» (٢).

وقال الزبيدي: «وإنما سُمِّي به [يعني السفير] لأنه يكشف مافي قلب كل منهما ليصلح بينهما، ويُطلق أيضا على الرسول لأنه يظهر ماأُمر به.

وجمع بينهما الأزهري فقال: هو الرسول المصلح» (٣). وقال المحلاوي عن بقية معاني فاعل: «وربما كانت المفاعلة بتنزيل غير الفعل منزلته كيخادعون الله.. جعلت معاملتهم لله - بما انطوت عليه نفوسهم من إخفاء الكفر وإظهار الإسلام -، ومجازاته لهم مخادعة»(٤).

قال أبو عبدالرحمن: المخادعة موالاة الخدع، فالصيغة على بابها لم تتغير.

وإنما الذي تغير معنى المادة - الخاء، والدال، والعين -، فقد جعل الله نفاقهم خداعًا على أسلوب لغة العرب في مجازها.

وهذا مجاز أدبي لا لغوي بحيث يُعطى لفظٌ معنى اللفظ الآخر لعلاقة بينهما، ويبقى لكل لفظ معناه في لغة العرب.

والخداع في لغة العرب مخاتلة لإيقاع المكروه بالمخادَع - بصيغة اسم المفعول -.

والله سبحانه القاهر المحيط لايصلح هذا المعنى في حقه سبحانه، فتعيَّن أحدُ مجازين:

أولهما: أن المخادعة على بابها، وهم يريدون إيقاعها على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، فجعل الله ذلك مخادعة له لايقدرون عليها، لأن الأمر الشرعي أمره، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في حرزه.

وثانيهما: أن يكون المراد بالمخادعة المنافقة بجامع أن الخداع إخفاء، والنفاق إخفاء.

وقد ذهب ابن فارس إلى أن الأصل في

الخداع الإخفاء(٥).

قال أبو عبدالرحمن: إنما هو خصوص إخفاء يأتي على سبيل المخاتلة.

وقال الزبيدي في قوله تعالى: ﴿قاتلهم الله﴾ (التوبة، والمنافقون): «وليس هذا من القتال الذي هو المحاربة بين اثنين، وسبيل «فاعَل» أن يكون بين اثنين في الغالب، وقد يرد من الواحد كسافرت، وطارقت النعل»(٦).

قال أبو عبدالرحمن: الذي حصل بصيغة فاعَل هاهنا موالاة مايكون به هلاكهم تبعًا لما يوالونه من معصيتهم لله.

وهناك كتيِّب في التصريف نُسب للإمام أبي حنيفة - وهو لايصح عنه - قال فيه: «وباب فاعَل يكون بين اثنين نحو ناضلته إلا قليلا، ونحو طارقت النعل، وعاقبت اللص»(٧).

وقد علَّق عليه زين الدين محمد بن بير علي بقوله: «أي يكون مدلوله وهو الحدث حاصلاً بين الاثنين.. أي قائمًا.

وقوله: «إلا قليلا» استثناء من «فاعَل يكون».. أي إلا القليل من باب فاعل، فإنه لايكون بين الاثنين، بل يكون قائمًا بواحد، فإن العقاب في عاقبت اللص مثلاً قائم بالمتكلم فقط، ومتعلق باللص تعلق وقوع لاتعلق قيام.. بخلاف المناضلة في ناضلته فإنها قائمة بالمتكلم والغائب.

والمتعلق بهما تعلق قيام، لكن لابد وأن يكون صادرًا من المتكلم ابتداء، ويتعلق بالغائب ليكون مفعولاً به ممتازًا عن الفاعل.

وكذا في كل ماكان من فَاعَل بخلاف تفاعل، فإن البادئ فيه غير معلوم، ومن ثمة جاز أن يقال: أضَارَبَ عمرو زيدًا، أم ضارب زيد عمرًا؟!

ولم يجز: أتضارب عمرو وزيد، أم تضارب زيد وعمرو؟» (٨).

قال أبو عبدالرحمن: شراح الأعاجم بصنعتهم المنطقية والكلامية يُعَقِّدون المطولات في شرحهم للمتون الواضحة الموجزة، فأوضح من كلمة «قائم» و«متعلق» التعبير بالفاعل والمفعول به، لأننا في موضوع نحوي. وصدور الفعل ابتداء ينسب إلى من أسندت إليه الفاعلية في الخير، وذلك أولى من نسبته إلى المتكلم ، لأن الجملة قد لاتأتي بصيغة «عاقبت اللص» فنسند الفاعلية إلى المتكلم، بل تأتي أحيانًا بصيغة «عاقب الأمير اللص»، فالفاعلية مسندة إلى الأمير، ولاعلاقة للمتكلم بها.

ومن الشروح التي لاتخلو من غموض قول عيسى السيروي: «فاعَلَ نحو قاتل مصدره قسمان: قياسي وهو المفاعلة، وسماعي وهو الفعال، ويجيء فيعالاً على لغة من قال في كلم كلامًا.

وبناؤه للمشاركة غالبًا، ومعناها نسبة الحدث صريحًا إلى المرفوع بالقيام به، وإلى المنصوب بالوقوع عليه.

وضمنًا بالعكس نحو ضارب زيد عمرًا، فإن المفعول صريحًا فاعل ضمنًا.

ويجيء بلا مشاركة ، وهذا مطرد في أفعال نُسبت إلى الله تعالى نحو: قاتله الله.

ولصيرورة الشيء ذا وصف نحو: عافاك الله.. أي صيرك ذا عافية.

وللتكثير نحو: ضاعفت.

وبمعنى فعل نحو: دافع.

قيل: فائدة النقل المبالغة.. تأمل» (٩).

قال أبو عبدالرحمن: مضى تحقيق كل مايتعلق بنسبة الفاعلية إلى المفعول به ضمنًا، وبالفعل من طرف واحد كقاتله الله، وبالتكثير، وبدافع.

وأما قضية القياس والسماع فقد ذكر لي معركة لغوية بين الشيخ أبي تراب وغيره - لم أطلع عليها - عن إنكار استعمال الحوار لأنه مصدر لم يسمع، وإنما المسموع القياسي منه وهو المحاورة.

ومذهبي في ذلك أن المصدر الحقيقي واحد إذا تعددت المصادر، وتكون البقية نزلت منزلة المصدر وعملت عمله لنكتة ولابد، فهي مصادر مجازية.

ومذهبي ثانية أن أي صيغة يقال: إنها سماعية: لايشترط لصحة استعمالها في مادة ما أن تكون مسموعة عن العرب منقولة في المعجم، لأنني أسلفت أن الصيغ موضوعة بمعانيها في لغة العرب بغض النظر عن المواد التي تُحوَّل إليها.

كما لايجوز أن نستعملها مطلقًا في كل مادة لم ينقل عن العرب استعمالهم الصيغة فيها.

بل المنهج في ذلك أن نلجأ إلى أمتن البراهين وهو الاستقراء، فنأخذ جملة من المواد التي سمع فيها فعالاً ومفاعلة معًا.

ونأخذ جملة من المواد التي لم يسمع فيها إلا المفاعلة دون الفعال، ومن الفوارق نأخذ القاعدة لامتناع الفعال، ولجوازها وإن لم تسمع.

وباستقرائي وجدت أن الفعال تأتي في اشتراك الفاعل والمفعول به في الفعل صراحة وضمنًا.

فتكون المفاعلة للحديث الحاصل في وقته، ويكون الفعال اسما لما حدث مجردًا عن زمانه، ويكون الفعال استعمل مصدرًا مجازًا.

وأما ماليس فيه مشاركة فلم يرد الفعال، وكانت المفاعلة كافية في المصدرية والاسمية المجردة عن الزمان.

وإذن فإذا أراد المتكلم الدلالة على أن الفعل وقع مشاركة فله استعمال الفعال، وإن لم تسمع في خصوص المادة كالحوار والنواش.

وأرجح من كل ماقررته سابقًا أن نجعل الفعال مصدر فعل المشارك وحده، ونجعل المفاعلة مصدر فعل المشتركين.

على أن الفيروزآبادي نص على المحاورة والحوار بمعنى الجواب(١٠).

والمعنى بلاريب جواب كل طرف، لأن الفعل مشترك في هذه المادة.

قال أبو عبدالرحمن: ولانقول: إن نقل

إنما «فاعَلَ» للمتابعة

المادة من فَعَلَ مثلاً إلى فاعل للمبالغة، وإنما النقل لأجل إرادة معنى المفاعلة، وهو التتابع والموالاة.

وقول السيروي: «ولصيرورة الشيء ذا وصف نحو عافاك الله.. أي صيرك ذا عافية»: إنما هو إحالة إلى غير مميز، ثم إن هذا المعنى نتيجة الفعل، وليس هو دلالة صيغته.

والصواب أن المعافاة إبعاد المكاره، واختير لها صيغة عافى لأن معنى هذه الصيغة يقتضي موالاة الألطاف التي يستمر بها البعد عن المكاره، ولهذا قال ابن فارس: العافية دفاع الله تعالى عن العبد(١١).

وذكر محمد بن أحمد عليش أن فاعَل تأتي بمعنى تفاعل، ومثَّل بسارع بمعنى تسارع، وتجاوز بمعنى جاوز(١٢).

قال أبو عبدالرحمن: بل فيه فوارق، فتفاعل للمشاركة لايعلم من صاحب الفعل الأول، وتدل تفاعل على تكلف وثقل أو تثاقل.

ومن شراح المقصود من ذكر أن فاعل تجيء بمعنى أَفْعل نحو: عافاك الله بمعنى أعفاك، وراغن سمعه بمعنى أرغن.

وأنها تأتي بمعنى فعَّل المشددة العين مثل صاعر خده وصعَّره(١٣).

قال أبو عبدالرحمن: مر معنى عافى، وأما أعفى فهي بمعنى برّأه، فالمعنى: أزال عنه المرض وبرأه منه، أما المعافاة فتعني موالاة دفع المكروه وجلب الصحة.

وقد ذكر الفيروزآبادي أعفاه بمعنى برأه، ثم ذكرها أخرى بمعنى عافاه(١٤)، وهذا اجتهاد علماء، وليس نقلاً عن العرب كما أسلفت القول في مثل ذلك.

وهو اجتهاد قاصر سببه الغفلة عن الفرق بين التعبيرين.

وأرغن بمعنى أصغى، وراغن بمعنى والىَ الإصغاء وتابعه.

وتصعير الخد إمالته عن النظر إلى الناس تهاونًا بهم وكبرًا، ويكون ذلك بتكلف.

وصاعر بذلك المعنى ولكن بموالاة ومتابعة دون تكلف.

قال أبو عبدالرحمن: ولأريح العقل من الصداع أذكر الوقفات التالية:

الوقفة الأولى: ليس الأصل في مادة «فاعَل» أن تكون من طرفين وأكثر، بل الأصل فيها أن تكون لمتابعة الفعل وموالاته، وتتابع الفعل يكون من طرف واحد، ويكون من طرفين فأكثر.

والوقفة الثانية: وردت صيغة «فاعل» من طرفين فأكثر، وورد مصدرها على مفاعلة وفعال مثل: مازحه، وخاطبه، وكافحه، وواثقه، وقاتله، وناضله.. إلخ.

وسر مجيء الفعال في هذه الأمثلة أن للمشارك هاهنا فعلاً تعدّى للطرف الآخر، فكان الفعال مصدرًا لفعله وحده.

والوقفة الثالثة: وردت صيغة «فاعل» من طرفين فأكثر، ولم يرد مصدر الفعال مثل: جالسه، وناصبه، وعاضده، وعاونه، وواثبه، ووادعه، وصالحه، وراوغه، وياسره، ولاينه، وسايفه، وطايبه، وقاسمه، ونازله، وواراه، وواساه.

والسر في ذلك أنه ليس للطرف المشارك فعل في الطرف الآخر، فجالسه مثلاً بمعنى دوام الجلوس معه وجلس حيث يجلس، فالفعل في المكان.

وواثبه مماثلة ومغالبة.. وثب هذا فوثب هذا، فليس لأحد فعل في الآخر.

وفي ناصفه نجد الفعل واقعًا على الشيء المقتَسَم.

ولكن إذا تعدى الفعل لأحد الطرفين جاز الفعال فقهًا لغويًا، فلو أردت بالمواثبة أن كل واحد وثب على الآخر جاز الوثاب مصدرًا لواثب.

وقد جاء الوثاب في القاموس مصدرًا لوثب، على أن واثب بهذا المعنى أولى به.

وإذا أردت بالمنازلة أن كل واحد أنزل صاحبه جاز جعل اسم النزال مصدرًا لنازل.

والوقفة الرابعة: جاءت فاعل للمتابعة من طرف واحد فقط، ولم يرد الفعال، لأن فعل الفاعل لم يتعد إلى الطرف الآخر مثل: سافر، وهاجر، وداوم، (أي تابع المداومة)، وقارب (بمعنى أدنى خطوة من خطوة).

والوقفة الخامسة: جاءت فاعل للمتابعة من طرف واحد فقط، وورد الفعال مصدرًا، لأن الفعل تعدى إلى طرف واحد مثل: عاقب اللص، وعالج المريض.

وعلى هذا يجوز فقهًا استعمال الفعال مصدرًا لفاعل المتعدية إلى طرف آخر، وإن كان الفعل من طرف واحد، فيجوز قاربها قرابًا إذا رفع رجلها، وقد نص في القاموس على أن الفعال اسم لهذا الفعل.

ويجوز ساوره سوارًا، ويجوز داومه دوامًا إذا كان المعنى تأنّى فيه وطلب دوامه.

الهوامش

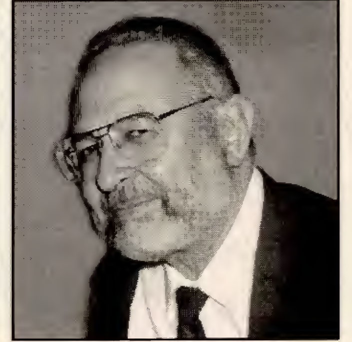
(١) تاج العروس ٥/٣٣٠.
(٢) مقاييس اللغة ٣/٨٢.
(٣) تاج العروس ٣/٢٧٠.
(٤) شذا العرف ص٤٣.
(٥) مقاييس اللغة ٢/١٦١
(٦) تاج العروس ٨/٧٦.
(٧) المقصود المنسوب لأبي حنيفة بهامش حل المعقود ص٤٠.
(٨) إمعان الأنظار: النص الأسفل بهامش المطلوب شرح المقصود في التصريف ص٦٨.
(٩) روح الشروح: الحاشية الأولى بهامش المطلوب ص١٨.
(١٠) القاموس المحيط ٢/٢٤.
(١١) مقاييس اللغة ٦/٥٧.
(١٢) حل المعقود ص١٤.
(١٣) المطلوب ص١٨.
(١٤) القاموس المحيط ٤/٥٢٧ و ٥٢٨.

حوار مع

د. أحمد القاضي

كيف يصبح المهاجر المسلم وجها مشرقا للإسلام ؟

قسم التحرير ـ أجراه: حسين حسن حسين



قدم د. فاروق الباز في العدد الماضي بعض الآراء حول قضية هجرة العقول من العالم الإسلامي إلى الغرب، وفي هذا العدد يكشف د. أحمد القاضي - جراح القلب والأوعية الدموية ومدير معهد الطب الإسلامي في بنما سيتي بالولايات المتحدة الأمريكية من خلال حوارنا معه ـ جوانب أخرى للقضية، ملقيًا الأضواء على تجربته -وفريق العمل المصاحب له- في إنشاء معهد الطب الإسلامي للتعليم والبحوث من أجل تقديم نموذج عملي يسترشد بالمفهوم الإسلامي للعلوم.

ويبدأ د. القاضي الحوار بتلخيص أسباب هجرته، فيقول:

أكملت تعليمي الثانوي في سن مبكرة (١٥ عاما)، ولكن لم يؤهلني مجموعي للالتحاق بكلية الطب، فأشار عليَّ والدي بالسفر إلى الخارج، فذهبت إلى النمسا حيث أنهيت الدراسة والتخصص، ثم أكملت التخصص في أمريكا، بعد ذلك عدت إلى العالم الإسلامي وكلي أمل في الاستقرار وتحقيق طموحات (ضخمة) وفق مثاليات تمسكت بها، ولكن بعد مرور وقت قصير وجدتني أصطدم بالواقع الذي يحول دون تحقيق هذه الطموحات، فاتخذت قرار الهجرة، وكان ذلك في عام ١٩٧١م. وقد أقنعت نفسي أن الإنسان يمكن أن يعيش في أي مكان في الشرق أوالغرب، ويكون محاطًا بمجتمع مسلم، كما أن على المسلم أن يخدم البشر كلهم دون تفرقة، لكونه صاحب رسالة عالمية. ووفق هذا المفهوم بدأت مشواري العلمي والعملي في الولايات المتحدة الأمريكية.

هل يجد المهاجر المسلم صعوبة في إثبات الذات؟

الإخلاص في أي مجال في عالمنا الإسلامي -للأسف- أقل مما يفرضه علينا الإسلام، وهذه ظاهرة مرتبطة بالابتعاد عن الإسلام، ولذلك لم يخطئ من قال بأن في الغرب مسلمين دون إسلام، وأن عندنا إسلامًا بلامسلمين، فبعض السلوكيات في الغرب إسلامية، بمعنى اتفاقها مع روح الإسلام ودعوته، في حين أن لدينا كثيرًا من السلوكيات التي تتنافى مع هذه الروح.

ولذلك لاأبالغ إذا قلت إن إثبات الذات في الخارج أيسر منه في داخل الوطن، لأن المفاضلة والتقويم هناك يخضعان لأسس موضوعية، بينما ينتفي ذلك كثيرًا هنا -أي في عالمنا الإسلامي-.

كيف يتأتى ذلك في مجتمع معاد؟

الاتجاه المعادي للإسلام في الغرب يتركز في الإدارة والإعلام الرسمي، أما المجتمع بصفة عامة فلاتجد فيه عداءً سافرًا، وهو -في الغالب- يدعم من يثبت كفاءته، وإخلاصه في العمل. وطبعي أنه لايوجد مجتمع يخلو من عيوب بني البشر. وعلى الإنسان المسلم أن يبذل جهده ويتفانى في أداء ماعليه من واجبات مهما كانت الظروف لأنه ينطلق من المفهوم الإسلامي للكون والحياة، وهو لاشك سيجد العون من الله تعالى المعين الدائم لكل ساعٍ في الخير.

تربية الأبناء في الغرب تمثل معضلة حسب مايقول كثير من أصحاب التجربة. كيف واجهتم هذه المعضلة؟

تربية الأبناء مسؤولية شاقة سواء أكان ذلك في الغرب أم في الشرق، وتعتمد هذه التربية أساسًا على تقديم القدوة الصالحة، والنموذج

www.ahlaltareekh.com

العملي الذي عليهم الاحتذاء به. فتلقين القيم أمر لايجدي في التربية، وإنما لابد من إحالة هذه القيم إلى واقع يعيشونه. أما اختلاف البيئة بين الغرب والشرق الإسلامي، فأرى أن سلبيات الغرب قد تكون عامل صقل لشخصية الفرد المسلم، تمامًا كالتطعيم الذي يقي من الأمراض؛ لأن في بلداننا الإسلامية إطارًا عامًا يوحي بالإيمان والالتزام، بينما قد لايكون الواقع متفقًا مع هذا الإطار. أما في الغرب فالمغريات كثيرة، ويتزايد عدد من ينزلقون، وفي المقابل يتزايد عدد الملتزمين التزامًا حقيقيًا وليس مظهريًا كما هو حال الكثيرين عندنا. وهذا الاختلاف بين القول والفعل في عالمنا الإسلامي يؤدي إلى تشويش قيم الإسلام في أذهان الناشئة، أما في الغرب فلايوجد هذا التشويش، إذ إن الخيار إما أن تكون مسلمًا حقًا، أو لاتكون.

وأرى من تجربتي الشخصية أن أفضل وقت لتقديم الجرعة الإيمانية والزاد القرآني للأطفال يكون بعد صلاة الفجر. وبعد أن يحصل الطفل على مايحتاجه من طاقة إيمانية يمكن له -برحمة الله أولاً وآخرًا- أن يواجه المجتمع دون خوف عليه من الانحراف، لأنه في هذه الحالة سيعطي أكثر مما يأخذ. وقد تكون التجمعات والأنشطة الإسلامية معينة لتحقيق هدف ربط الأبناء بدينهم، وهذا مايتم حاليًا في الولايات المتحدة الأمريكية و في غيرها من بلاد الغرب.

هل من الضرورة أن تكون العربية لغة النشاط الإسلامي في غير البلدان العربية؟ وكيف يمكن ربط أبناء المهاجرين بلغتهم الأم؟

لقد كانت قضية اللغة من أكثر القضايا التي وُجِد اختلاف كبير حولها، فقد كان السؤال المحيّر في ممارستنا للنشاط الإسلامي: هل نتخذ اللغة العربية وحدها لغة لهذا النشاط؟ أم تكون الإنجليزية إلى جانبها؟

هناك من رأى أن اللغة العربية مادامت هي لغة القرآن، فلابد أن تكون اللغة الوحيدة للاتصال والمخاطبة بين المسلمين، لكن ذلك أدى إلى نفور المسلمين من غير المتكلمين باللغة العربية، لأنهم يحضرون الندوات والمؤتمرات وغيرها من الأنشطة دون أن يفهموا شيئًا، مما يحول دون مشاركتهم في النقاش والتداول، ومن ثم يكون دورهم سلبيًا، وقد وجدنا أن الإعلان عن اتخاذ الإنجليزية لغة في أي نشاط أو اجتماع يكون دافعًا لحضور عدد كبير من المسلمين. ويحدث كثيرًا أن يتضايق من لايتكلمون اللغة العربية، حين يصر العرب على استخدامها في حضرتهم دون مراعاة لمشاعرهم. وأعتقد أننا يجب ألانجعل هذا الأمر حائلاً دون التواصل مع أبناء المسلمين من غير المتكلمين باللغة العربية، لأن العربية سادت حين كنا أصحاب القوة وأصحاب الرأي، وستعود إن شاء الله للسيادة حين تعود لنا مقاليد القيادة. وعلينا التسليم بأن واقع اللغة العربية جزء من واقعنا الإسلامي، ولايمكن إصلاح الجزء بمعزل عن الإطار العام. وقد كشفت حلقات تلاوة القرآن الكريم التي تعقدها المراكز الإسلامية عن واقع مرير؛ إذ اتضح أن العرب أقل المسلمين إجادة لتلاوة القرآن، وهذا محل استغراب إخواننا من غير العرب الذي يجيدون التلاوة، وإن كانوا لايفهمون كثيرًا من معاني الآيات.

ومجمل الرأي أن التعنت في قضية اللغة يدعم الاتجاهات المعادية للإسلام، ويمثل عامل إضعاف لوحدة المسلمين في المهجر. وأود أن أشير في هذه النقطة إلى قضية تعريب التعليم الجامعي في بلداننا العربية وبخاصة الطب، فقد وجدت أن هناك حججًا واهية تحول دون إتمام التعريب. وأذكر أنني في زيارتي الأخيرة للرياض لحضور ندوة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية حول «العقول الإسلامية المهاجرة وإسهامها في البناء الحضاري»، سمعت رأيًا يقول بأن تعريب الطب في دول الخليج العربية أمر محال، لأن عددًا كبيرًا من العاملين والفنيين في الجهاز الطبي -باستثناء بعض الأطباء- من غير العرب. وفي ظني أن هذا الرأي يفتقر إلى المنطق، فإذا أخذنا الولايات المتحدة الأمريكية كمثال، فإننا نجد أن الوضع فيها يماثل الوضع في الدول الخليجية، ولكن من يريد الحصول على فرصة عمل في أمريكا عليه أن يجتهد في تعلم اللغة الإنجليزية، لأنه يعلم جيدًا أن هذا هو الطريق الوحيد للتوظيف، ومن ثم فإن من يأتي للعمل في الدول العربية عليه أن يبذل جهده في تعلم اللغة العربية، لأنه في الأساس جاء لتحقيق مصلحة شخصية، وسوف يسعى لها مهما كانت الصعاب.

أما بخصوص تعليم الأبناء اللغة العربية، فإنني أرى أنه هين للغاية إذا التزمت ذلك الأسرة، حتى إن أحفادي يتحدثون العربية دون عسر أو تعثر.

معهد الطب الإسلامي للتعليم والبحوث الذي تديرونه .. ما الجديد الذي يقدمه في مجال بلغ تطورًا كبيرًا في هذا العصر؟

المعهد جزء من نشاط مؤسسة العلوم الطبية الإسلامية، التي تضم كذلك مدرسة من مرحلة الحضانة إلى المرحلة الثانوية، ويرمى المعهد والمدرسة إلى تقديم نموذج تعليمي إسلامي يلتزم المعايير والضوابط الإسلامية للعلوم بصفة عامة، وهما ضمن خطة لإقامة النماذج الإسلامية في كل مجالات المعرفة.

وتتمحور أهم معايير الطب الإسلامي حول ست صفات هي: **الإيمان بالله تعالى وتعاليمه، والشمولية في الأسلوب**؛ بمعنى أن تتكامل رؤيتنا للإنسان بحيث يشمل البدن والعقل والروح. **والمنطقية في الممارسات، والعالمية في الاتجاه؛** بحيث تتنوع مصادر المعرفة وتقوم على أساس علمي دقيق، وأن يفيد من بحوثنا البشر كلهم دون تفرقة. والصفة الخامسة هي **العلمية في المنهج،** وقد يرى البعض الطب الغربي يقوم على هذا الأساس، ولكننا رأينا أن هناك بعض الفلسفات والنتائج التي يتم التوصل إليها في الغرب تنقصها الأمانة العلمية والدقة. أما الصفة السادسة فكانت **ضرورة الامتياز والريادة؛** ونعني بها النجاح فيما فشل فيه الطب الحديث، مستندين في ذلك إلى المفهوم الإسلامي بأن: «لكل داء دواء».

وانطلاقًا من هذه الأفكار والأهداف الكبيرة، تركزت دراسات المعهد في بحث الأمراض المزمنة والمستعصية مثل السرطان

والإيدز والشيخوخة وتليُّف الكبد وغيرها. ولم تكن المخصصات والإمكانات البشرية تتناسب مع هذه الأهداف والطموحات، ولكن كان اعتمادنا الأول على الله سبحانه، ويقيننا أن المرامي الخيرة تجد عونه تعالى، فهو القائل في محكم تنزيله: ﴿ومَنْ يتّقِ اللهَ يجعل له مخرجًا. ويَرزُقه من حيثُ لا يَحتَسِبُ﴾ (الطلاق : ٢ ،٣)، وكان هذا الوضع محل استغراب كثيرين ممن رأوا أننا -لامحالة- سائرون إلى الفشل.

كيف بدأ التخطيط لإقامة المعهد وتدريس مناهجه؟

كان التخطيط أن يكون المعهد مشروعًا خاصًا يقوم به أفراد، بحيث ينسب إليهم الفشل إذ حدث ذلك -لاقدر الله-، وبدأنا في وضع الخبرات التربوية المكتسبة من خلال الممارسة المهنية في علاج الأمراض المستعصية والمزمنة، مع توظيف هذه الخبرات في تنمية الشخصية الإسلامية لدى الطلبة، بحيث يتكامل لديهم التقدم الأكاديمي والإحساس الاجتماعي المنبثق من قيم الإسلام الذي ينقي الإنسان ويطهره من المشكلات الاجتماعية التي فشلت الأنظمة التربوية في الشرق والغرب في القضاء عليها. وتقرر أن يتفرد المنهج الدراسي في المعهد بحيث لايكون تلفيقًا بين مناهج الغرب والعلوم الإسلامية الأخرى، وإنما يكون منهجًا إسلاميًا خالصًا يدمج العلم والقيم الإسلامية دمجًا كاملاً. وهو بذلك يختلف -مثلاً- عن مناهج تدريس الطب في بعض الجامعات الإسلامية مثل جامعة الأزهر، التي تتبع مناهج الطب الغربي، إضافة إلى تدريس بعض العلوم الإسلامية.

كما كان الحرص على ضرورة الإفادة من الأبحاث والدراسات التي تجرى في المعهد ووضعها موضع التطبيق، ورأينا ـ وحين أتكلم بصيغة الجمع أقصد فريق العمل بالمعهد ـ أن إجراء بحوث قليلة وفق القواعد العلمية والمنهجية الدقيقة وتطبيقها أفضل بكثير من التوسع في التجارب دون أن نفيد منها، وهذا مايحدث بصورة واضحة في بلداننا العربية والإسلامية، إذ تتكدس الابحاث على الرفوف دون أن تجد طريقها الى التطبيق، مما يمثل إهدارًا للمال والطاقات.

ألم يكن هناك تخوف من أن يكون العنوان -وأعني به الصفة الإسلامية للمعهد- عائقًا؟

حرصنا منذ البداية أن يكون العنوان معبرًا عن المحتوى، على الرغم من إدراكنا أن الصفة الإسلامية للمعهد قد تمثل حاجزًا نفسيًا، لما ألفناه في الغرب من تخوف واضح من كل ماهو إسلامي. ولكن كان الرأي أن العنوان لابد أن يكون جزءًا من الدعم والحافز للاستمرار. والآن بعد النجاح الذي تحقق -بفضل الله- أقيمت جسور ثقة بين المعهد وغير المسلمين الذين أقبلوا على إلحاق أبنائهم بالمدرسة لأنهم وجدوا مشكلات عديدة في المدارس العامة، بينما تنتفي هذه المشكلات في مدرسة المعهد، كما يأتي كثيرون منهم للعلاج في المركز الطبي، مما يعني زوال الحواجز النفسية التي قد يسببها العنوان. فالمسلم يستطيع بالإخلاص وحسن التصرف أن يتجرد من مظاهر الانهزامية التي قد تبدو واضحة في تخلي بعضنا عن أسمائهم، فيصبح محمد (مو) وفريد (ألفريد).

كيف تبدو الآن علاقة المرضى بالمعهد؟

المسلمون هم أهل المعهد، أما بالنسبة لغير المسلمين، فهناك الممرضات والفنيون العاملون في المعهد، إضافة إلى أن غير المسلمين يمثلون الغالبية من مجموع المستفيدين من نشاط المعهد. ويتم تعريف هؤلاء بالإسلام -بشكل غير مباشر- من خلال توضيح المفهوم الإسلامي عبر النشرات والندوات والمناظرات وغيرها. وأذكر أن إحدى السيدات اعترضت بشدة حين أوضحنا رأي الإسلام في الانحلال الخلقي والشذوذ، في معرض حديث عن مسببات مرض الإيدز في إحدى الندوات، ولكن الأغلبية أيدت وجهة النظر الإسلامية. وأعتقد من خلال تجربتي أن الأساليب غير المباشرة أجدى في الإقناع بوجهة النظر الإسلامية من جلسات الوعظ.

كيف يصبح المهاجر المسلم وجها مشرقا للإسلام ؟

هل تقتصر بحوث المعهد على ماورد في النصوص الطبية؟

لاتقتصر البحوث التي نجريها على الأمور الواردة في النصوص، وإنما تشتمل على مايتفق مع المفهوم العام للإسلام؛ إذ نتحرى ضرورة الإفادة من التجارب البشرية كلها. فمثلاً ابتكرنا في المعهد طريقة جديدة لعلاج الدم بالأشعة فوق البنفسجية، وهذه الطريقة مقتبسة من أسلوب كان متبعًا منذ أكثر من خمسين عامًا، وهي تتجنب الآثار الضارة للأدوية الكيماوية. وقد عولجت بها مريضة بالإيدز، تلوث دمها بميكروب العنقود الذهبي، ولايتعدى ثمن الجهاز المستعمل في هذه الطريقة عشرين دولارًا فقط، بينما كانت المريضة ستتكلف أكثر من ألفي دولار، وذلك للدواء فقط.

وفي ختام الحوار سرد د. أحمد القاضي بعض قصص النجاح الذي تحقق من خلال نماذج واقعية، مدعمًا حديثه بالتواريخ وصور الأشعة -عرضها في الندوة المشار إليها آنفًا-، ولكن كانت أكثر القصص تأثيرًا، تلك التي يقول عنها د. القاضي: جاءتنا سيدة في أوائل الثلاثينيات من عمرها، مصابة بورم خبيث في الثدي، كانت قد أُجريت لها علاجات كيماوية لم تنجح في منع انتشار المرض، فأخضعناها للعلاج المناعي الشمولي مع استمرار العلاج الكيماوي، وقد طلبت السيدة بشدة إنهاء العلاج الكيماوي لما يسببه لها من آلام، فوافقنا على ذلك، وبعد أربعة أشهر عادت إلى عملها وهي في صحة جيدة، وحملت بعد ذلك بشهرين، فنصحها طبيبها بالإجهاض، فاتصلت بي لأخذ مشورتي، فقلت لها إن المرض سيقتلك سواءبحمل أو دونه إذا قدَّر الله ذلك، فاستراحت لهذا الرأي، وبعد مرور شهور الحمل، جاءت تحمل طفلاً ترضعه من الثدي الذي كان مصابًا.

تعليق على سوانح الشيخ الجاسر عن بدايات التعليم في نجد

د. عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري

كتب علامة الجزيرة وأستاذ الجيل الشيخ حمد الجاسر ـ وفقه الله ـ سلسلة من المقالات في المجلة العربية ابتداء من شهر رجب ١٤١٤هـ حتى شهر ذي الحجة من السنة نفسها، عنونها بأحاديث عن بدايات التعليم في نجد، وقد كان مجال الحديث في تلك المقالات ـ كما عنونها ـ عن مرحلة التعليم النظامي في المملكة العربية السعودية عموماً وفي منطقة نجد خصوصاً، ولما كانت هذه المرحلة تهم الباحثين في تاريخ المملكة فقد رأيت التعليق على بعض ما أورده الشيخ في تلك المقالات المنتظمة.

تطرق الشيخ حمد الجاسر للفترة التأسيسية في حياة التعليم في المملكة وخصوصاً في نجد، والتي عاصرها عدد كبير من جيل الرواد والمربين الذين بذل كل منهم جهده في سبيل تأسيس التعليم والرقيّ به، ولم يدّع أحد أنه كان فارس الميدان وحده. وكان الشيخ حمد الجاسر من الفرسان السابقين، وإن كان بعضهم قد سبقه إلى التأسيس والتدريس في نجد وغيرها. ولن ينسى الناس والتاريخ جهود أولئك الآباء المربين من جيل الرواد الأول الذين كان أولهم السيد محمد طاهر الدباغ ـ رحمه الله ـ، وكان منهم وعلى رأسهم المربي الكبير فضيلة الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف العامة لفترة طويلة ـ رحمه الله وأجزل له المثوبة والغفران ـ، والذي عاصر تعيين الشيخ حمد الجاسر وعمله في التعليم. وكان الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ يمثل حلقة وصل رئيسة ومهمة في تلك الفترة الحرجة بين العلماء والحكومة والأهالي والمتفتحين كما يحاولون تسمية أنفسهم في تلك الفترة، ولا يُنسى في هذا المقام دور مؤسس المملكة المغفور له الملك عبدالعزيز، وولي عهده المغفور له سعود بن عبدالعزيز، والمغفور له فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمهم الله ـ، الذين كان لهم الدور الأكبر في التغلب على الواقع الموجود في تلك الفترة.

ويبدو أن الشيخ الجاسر أحب أن يُؤرِّخ لهذه الفترة لمَا رأى بين يديه من وثائق عن مرحلة التعليم آنذاك.

وقبل الدخول في مناقشة ما ذكره الشيخ الجاسر، أودّ ذكر بعض المعلومات العامة عن تلك المرحلة، التي قد لا تخفى على الكثيرين، لكي تقاس بها حالة التعليم في نجد ويُعرف بها قدر الرجال الذين عملوا في تلك الفترة الصعبة. فمن المعروف أن نظرة الأهالي في نجد للتعليم تختلف عن نظرة أهل الحجاز، حيث كان أهل الحجاز، لاحتكاكهم الدائم بالعالم الإسلامي في مواسم الحج والعمرة والزيارة، أكثر إدراكاً لأهمية التعليم. ولذلك فعند تأسيس المدارس الحكومية في نجد حوربت محاربة شديدة من قبل الأهالي عموماً، في تلك الفترة، ولذلك فإن من كان يقدم على العمل فيها يتعرض للمقاطعة والسب والإهانة مهما كانت مكانته، حتى لو كان موضع الثقة عند الناس فإنه يسقط من أعينهم. ومن الأمثلة على ذلك الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سليم الذي كان في طليعة من عملوا في إدارة المدارس في نجد، وأول مؤسس ومدير لأول مدرسة من مدارس الرياض الابتدائية وهي المدرسة الأهلية، التي افتتحت بعد تأخر عشر سنوات تقريباً عن بقية مدارس نجد. هذا الرجل عند قبوله العمل في المدرسة الحكومية كان إمام مسجد، وقد ثار عليه جماعة المسجد ومنعوه من الصلاة بهم لهذا السبب، كما أن بعض أصحاب المحلات التجارية رفضوا أن يبيعوا له ولغيره ممن كانوا يعملون في المدارس في تلك الفترة، ولعل العلامة الشيخ حمد الجاسر لم يعش تلك

المرحلة الأولى التي عانى فيها أولئك المؤسسون للتعليم في نجد تلك المعاناة.

ولأن العمل في المدارس عند تأسيسها في نجد كان مكروهاً لدى الناس، فإن من تولوا تأسيسها كانوا يبذلون جهوداً قوية في إقناع من لديه قدرة على التعليم للالتحاق بالعمل، وكانوا يجدون صعوبة في ذلك، ولذلك فإن من يقتنع بالعمل في الغالب هم من أهل العلاقة بمن يتولى أمر التعليم، وممن يضحون بأشياء كثيرة، ويقدم بعضهم على العمل لارغبة فيه في الغالب بل للشد من عضد القائمين عليه، وإلا فالمسألة كما قال الشيخ الجاسر نفسه: لم يكن هناك ما يغري من مرتبات للالتحاق بالعمل(١).

وكانت هناك مديرية للمعارف العامة بالمملكة، وكان على رأسها العلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع - رحمه الله


عثمان بن ناصر الصالح

رحمة واسعة-، وكانت تتبعها معتمديات للمعارف في القصيم والأحساء، إضافة لبعض مدارس الرياض، ثم افتتحت بعد ذلك معتمدية للمعارف في نجد، وكل هذه الأجهزة كانت تحت مظلة مديرية المعارف العامة والتي على رأسها - كما ذكرنا - الشيخ محمد بن مانع، والتي كانت تحت إشراف الملك عبدالعزيز وولي عهده في تلك الفترة الأمير سعود بن عبدالعزيز - رحمهما الله -.

وكان أولياء أمور الطلاب من الأهالي الذين اقتنعوا بإلحاق أبنائهم في المدارس حريصين أشد الحرص على معرفة من يعلم أبناءهم من المدرسين، ولذلك كانوا يتحفظون على وجود مدرسين «أجانب» يعلمون أبناءهم. وكان الواعون من مديري المدارس يراعون هذا الواقع ويحرصون عليه أشد الحرص.

وبعد أن سار التعليم في نجد سيراً حسناً عدة سنوات وبدأ يكسب ثقة الناس، انضمّ إليه الشيخ حمد الجاسر، وسعى عند التحاقه بالركب إلى محاولة استقدام بعض المدرسين من بلاد عربية مجاورة للتدريس في المدارس الابتدائية، وقد قوبل بمعارضة شديدة من قبل بعض مديري المدارس ومن قبل مديرية المعارف العامة، خاصة أن أولئك كانوا يدركون حساسية هذا الأمر عند أولياء الأمور في بداية ثقتهم بالتعليم النظامي، بالإضافة إلى أن هناك من الخبرات الوطنية من كان يسد الحاجة في هذا الجانب.

وقد بدأ الشيخ حمد الجاسر حديثه بقوله: «وأراني هنا وأنا أتحدث عن ذكريات زمان مضى وعن صلتي بأناس انتقلوا إلى الآخرة، وأصبح ليس في مستطاع أحد منهم أن يبين زيف ماأتحدث عنه إن كان فيه زيف، فليس يليق بي أن ينطبق عليّ قول القائل:

وإذا ما خلا الجبان بأرض
طلب الطعن وحده والنزالا

ويواصل الشيخ حمد - وفقه الله - قوله: «ثم إني أجل نفسي أن ألصق بأولئك ماليس فيهم، أو أن أتحدث عن شيء من مساويهم - في رأيي - فأخاف قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم»، ولكنني أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الجميع برحمته التي وسعت كل شيء، وهذا لا يمنعني من أن أوضح بعض أمور تتعلق ببدايات نشر التعليم في نجد»(٢). وقد أحسن الشيخ - وفقه الله - بالدعاء لأولئك الرجال الذين عاصرهم والذين رحلوا، نسأل الله أن يغفر له ولهم برحمته الواسعة، وأن يجعله وإياهم يوم القيامة ممن قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر:٤٧).

ومن خلال ماذكره الشيخ الجاسر فيما نقلته عنه سابقًا، ذكر أنه يتحدث عن مساوي أولئك الرجال من وجهة نظره حيث قال: - في رأيي -، فكان دقيقاً في ذلك، فهي وجهة نظر له في هؤلاء الرجال الذين لايزال بعضهم موجوداً، ولهم وجهة نظرهم في الشيخ الجاسر وعمله في تلك الفترة، حيث عاصروه في العمل قرابة سنتين، وكانت لهم وجهات نظر قد تختلف معه في كثير من الأحيان، كما أن من مات منهم من أمثال الشيخ ابن مانع - رحمه الله -، بقي له من تلاميذه ومحبيه من يعرفون مواقفه في هذه المرحلة، ومن كل هؤلاء من لاتزال لديهم وثائق خاصة عن تلك المرحلة التي تحدث عنها الشيخ الجاسر ولعلي أستعرض بعض ماقاله في تلك المقالات.

تم تعيين الشيخ حمد الجاسر معتمداً للمعارف في الرياض في ذي الحجة من عام ١٣٦٩هـ، وبدا واضحاً أن المعارف لم تكن مرتاحة لتعيين الشيخ في هذا العمل، وقد صرّح الشيخ نفسه بذلك(٣).

ولعل هذه القضية قد أثارت بعض الخلاف بين الشيخ من ناحية، والمديرية العامة للمعارف وبعض المنتمين لها في الرياض وماجاورها من ناحية أخرى. وقد ظن الشيخ أن مديرية المعارف أرادت تقليص نفوذه(٤) حينما أقامت معتمدية خاصة في القصيم، والحق أن الدافع إلى ذلك كان تنظيم العمل، وتوزيع الأعباء، فذلك أدعى إلى تحقيق المصلحة المنشودة، والتعاون على

نشر التعليم وحسن سيره.

وكان هناك العديد من المدارس، كما أسلفنا، قد افتتحت في الرياض وغيرها من المناطق المجاورة لها قبل وجود الشيخ الجاسر نفسه، وكان للعاملين فيها جهود لا تنكر في مجال التعليم والنهوض به قبل إيجاد معتمدية المعارف بنجد، بل إن معتمدية المعارف بالقصيم في تلك الفترة فتحت بعض المدارس القريبة من الرياض ومن ذلك «مدرسة ثادق»، وكان ارتباط تلك المدارس والمعتمديات بالمديرية العامة للمعارف التي كان على رأسها العالم الفاضل الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ، وكانت مديرية المعارف تراقب التعليم وتقوم بالتفتيش والتوجيه لجميع المدارس القائمة ومحاولة تطويرها قبل إيجاد معتمدية المعارف في نجد (الرياض)(٥).

وقد ذكر الشيخ الجاسر في أثناء حديثه عن بدايات التعليم في نجد أنه بعد تعيينه في معتمدية المعارف في نجد كَلَّمَ الملك سعوداً رحمه الله ـ وهو ولي العهد آنذاك ـ «أن عدد المدارس التي تم فتحها في نجد خلال تسع سنوات كثيرة، ولكنها ليست ذات جدوى»(٦).

ولعل الشيخ لايريد من ذلك الحطّ من شأن إنشاء المدارس، وقد أنشأ بنفسه ـ جزاه الله خيراً ـ عدداً منها، بل كان يرغب أن يعمل العاملون على إصلاح المدارس، وتقويم طريقها، قبل الإكثار منها. فالموضوع في نظره كيفية لا كمية.. وقد نشر الشيخ نفسه خطاباً للمدير العام للمعارف الشيخ ابن مانع تغمده الله برحمته يقول فيه: «إننا لانود رفع تقرير وإنما نريد العمل على كل مايكفل إنهاض التعليم ورفع مستواه، نحب الآن أن نكثر من المدارس الابتدائية بنجد ويرتفع شأنها، حتى إذا أنتجت الإنتاج الحسن نأخذ في فتح المدارس الثانوية هناك، ونبذل من الجهود ما بذل في التعليم الابتدائي، وبهذا نتمكن من التمهيد للتعليم العالي»(٧). نعم لقد كان الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ يدرك أن المرحلة تتطلب جهداً مضاعفاً في نشر التعليم الابتدائي في كل رقعة ممكنة في نجد في تلك الفترة، ولم يغب عنه الإصلاح ولا التخطيط للتعليم العالي، وهذا ما كان يدركه ـ رحمه الله ـ كما هو واضح من رسالته للشيخ الجاسر ـ التي تكرم بنشرها ـ .

وواضح من خلال حديث الشيخ الجاسر أن هناك خلافاً في بعض وجهات النظر بينه وبين المعارف منذ تعيينه، وبخاصة مع الشيخ محمد بن مانع ـ رحمه الله ـ ولذلك يقول: «فلابد من السفر إلى مكة لمقابلة الشيخ محمد بن مانع ـ مدير المعارف العام ـ لمحاولة إزالة ما علق بذهنه عني حينما كنت مدرساً في (المعهد) و(تحضير البعثات) قبل عشر سنوات»(٨).

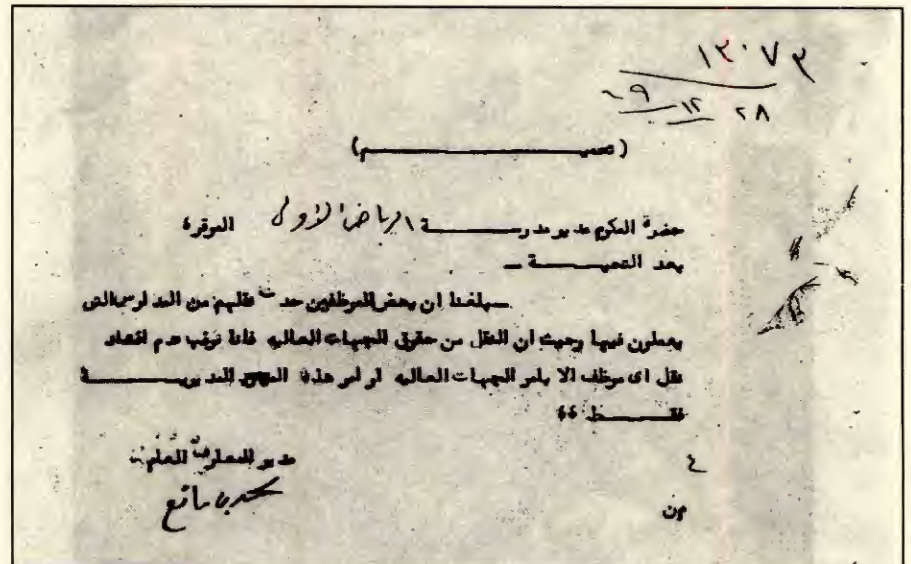
وقد أُخِذ على الشيخ أنه كان يتجاوز كثيراً الشيخ ابن مانع، ويرفع التقارير مباشرة إلى سمو ولي العهد آنذاك الأمير سعود بن عبدالعزيز، ولعله كان يقوم بذلك طلبا للسرعة في البت بالمطالب، وتخفّفا من الرتابة في العمل التربوي، وكثيرا ما كان وليّ العهد يحيل هذه التقارير إلى مدير المعارف لتأخذ مسارها الرسميّ الصحيح.

ولعل الشيخ حينما شكا في بعض تقاريره من ضعف المدارس في نجد، كان راغباً في مضاعفة الجهود لمزيد من الرقيّ والازدهار، وقد رد مجلس المعارف على ذلك بالقرار رقم ٨١ بتاريخ ١٣٦٩/٤/٢٦هـ، وقد نشره الشيخ نفسه في إحدى مقالاته(٩)، وورد فيه أن ارتياب الشيخ في مستوى مدارس نجد لامحل له ما دامت النتائج في الشهادة الابتدائية التي تُصحح بالحجاز تدل بالأرقام على خلاف ذلك.

وأبدى الشيخ تذمره في إحدى المقالات من إلغاء مادتي الهندسة وتقويم البلدان، وحمّل مديرية المعارف العامة وسماحة مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ وفريقاً من العلماء تبعة ذلك.

والحق أن هاتين المادتين كانتا تدرَّسان في بعض المدارس، ومنها المدرسة الأهلية التي كان يديرها الشيخ عبدالله بن سليم، والتي فاز أحد طلابها (عمران بن محمد العمران الأديب المعروف) بالمركز الأول على مستوى المملكة، وقد درس الهندسة وتقويم البلدان وقدم فيهما الامتحان المطلوب(١٠).

أما إلغاء المادتين في بعض المدارس فقد



١٢٠٧٢
٢٨ / ١٢ / ٦٩

(تعميم)

حضرة المكرم مدير مدرسة الرياض الأولى الموقر

بعد التحية ـ

بلغنا ان بعض الموظفين حدث نقلهم من المدارس التي يعملون فيها بحجة ان النقل من حقوق الجهات العالية فاننا نرغب عدم انعقاد نقل اي موظف الا بامر الجهات العالية او امر هذه الجهة الذي يمسه فقط ؟؟

مدير المعارف العمومية

محمد بن مانع

وقع خشية الفتنة، وغضب بعض أهالي نجد الذي كانوا يعارضون إنشاء هذه المدارس أصلاً، ويخافون أن تزيغ عقيدة أبنائهم بسبب هاتين المادتين ومن يقومون على تدريسهما، وكان الشيخ منصفاً حينما ذكر أن سماحة المفتي كان يرى عدم تدريس هاتين المادتين في تلك الفترة رغم عدم معارضته لما ورد فيهما(١١).

ومما يجدر ذكره أن الشيخ الجاسر استدرك في العدد التالي شيئاً مما قاله عن مفتي الديار السعودية آنذاك، حيث قال عن الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ: «أحسست من حسن مقابلته رغبته القوية في العناية بشؤون التعليم، وحرصه على أن يثمر الثمرة المرجوة بتنظيم المدارس واختيار العاملين الذين يرجى من ورائهم نفع، وأدركت أنه لم يكن ممن ينظر إلى التعليم النظرة السيئة، وأنه كان يحاذر أن يكون وسيلة من الوسائل التي تؤثر في أخلاق النشء»(١٢).

وكان الشيخ يأسف لأن مديري المدارس، لم يكونوا يحملون الشهادة الابتدائية في تلك الفترة، والشيخ يعلم أنه لم يكن هناك مدارس ابتدائية ولاغيرها لذلك الجيل، وبالتالي فهم من خريجي الكتاتيب والمساجد وحلقات التعليم فيها. فكيف يحمل هؤلاء الشهادة الابتدائية وهي لاتوجد أصلاً؟. وبالطبع فإن عدم حملهم الشهادة لايعني عدم قدرتهم على العمل، وقد أحسن الشيخ الجاسر في الثناء على مدير مدرسة شقراء الشيخ عبدالمجيد حسن(١٣) وهو أهل لذلك ـ رحمه الله ـ وجزى الله الشيخ حمد الجاسر خيراً على ذلك.

كنت قد ذكرت أن الشيخ ـ حفظه الله ـ كان يتجاوز مرجعه فيكتب إلى سمو وليّ العهد مباشرة توخيا لسرعة الفصل في القضايا المعروضة، على حرصه ألا يتجاوزه مديرو المدارس في منطقة الرياض(١٤).

تعليق على سوانح الشيخ الجاسر عن بدايات التعليم في نجد

كان هذا الحرص على سرعة إنجاز مايرى فيه المصلحة هو الذي حدا به إلى أن يطلب عدداً من الأساتذة المصريين للعمل في التدريس ليلاً من مدرسة أبناء الملك سعود ـ رحمه الله ـ دون أن يحيط مديرها الشيخ عثمان الصالح ـ حفظه الله ووفقه ـ بهذا الأمر، واعتذر الشيخ الجاسر بقوله: «وقد فاتني أن من الأولى أن اتصل أولاً بالأخ عثمان قبل ذلك»(١٥)، وهو الذي جعله يحاول نقل بعض المدرسين والموظفين من بعض المدارس خلافًا لرغبة مديريها، ولعله كان مخطئاً في اجتهاده، ولذا أوعزت مديرية المعارف العامة إلى المديرين بعدم التنفيذ.

ولقد ذكر الشيخ الجاسر أنه اقترح على ولي العهد إنشاء مدرسة ليلية للمعلمين، وقد أُسست هذه المدرسة وقامت، وعمل فيها المعلمون والأساتذة في وقت كان فيه الشيخ حمد خارج الرياض(١٦)، فلم تكن له مشاركة في وضع نظامها، وإعداد مناهجها، بل قام بعبء ذلك الشيخ عثمان الصالح والشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سليم، ويبدو أنه تألم لأنه ـ وهو صاحب الاقتراح ـ لم يُتح له أن يشارك في تحقيقه، وخيّل إليه أن تأسيس المدرسة وهو غائب أمرٌ مُدَبَّر، ولذا عبّر عن ألمه بكلام نال فيه ـ سامحه الله ـ من الشيخين(١٧)، والإنسان غير معصوم، ونفسه ضعيفة أمام جموح العواطف، غفر الله لنا جميعاً، وعصمنا من فلتات اللسان، وزلات القلم.. ولعل لاستقلال الشيخ ابن سليم بمدرسته الأهلية، وارتباطه مباشرةً بمديرية المعارف العامة، أثراً في موقف الشيخ حمد الغاضب منه، وجهله بما يجري داخل المدرسة وهو معتمد المعارف في الرياض، وذلك ظاهر في قوله: «المدرسة الأهلية في الرياض مديرها عبدالله بن إبراهيم السليم من تلاميذ المشائخ من آل سليم في بريدة، وفي المدرسة تسعة عشر مدرساً وثمانية من الخدم على ما ذكر لي»(١٨)، وقد علق الشيخ الجاسر في الهامش بقوله: «إذ لم يقدم لي أي بيان عن عدد أساتذة مدرسته وطلابه»(١٩).

وقد كان الشيخ محمد بن مانع حريصاً كل الحرص على أن تسود روح التعاون بين الشيخين، لما يتمتعان به من قدرة وخبرة وغيرة، فكان ينصح للشيخ ابن سليم أن يمضي في طريقه وألا يلتفت إلى المعوّقات.

ليس غريباً أن يقع خلاف بين طلبة العلم والعاملين، ولكن ذلك يوزن بميزان المصلحة العامة، واختيار الطرق الأجدر بتحقيق الأهداف المرجوة، ونحن نظن أن الحدّة في كتابة الشيخ ـ حفظه الله ـ عن بعض المديرين وكبار العاملين، ناشئة من الرغبة في اختيار أفضل السبل لإنجاح العمل.. وقد يقوم الدليل على ذلك بما كتبه عن الشيخ ابن سليم وزميل له دون أن يذكر اسمهما، ولكنهما معروفان بنعتهما قال: «... ولاأجد غضاضة في أن أشير إلى بعضهم، هما مديرا مدرستين من كبريات مدارس المنطقة، يتمتعان بمكانة حسنة في مجتمعهما، فقد أدركا من جوانب المعرفة ما أهلهما لتلك المكانة، واستطاعا بما أوتيا من ذكاء تصريف مايُسند إليهما القيام به من الأعمال على ما يرام ـ على مايهويان ـ بقدرة ودهاء. أحدهما أُسندت إليه إدارة مدرسة اختير لإدارتها ـ من غير طريق مديرية المعارف ـ. إنه من أسرة علمية معروفة ومعروف في بلده بمزاولة بعض أعمال التدريس وغيره، وهو على درجة من المحافظة على ما عُرف عن أسرته من حسن السمت والظهور في المظهر الحسن، فدعي من بلدته لتسند إليه إدارة المدرسة، فلم يكن بالسهل الانقياد بل أبدى تمنعًا، وأخيرًا استجاب بعد أن اطمأن لتحقيق

تعليق على سوانح الشيخ الجاسر عن بدايات التعليم في نجد

رغباته التي تكفل له العيش - بعيداً عن بلدته وأسرته - براحة واطمئنان، كما فُوض إليه - وفق ما طلب - أن يتولى تعيين العدد الكافي للعمل معه في المدرسة التي بني لها بناء خاصًا يتلاءم بتنظيمه وسعته مع المناسبة التي أنشئت المدرسة من أجلها.

وفتحت المدرسة وبلغ عدد تلاميذها - بقول مديرها - نحو الألف، وقيل لي إن عدد موظفيها ١٩ وفيها من الخدم ثمانية، وخُصِّصَ حيوانان اثنان (حماران) لإخراج الماء من البئر للوضوء للصلوات تدفع مالية الرياض للقيام عليهما ألف ريال، ولم أستطع التثبت من ذلك فجداول الأسماء تبعث لمديرية المعارف، سواء منها مايتعلق بعدد الطلاب أو بتسجيل حضور وغياب الأساتذة وبيان عددهم»(٢٠). ومن الواضح أن المقصود هو الشيخ ابن سليم نفسه(٢١).

وقد تولى الشيخ ابن سليم تأسيس أول مدرسة ابتدائية في الرياض وافتتاحها بناء على طلب خاص من الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، وبترشيح من علماء الرياض الذين يعرفون ابن سليم، وألحّوا عليه في قبول العرض، وكان هذا قبل عمل الشيخ الجاسر في التعليم بمنطقة الرياض بعدة سنوات، ولذلك فإن مديرية المعارف في أيامه كانت تقدر الشيخ ابن سليم تقديراً كاملاً وتتصل به مباشرة، ويتصل بها مباشرة دون الرجوع إلى المعتمدية التي أنشئت بعد ذلك، كما أنه اشترك في تأسيس أول مدرسة حكومية في مدينة بريدة ثم أصبح مديراً لها وعُني بترتيبها. وقد سبق للشيخ الجاسر أن زاره فيها وهو مدير لها وبينهما كتابات في تلك الفترة. وكان الشيخ ابن سليم يتصل بالمعارف مباشرة، كما كان يتصل بالملك عبدالعزيز - رحمه الله - وبولي العهد الأمير سعود - رحمه الله - وكانوا يقدرونه تقديراً خاصاً، ولذلك أبطلت قرارات الشيخ الجاسر بنقل بعض مدرسي المدرسة ومحاولة تفريغها من المدرسين.

إن الحديث في هذا الموضوع قد يطول، وأرجو أن تكون كلمتي هذه حافزًا لمن عاصروا تلك الفترة أن يبينوا مالديهم من حقائق تثري الموضوع، وتكون في مجملها تأريخا لتلك الحقبة، ويكمل بعضها بعضا ويصوبه. نسأل الله تعالى أن يجعل أقوالنا وأفعالنا خالصة لوجه الله، وألا نريد بها إلا الله والدار الآخرة.

وختاماً أحب أن أؤكد أنني ممن يقدرون الشيخ حمد الجاسر حفظه الله ونفع به، وأنني ممن يقرؤون له، ويفخرون به وبعلمه وبأمثاله من أعلام هذا البلد، فله عندي - كما لَهُ عند غيري - منزلة كبيرة لايغضّ منها ما بيّنته في مقالي هذا، فكل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد، «إلا صاحب هذا القبر» كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس، والمعصوم من عصمه الله..

أسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا جميعاً، وألا يكلنا إلى أنفسنا، فهو وحده المستعان، وعليه التكلان.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
مديرية المعارف العامة
عدد ١٢٧٨٤

التاريخ ٦/٢٧/٢٦

المرفقات ______

الموضوع ______

المكرم مدير المدرسة الاهلية بالرياض — الموقر

بعد التحية ـ نشير لمذكرتكم رقم ٢٢٦ في ٧٠/٨/٢٣ والمرفق بها صور اسئلة امتحان النقل لطلاب مدرستكم في الامتحان النهائي لعام ٣٧٠ ونخبركم انه لدى الاطلاع على الاسئلة المذكورة وجدت مطابقة للمنهج وافية بالغرض ومستقيمة من الاوضاع التربوية الصحيحة ولا يسعنا امام ذلك الا نقدم لكم جزيل شكرنا على عنايتكم مع اهتمامكم باعمال مدرستكم

ولذا حرر

مدير المعارف العام

[توقيع]

الهوامش:

(١) المجلة العربية، العدد ٢٠١، شوال ١٤١٤هـ ص ٢٣.

(٢) من نص مقال الشيخ حمد الجاسر في المجلة العربية، العدد ١٩٩، ص ٢٠.

(٣) المجلة العربية، العدد ١٩٩، ص ٢٣.

(٤) المجلة العربية، العدد ١٩٨، رجب ١٤١٤هـ، ص ٢١.

(٥) انظر تقرير مجلس التعليم الذي أورده الشيخ حمد الجاسر في المجلة العربية، العدد ١٩٩، ص ٢٢.

(٦) المجلة العربية، العدد ١٩٩، ص ٢٠. والغريب أن الشيخ الجاسر نفسه افتخر بافتتاحه عدداً من المدارس في الرياض وماجاورها. المجلة العربية، العدد ٢٠٣، ذوالحجة ١٤١٤هـ، ص ٢.

(٧) المجلة العربية، العدد ١٩٩، ص ٢٢.

(٨) المجلة العربية، العدد ١٩٨، رجب ١٤١٤هـ، ص ٢٠.

(٩) مقالة الشيخ حمد الجاسر في المجلة العربية، العدد ١٩٩، شعبان ١٤١٤هـ، ص ٢١.

(١٠) المجلة العربية، العدد ١٩٩، ص ٢٤.

(١١) المجلة العربية، العدد ١٩٨، ص ٢٢.

(١٢) المجلة العربية، العدد ٢٠٠، رمضان ١٤١٤هـ، ص ٢٠.

(١٣) المجلة العربية، العدد ٢٠٠، ص ٢٣.

(١٤) المجلة العربية، العدد ١٩٨، رجب ١٤١٤هـ.

(١٥) المجلة العربية، العدد ١٩٨، رجب ١٤١٤هـ، ص ٢٢.

(١٦) انظر ماذكره الشيخ حمد الجاسر في المجلة العربية، العدد ١٩٨، رجب ١٤١٤هـ، ص ٢٢.

(١٧) المجلة العربية، العدد ١٩٨، رجب ١٤١٤هـ، ص ٢٢.

(١٨) المجلة العربية، العدد ٢٠٠، رمضان ١٤١٤هـ، ص ٢٣.

(١٩) المجلة العربية، العدد ٢٠٠، رمضان ١٤١٤هـ، ص ٢٣.

(٢٠) مما كتبه الشيخ حمد الجاسر في العدد ٢٠٢، ذوالقعدة ١٤١٤هـ، ص ٢١،٢٢.

(٢١) المجلة العربية، العدد ٢٠٠، رمضان ١٤١٤هـ، ص ٢٠.

كيف نقدم التراث العربي إلى الأطفال؟



نزار نجار

التراث العربي والإسلامي صالح لنهضة عربية حديثة، فالعرب كانوا ممن سبق إلى معرفة المنهجية العلمية والتقنية التي ارتكز عليها علماء أوربا، بعد عصر النهضة. وعلى سبيل المثال، كانت معلومات الجغرافي الفذّ عبدالله بن عبدالعزيز البكري القرطبي (ت:٤٨٧هـ) هي الأسس التي بنى عليها كريستوفر كولومبس رحلاته واكتشافاته. ولنسأل أنفسنا:

- مَنْ منّا يعرف أبا عبيد عبدالله البكري القرطبي أكثر من كولومبس، وقد كان ابن حضارتنا المتكاملة التي تركناها في الأندلس؟!

إنّ التراث كائن حيّ، يعيش في أعماقنا، إنّه منّا، ونحن منه، هو حصيلة جهود الأفذاذ المبدعين في الماضي والحاضر، لأنه يمثّل ماضي هؤلاء ممتدًا إلى الحاضر ومتداخلاً فيه. وأسلافنا، وإن ماتوا جسديًا، فإنهم لايزالون يعايشوننا، ويتدخّلون في حياتنا، من خلال الموروث النفسي والمادي والثقافي الذي تركوه لنا. والأطفال أثمن مانمتلك في الحياة، فهم الحلقة الثمينة الغالية التي تتمّم سلسلة الآباء والأجداد، ولا استمرار للحياة من دونهم.

وإذا أردنا أن نمنح المستقبل العربي أجيالاً مؤهّلة لرفض كلّ ماهو معاد للإنسان؛ فلابدّ من أن نُعْنى بالطفولة وثقافتها، وتوجيهها نحو الهدف الأسمى، والأمل المرجوّ.

إنّ أطفالنا، اليوم، مطالبون في المستقبل بإنجاز مالم يستطع آباؤهم إنجازه، لذا فلا لايمكن الاستغناء عن التراث من أجل بناء شخصية الطفل العربي، إنها نقطة مهمّة وحاسمة، تقوم على إحداث الوعي التاريخي والتراثي في شخصية الطفل، وتسهم في تنمية الفضول المبدع لدى الأطفال؛ ليطرحوا بعدئذ تساؤلات عن السابق واللاحق في مجالات الثقافة والحياة والمجتمع. وحين ننمّي الحلم المبدع، حين ننمّي التخيّل التاريخي والتراثي في شخصية كل طفل، فإننا بذلك نعمل على تعميق حريته إزاء التاريخ والتراث.

سيشعر الطفل بالاعتداد المتواضع بشخصيته حيال التراث العربي، لأنّ قضية التراث هي قضية الإنسان المعاصر بحاجاته المتعددّة، وقدراته وإمكاناته العلمية التي يطبّقها في بحثه لها، ومهما كان الماضي عظيمًا، فالحاضر أعظم بمقوّماته الراهنة وآفاقه المستقبلية..

وحين نقدّم للأطفال صورًا من الاستلهام التراثي فإننا ننطلق من مرحلتنا نحن، بما يحيط بها من عمق إنساني. إننا نقدّم صورة أبي العلاء المعري مثلاً، أو صورة الجاحظ، أو صورة المتنبي، برؤيتنا، وبتطلعاتنا الراهنة، من منطلق حبّ الوطن، وحبّ الحرية، وحبّ التطوّر والتقدّم، والحياة المعاصرة. وأصالة الشعب لم تعد مرهونة بالتشبّث بالماضي وحده، بل باستلهام الماضي من أجل الحاضر، واستشراف آفاق المستقبل.

إنّ تقديم التراث العربي للأطفال يعني مدّ الجسور بين الحقائق التاريخية وامتداداتها التراثية اللاحقة، واختراق الحاضر إلى الغد المشرق.

أين يوجد التراث؟

في نهاية الأرب للنويري (ت:٧٣٣هـ)، وفي صبح الأعشى للقَلْقَشندي (ت:٨٢١هـ)، ومروج الذهب للمسعودي (ت:٣٤٦هـ)، وعند ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، والطبري (ت: ٣١٠هـ)، وفي سائر كتب الأدب والأخبار والآثار السامرة، والسير الموشّاة بلون من المبالغة، أو الملمّة بصور من الإضحاك، يجد الباحث آفاقًا فسيحة الجنبات، مترامية

الأطراف، فيها مادة طريفة محمودة، وأثر إنساني فيّاض بالمتعة والسموّ. وقد همَّ الأدباء الأقدمون بالإبداع في القصّة، ولكن أعجلهم سردُ الخبر، فانصرفوا إلى الإيجاز وحرصوا على البلاغة والبيان، وبذلك جاءت أخبارهم أحيانًا فيها الحادثة والتشويق، وأحيانًا خالية من عناية الإخراج القصصي، وابتعدت عن الفنّ..

والأطفال يتعلّقون بفنّ الأولين، ويحبّون تعرّف آثارهم، والإصغاء إلى أخبارهم وحكاياتهم، فلماذا لايستثمر المربّون ذلك؟!

يسافر الأطفال إلى مناطق أثرية ذات



سليمان العيسى



كامل الكيلاني

شأن، يستمعون إلى معلّميهم ومربّيهم، يحدثونهم عن هذا الشاعر، أو ذاك الصحابي الجليل، أو الفاتح المقدام، يحسّون عمق التاريخ، يتنفّسون أرج التراث، يندمج الحاضر بالماضي، يتداخل الأمس بالغد، بالمستقبل، يقترن ذلك كلّه بعناصر التشويق والخيال المبدع، واستشراف الآتي، يحفز الأطفال إلى مزيد من التعمّق في فهم التراث ومعرفة مبدعيه، واستلهام أعلامه ومتذوّقيه، يتولّد ذوق جمالي وأخلاقي، تتطاول قامة الطفل، يحسّ بالاعتداد بشخصيته.. إنّه الوريث الشرعي للتراث. يتحقّق تكامل الشخصية، تتحقق الحماسة العربية، تولد القدرة على الإبداع، تغدو شخصية الطفل قادرة على امتلاك زمامها عاطفيًا وعقليًا وإراديًا، مما يؤدي

بعدئذ إلى تكوين ماندعوه شخصية نقدية بنّاءة ومستقلّة، والطفل يدرج باتجاه ماضيه عبر حاضره، إنه يحقّق عالم الطفولة الرحب، عالم الحرية والانطلاق..

لقد استفاد أدب الأطفال إلى حدّ كبير من التراث العربي والإسلامي، حتى الأوائل من الكُتّاب الذين وضعوا اللّبنات الأولى لأدب الأطفال في الغرب استفادوا من الحكايات الشرقية بعامّة، ومن التراث العربي وحكاياته بخاصّة، انتفع لافونتين مثلاً من كتاب كليلة ودمنة، وكانت ترجمة ألف ليلة وليلة إلى اللغات الأوربية ذات تأثير كبير في نشأة الحكاية التي كانت أمًّا لأدب الأطفال.

وشهدت سنوات الالتفات إلى أدب الأطفال في الوطن العربي اهتمامًا كبيرًا بالتراث، ولم يلبث أن أخذ طريقه إلى النشر، مثل ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، والسير التاريخية، والبطولات والمواقف العربية، وقصص طريفة عن أبي دلف وجحا وأشعب والحمقى والمغفلين والأذكياء والظرفاء، إضافة إلى عدد من الحكايات والأساطير..

وخرج، بذلك ، الكُتّاب العرب ـ حين عادوا إلى التراث واهتموا به ـ من السيطرة الثقافية الأوربية التقليدية، وتخلّصوا من الترجمة والاقتباس والنقل من اللغات الأخرى، وبذلك تمّ الإلحاح على أن يكون لأطفال العرب أدب أصيل موجّه، يساعد في بناء إنسان المستقبل.

اتّجهت أنظار الكُتّاب إلى الأطفال، ووجدوا في تعليمهم وتقديم التراث العربي لهم زادًا أصيلاً لتنمية شخصياتهم، وتكوين قدراتهم؛ ليكونوا، بعدئذ، جديرين بحماية كيانهم وهويتهم والدفاع عن مستقبلهم..

لقد أراد المؤلّفون أن يقلعوا عن التقليد والاقتباس من الآداب الأجنبية، فاتّجهوا إلى استيحاء التراث العربي. استفادوا من حكايات القدامى وأقاصيصهم وفكاهاتهم وأخبارهم وسيَرهم، وبطولاتهم ومواقف مبدعيهم، وشعرائهم، فعلوا ذلك في البداية من غير أن يراعوا ما يصلح في اختيار اختاروه، أو في نقل نقلوه؛ أي لم يمعنوا النظر فيما يصلح ومالايصلح منه، أو ينظروا إلى ما يتفق منه مع الرؤية الجديدة التي تتجاوز رؤية الأقدمين، وتنظيم العلائق بين الناس، فجاء أكثر ماكتبوه أو ماعمدوا إلى تبسيطه ينمّي من حيث محتواه الإيمان بالشعوذة والخرافة والحظّ، أو مايسمونه القسمة والنّصيب، ويهدف إلى بثّ المفاهيم التقليدية، فيشيد بالقناعة، ويدعو إلى الممالأة (قصّة مدينة النحاس لكامل كيلاني، وهي مستقاة من كتاب ألف ليلة وليلة) ويجعل استلاب الخير بوساطة القوى الخفيّة (عفريت علاء الدين الذي يهتف دائمًا: شبيّك لبّيك، عبدك بين يديك، ويحقّق كل الطلبات)، وتمّت صياغة ذلك بأسلوب بعيد من مستوى إدراك الطفل من حيث اللغة، والمفردات والصيّغ التعبيرية المستخدمة، وظلّ كتّابه يخاطبون فيه الطفولة دون مراعاة أو تقدير لمراحل العمر.

بعدئذ أخذ الكُتّاب والمبدعون على أنفسهم معاناة الكتابة لناشئة الجيل ونابتة المستقبل، ووجدوا أنّ التعامل مع التراث يضعهم أمام مسؤولياتهم، ليراعوا بذلك ألاّ يكتبوا ما كتبوه اتفاقًا ودون تدقيق، وتأنٍّ ومراعاة للطفولة وقدراتها.

لقد جاءت أعمالهم بعدئذ في صميم الأدب الرائد، بعد أن بقيت فترة من الزمن على هامش العمل الإبداعي، فأطلعوا الطفل على القصص التراثية، ونماذج البطولة، ووصلوه بأشتات من المعارف الأولية في التاريخ والجغرافية والعلوم الطبيعية وغيرها.

تقديم التراث

لا الرجل الآلي، ولا رجل الفضاء، ولا

كيف نقدم التراث العربي إلى الأطفال؟

الحرب بين النجوم، وحدها، جذبت الأطفال في القصص التي تسير في هذا الاتجاه؛ بل الجوّ الذي يحيط بهؤلاء جميعًا هو الذي يعمّق اهتمام الأطفال بهذا القصّ المستحدث المبني أصلاً على المعلومات المتوافرة في ألوان الحضارة المعاصرة.

إنّ الأخوين غريم مثلاً، وكذلك هانز كريستيان أندرسون، لم يفعلوا أكثر من السرد المباشر باستخدام الأداة التقليدية المثيرة التي ورثها كُتاب قصص الأطفال من أساطير الشعوب، واستخدموها بتحوير قليل أو كثير، فالاحتكاك يتمّ في وسط إنساني، وفي جوّ ملائم. حتى كليلة ودمنة وقصصها التي تَمَكَّن الكتّاب من أن يستعيروا حيواناتها ويوظّفوها في أغراض إبداعية، تخاطب الصغار، كانت تتطلع إلى الإدهاش المباشر، وخلق الجو الممتع؛ وهل ثمّة ما يدهش الطفل أكثر من أن يتكلم العصفور، ويسافر الحمار، ويعيش الثور كما يعيش الإنسان؟

وتتنوّع الأدوات والأشكال التي يستخدمها كُتّاب الأطفال، ويقدّمون فيها التراث العربي إلى قرائهم الصغار.. ولابدّ من تحقيق عنصرين أساسيين للتعامل مع التراث: الرؤية الجديدة، واللغة الجديدة.

الرؤية الجديدة تُغْني الماضي، تبعث فيه الحياة، تجعله دمًا جديدًا في شرايين الحاضر، ورافدًا ثرًا لنهر الغد الذي لايستطيع أن يجمد ولا أن يتوقّف.

واللغة الجديدة هي الوسيلة التي تجعل من هذا الماضي البعيد شيئًا قريبًا مألوفًا، محبّبًا، يعيش معنا، ويحمل تطلّعاتنا وأحلامنا.. إنّها سرّ التجديد، ونحن نمدّ أيدينا إلى التراث نريد أن نتعرفه، ونبعثه من رقاده الطويل.

في قصّة «عباس بن فرناس»(١)، قدّم الكاتب شخصية هذا العالِم المقدام الذي حاول الطيران، بطريقة السيرة الذاتية، وعرّف الأطفال بهذه الشخصية التاريخية مستخدمًا لغة بسيطة، قريبة من لغة الأطفال، مناسبة لمدارك الصغار.

وفي قصّتي «فارس القلعة» التي نشرتها وزارة الثقافة السورية، حاولتُ نقل الأطفال إلى زمن الدولة الأيوبية، إلى أسرة آل منقذ بالذات التي عاشت ردحًا من الدهر في قلعة شيزر، ووصلت بعدئذ إلى البطل أسامة بن منقذ الذي شارك في ردّ الهجمات الصليبية، وكان له أثر بالغ في الدفاع عن الثغور الشامية وصدّ المعتدين. لقد تطوّر الشكل التراثي، وبصورة أجمل، إلى مضمون جديد، فأسامة بن منقذ يلتقي طفلاً عربيًا، يعشق قصص البطولة والفروسية. يبدأ الشاعر الفارس حواره مع الطفل، تشهد على ذلك القلعة الشامخة، قلعة شيزر، حتى إنّ الحجارة تحكي عن أعماله ومواقفه وبطولاته، حاولتُ أن تكون لغة العصر هي اللغة التي ينطق بها أسامة بن منقذ ، ومن هنا تأتي المتعة والإدهاش، ويتمّ مدّ الجسور والتواصل مع التراث بوصفه كائنًا حيًا، يعيش في أعماق طفولتنا العربية، يلتصق بها، ولاينسلخ منها.

أمّا الشاعر سليمان العيسى فيقدّم كثيرًا من الشعراء إلى الأطفال، كأبي فراس الحمداني والمتنبي وغيرهما: «أيها الصغار الأعزاء، يا أشبال العرب، أنا قادم إليكم من حلب، من مدينة الصخر والرجولة، كنت قائدًا وشاعرًا في وقت واحد، لاتستغربوا ذلك، فكثير من شعرائنا القدماء كانوا فرسانًا وشعراء، يخوضون المعارك، وينظمون الشعر الجميل، وهم يحملون السلاح، اسمي الحارث بن سعيد، اشتهرت بكنيتي الجميلة: أبي فراس الحمداني، بسكون الميم لا فتحها كما يخطئ الكثيرون عندما يلفظون اسمي..»(٢) ويمضي هكذا حتى النهاية.

أجاد كُتّاب آخرون في استخدامهم من الأثر التراثي جانبه الإيجابي، وإسقاط الجانب السلبي منه، فجعلوا البطولة صفة إنسانية فيما يؤلّفون من قصص، وانتخبوا نماذجهم من الناس العاديين، وربطوا ذلك كلّه بالقضايا العادلة، إنّهم يكفّون عن تصوير التاريخ بطولة أفراد، والاتجاه إلى اعتبار البطل من عطاء الأمة والجماعة.

والتراث العربي، واسع عريض، إنّه يحمل هويتنا، يرسّخ القيم الإيجابية الصالحة لحياتنا وواقعنا ومستقبلنا، لذلك حرص الأدباء العرب على أن يبرزوا الجوانب الإيجابية والمضيئة، واقتبسوا منها قصصًا وحكايات وأشعارًا وملاحم.

ويتحقق تعامل الكُتّاب مع التراث قلبًا وقالبًا، وتظهر عندئذ رموز الأمة في أدبها الموجه للطفولة، تظهر شخصية صلاح الدين وأسامة، والشاعر المتنبي، وأبي العلاء. تبدو مواقف الأبطال والفاتحين المشرفة، تبرز ماثلة للعيان..

والكُتّاب المبدعون يمدّون الأيدي لشدّ الأواصر بين جيل وجيل، ويسْعَوْن ـ إلى جانب مايقدّمونه من تربية القيم الجمالية والذوق السليم ـ إلى تعزيز الرصيد اللغوي والثقافي والإنساني. إنهم يسهمون إعدادًا وتعريفًا وخلق أجواء، وتبسيطًا في تقديم هذا التراث الثرّ، يرفعون الأطفال إلى أن يترسّموا صور الأفذاذ الأوائل من علماء وشعراء ومبدعين وأدباء، يرفعونهم بقلوبهم الصغيرة، وعيونهم المتألقة، ليتعرفوا قيمة هذا التراث المعطاء، ويواصلوا الطريق من أجل جيل عربي مؤمن قوي، يحقّق طموح الكبار وتطلّعاتهم.

الهوامش

(١) عباس بن فرناس، سمر روحي الفيصل، كتاب «أسامه» الشهري.
(٢) شعراؤنا يقدمون أنفسهم للأطفال، سليمان العيسى، منشورات دار الآداب.



د. عبد الله بن محمد
أبو داهش

ظاهرة الحنين

في مقدمات قصائد الجراح بن شاجر الذروي التهامي

(القرن التاسع الهجري)

تعد القرون: السابع، والثامن، والتاسع، والعاشر الهجرية في تاريخ الأدب التهامي من القرون الزاهرة التي عاشها هذا الأدب، لولا أن مظاهر الصنعة بدأت تظهر في ذلك النتاج الفكري في القرن العاشر الهجري ومابعده، ولم يندفع هذا الحال إلاّ بنشأة الأدب السعودي المعاصر(١) في تلك الأنحاء. وتأتي شهرة نفر من شعراء المخلاف السليماني بتهامة عبر تلك الفترة ماثلة في نتاجهم الشعري، وبخاصة في بعض قصائدهم، وما اتصل فيها من حقيقة الوضع البيئي، والسياسي، والاجتماعي. وما تلوّن به ذلك الواقع الفكري المعهود، مما جعل لذلك الأدب نكهة خاصة مميزة. ومن أولئك النفر الشعراء: القاسم بن علي الذروي، والقاسم بن علي بن هتيمل الضمدي، ومحمد بن عمر الضمدي، والجراح بن شاجر الذروي(٢)، إذ لكل من هؤلاء الأعلام منهج أدبي يستحق النظر والدراسة.

ومهما يكن الأمر، فإن مما سنناقشه في هذه الحلقة ماتسم به شعر الجراح بن شاجر الذروي، من: الألم، والحسرة، إذ يكاد يفيض في مواطن كثيرة من مقدمات قصائده بالشعور الصادق الحزين، وهو - في الوقت نفسه - يتصف بقوة الدلالة اللغوية، وسلامة الأسلوب. حقًا إن ظاهرة الحنين والأسى التي تكاد تغشى معظم مقدمات قصائد ديوان هذا الشاعر لتستحق النظر والوقوف، فهي وإن لم تكن غريبة في بناء القصيدة العربية، فإنها على الأقل تتصل، في ظني، بحياة الشاعر نفسه، فهذه تهامة بتقلباتها السياسية تؤثر بقدر في شخصيات أبنائها، وبخاصة من يتصل منهم في همته ببيوتات الرئاسة والعلم من أشراف تهامة وساداتها، وما أظن الجراح بن شاجر ببعيد من هذا الظن، همم تعلوها نظرة عالية لايكشفها سوى المطلع الخبير بحال تهامة يومئذ. لقد انتظم هذا الإحساس ديوان هذا الشاعر، انظر إليه وقد قال في مقدمة إحدى قصائده:

هل بانُ رحبان كعهدي يميل
وظلُّه الضافي مديد ظليل
وهل سقاه الغيث من بعدنا
وظل واديه، وأمسى يسيل
وهل تناغى الورد والرند في
رياضه لمّا تغنى الهديل
وهل مغاني حرض بعدنا
نسيمها السجسج يسري عليل
والبير بالردحة هل ماؤها
عذب كَذَوْب الشهد يشفي العليل
فلي إلى تلك الرّبَا حنَّة
وأنة ينهدك منها طفيل
إذا شَرِيَ البرق بها موهنًا
بات لدمعي فوق خدي مسيل
وإن شدا البلبل في بانة
ذبت، وأتبعتَ النواح العليل
آهِ من الفرقة كم أورثت
في القلب من داء مضر دخيل
ياصاح هل للشمل جمع كما
كان وهل يلقى الخليل الخليل
وهل برحبان وسكانه
في الشرق والغرب معًا من بديل(٣)

قلت: إن دواعي صدق الشعور لتفيض بها هذه الأبيات على الرغم من تقليدية مبناها وتكوينها الفني: إحساسها صادق، وأسلوبها - كما قيل - جزل قوي، لكنها لم

تكن وحدها التي انتظمها هذا الشعور، بل إنه ليظهر مثلها في مقدمات قصائده الأخرى المتفرقة، مثل قوله:

إذا خفق النسيم الرطب وهنا
كسى جسمي السقيم وهًا ووهنا
وإن برق الأبيرق لاح ليلاً
هفا لوميضه قلبي المعنَّى
فمن لمتيَّم أضحى وأمسى
يقلبه الجوى ظهرًا وبطنا
إذا ما الليل جن عليه فاضت
مدامعه إذا ما الليل جنّا
وناح صبابةً وبكى غرامًا
وحنَّ إلى أحبته وأنّا(٤)

ومثل قوله:

هل الظل من تلك الغصون ظليل
وهل هن خضر ما بهن ذبول
وهل أثلات المنحنى وبشامه
يهب لها ريح الصَّبا ويميل
وهل ذاك الروض الذي بطويلع
تداول أمطار به وسيول
وما الشيح من نعمان والبان والغضى
وما أذخر في رامةٍ وجليل
أعَانَقَ ذا هذا وصافح ذاك ذا
وصاح ذا بلبل وهديل؟
وهل ذلك الربع اليماني بعدنا
خصيب الربا للحيّ فيه نزول
وما السفح من وادي الأراك أعاده
على حال مأنوس الجهات أهيل(٥)

وقوله:

أتدري بما لاقته تلك الملاعب
وما كابدت أبطالها والخراعب
وما نال جيزان الخصيب وأهله
لفقدك يامن في الإقامة راغب
وهل لك علم بالمنازل إنها
تباكى بها شوقا إليك السحايب
وللرعد بالشكوى حنين وللورى
أنين ودمع السحب والخلق ساكب
وللبرق من ذاك ابتسام كأنما
أتت نحوه البشرى بأنك آيب
وتلك الرياض الضاحكات زهورها
ذوابل الأنوار فيها غياهب
وتلك القصور المشمخرة لم تزل
تغالب فيك الشوق والشوق غالب
ولو نظرت عيناك دربك والذي
ينازعه من وجده ويجاذب
لقلت: ألا شدوا الركايب سرعة
فقد قُضيت مما أردنا المطالب
وربعك في أصل الجمال وفرعه
يقول متى تحدوا إليَّ الركايب
وللساحل المحروس والجيرة الأولى
به لوعة والطَّود والحصن دايب(٦)

وقوله:

ذكر اللوى والنازلين حماه
ذاد الكرى عن ناظري وحماه
والدمع من عنم يفيض وعندم
أجراه في الخدين ما أجراه
والقلب ذاب من الفراق صميمه
وتقطعت أكباده وحشاه
والبارق القبلي لَمّا أنْ سرى
وهنًا يكشف شاقني مسراه
ما ضاله وسياله وبشامه
وخزامه، وأراكه وعضاه
ورياضه الأُنُف اللواتي زهرها
أذكى من المسك الذكي شذاه
هل هن فيه كعهدنا خضر وهل
سحًا سقاهُنَّ الحيا وسقاه
وهل المنازل بعدنا مأنوسة
بالحيّ حيّاه الحيا وحياه (٧)

وفي الحقيقة أن المتتبع لهذه الظاهرة الشعرية في شعر الجراح بن شاجر الذروي يدرك أن هذا الشاعر قد اتخذ هذا الجانب سبيلا للحديث عن غرضه الشعري.

فلاتكاد قصيدة من قصائده الشعرية التي ضمّها ديوانه تخلو من مثل هذه المقدمات الذاتية؛ فعلى الرغم من أن معظم قصائد هذا الديوان تنصرف نحو المدح؛ إلاّ أن الشاعر فيها كان يوجّه معانيه قبل ذلك نحو الحنين، والذكرى بما جعلها ظاهرة تستحق الوقوف، فلعل هذه الأحاسيس تمثل - كما قيل من قبل - همة هذا الشاعر الذي استقبل حياته، وأمضاها في هذا الوسط الاجتماعي المضطرب، من حيث أوضاعه السياسية بمشيخاته، وإماراته، وقبائله، وأسره. وفي ظل حياة فكرية مزدهرة، روافدها الفكرية والأدبية تتصل بمركزين فكريين كبيرين، هما: الحجاز، واليمن، فلا غرابة إن تمثلت هذه المتغيرات في شعر الشاعر، فجعلته يكثر من بعث هذه الأحاسيس في صدور قصائده، فلعله يرنو إلى همة، أو يبحث عن مجد لم يتحقق. ولذلك كله يظل تراث هذه المراكز الفكرية المنسية بجزيرة العرب ميدانًا خصبًا للدارسين وطلاب العلم، علّهم عند استيعابها ينون تاريخهم الأدبي بشيء من الحضور العلمي ذي الأسس الأدبية المتينة، فالحق إن تاريخنا الأدبي بحاجة للنظر والتأصيل، وماذاك على المخلصين ببعيد.

الحواشي والتعليقات:

(١) انظر كتاب «نشأة الأدب السعودي المعاصر في جنوبي المملكة العربية السعودية» للباحث.

(٢) قال عنه عمر رضا كحالة: «الجراح بن شاجر الذروي، الصبياني، شاعر ولد في القرن التاسع الهجري في وادي صبيا. من آثاره: ديوان شعر. «معجم المؤلفين» ١١٦/٣. وانظر: «ديوان الجراح بن شاجر الذروي» تعليق: محمد بن أحمد العقيلي، وانظر ديوانه المخطوط، فقد قيل في صدره: «هذا الديوان المرقوم المرسوم الرايق الفائق للشريف الأمثل رفيع المحل فصيح معاصريه: جراح بن شاجر بن حسن رحمه الله تعالى» ق١.

(٣) ديوانه المخطوط ورقة ١٣٢، ١٣٣.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ١٣.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ١٨.

(٦) المصدر نفسه، ورقة ٧٠.

(٧) المصدر نفسه، ورقة ٨٣.

الشاعر محمد عبدالله ركويل أديب وجد في الإسلام مبتغاه

ولد دونالد ركويل في مدينة تيلورفيل بالولايات المتحدة الأمريكية لأبوين نصرانيين، فشب على مثالهما، ولم يخطر بباله يوما أنه سيترك ديانة آبائه ليعتنق ديانة أخرى، وبخاصة الإسلام، الذي طالما سمع من القساوسة أنه ديانة وثنية يؤمن بها أناس متخلفون، يقيمون في الشرق، وينكرون عبادة التثليث، التي هي صلب العقيدة النصرانية المحرَّفة.

انشغال بالدنيا

لم تكن الفكرة الدينية تشغل بال دونالد كثيرًا، فالروح المادية المسيطرة على الناس في بلاده جعلت الشباب لايفكر سوى في يومه وملذاته فقط، ولا يولي اهتمامًا بالأمور الروحية أو الغيبية. إضافة إلى أن اهتمامه بالأدب بعامة، والشعر بخاصة، قد أخذ جل تفكيره، إذ كان يطمح لأن يكون واحدًا من الفرسان في المجال الأدبي، ونما لديه هذا الطموح وترعرع خلال دراسته في مدرسة «سبرنج فيلد العليا» في واشنطن. وما كاد ينتهي من دراسته في جامعات واشنطن وكولومبيا، حتى استغرق كليًا في تحقيق حلم حياته في أن يصبح شاعـرًا وأديبًا مرموقًا، وشجعه على ذلك مانااله خلال الدراسة من جوائز أدبية كثيرة.

الأدب طريقه إلى الله

أسهم حب دونالد ركويل للأدب في دفعه دونما تخطيط إلى التعرف إلى الإسلام، ذلك أن طبيعة الأدب الإنسانية تفرض على الأديب ألاّ تقتصر نظرته على مجتمعه المحلي المحدود، وإنما تتجاوزه لتحلق مع المجتمع الأكبر، مجتمع الإنسانية ككل، بحيث يلم بالثقافات والحضارات المختلفة؛ فالمشاعر الإنسانية وكذا القيم كُلٌّ لايتجزأ، ولاتقتصر على شعب دون آخر. والأدب بوصفه لونا من ألوان المعرفة، وإن كان يتميز بالخصوصية والمحلية في موضوعاته، إلا أنه من حيث المبادئ السامية عالمي النزعة. من هنا كان حرص دونالد على أن يلم بثقافات الشعوب التي لم يعرفها، وَشَدَّهُ الشرق بما يُروى عنه من أساطير، تصف حياة أهله بالسحر والغموض والتناقض.

بدأ دونالد يقرأ بعض الكتب المترجمة عن الإسلام، لعله يفهم من خلالها كيف يفكر أولئك الشرقيون، وماهية العناصر التي يستقون منها ثقافاتهم وأدبهم الذي شغف به.

كيف انجذب إلى الإسلام؟

يروي ركويل عبر صفحات العدد الثامن للسنة الرابعة من مجلة «حضارة الإسلام» عام ١٩٦٤م كيف بدأ انجذابه إلى الديانة الإسلامية، يقول: «لقد جذبني إلى الإسلام عوامل كثيرة ودواع مختلفة، لايمكنني حصرها أو الوقوف عليها جميعًا، لأن منها الظاهر الجلي الذي لايماري فيه إنسان، ومنها الباطن الخفي الذي يغوص في أعماق الروح، ويكمن في خبايا الضمير، لقد قرأت عن الإسلام وقرأت القرآن الكريم، وشيئًا من سيرة النبي الكريم محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاسترعت نظري أشياء كثيرة».

كان من أبرز ما استرعى انتباه ركويل خلال قراءاته عن الإسلام، روح البساطة التي تميز العقيدة الإسلامية من غيرها، فليست في الإسلام أسرار أو ألغاز، يُطالب المسلم بأن يؤمن بها دونما مناقشة، مثلما تطالب النصرانية أتباعها بأن يؤمنوا بأسرار الكنيسة السبعة دون أن يعرفوا كنهها، وتطرد من يسأل عن جدوى هذه الأسرار من رحمتها.

موازنة

ووازن بين زعم الكنيسة بأنها دعوة إلى العفة وطهارة النفس والبدن، ومـاتطبقه فعلاً في الواقع، حين تناقض تلك القيم النبيلة، وتزعم أنه بإمكان القس عبر صلاة أو صلاتين غفران خطايا الخاطئ المعترف، وتطهير روحه كلما عاود ارتكاب خطاياه. ولم يصعب على ركويل أن يكتشف ـ بما حباه الله من عقل منفتح ـ أن الكنيسة تتنكر للمبادئ التي تدعو إليها من أجل الإبقاء على سلطانها المادي، وسيطرتها على عقول البسطاء، ليحظى القسس بالمركز والثروة، وتظل لهم الهيمنة على مجريات الأمور.

في المقابل وجد الإسلام يرفض الكهانة، ويأبى أن يجعل أحدًا واسطة بين العبد وربه، فالعلاقة بين العبد والرب في الشريعة الإسلامية علاقة مباشرة، والمسلم مُطَالَبٌ بأن يلتقي مع ربه خمس مرات يوميًا على الأقل في الصلوات المفروضة على كل بالغ عاقل، وباب التوبة مفتوح على مصراعيه أمام كل صادق النية، والشرط الوحيد للمغفرة التي اختُصَّ بها الله وحده هو أن تكون التوبة صادقة نابعة من القلب، وبصدق النية يصل الإنسان إلى نيل عفو ربه ورضاه، دونما كهانة أو واسطة؛ فالمسلم لايحتاج إلى واسطة غيره ليصل إلى ربه، ذلك أن الإسلام علّمه أن الله أقرب إليه من حبل الوريد، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ (البقرة:١٨٦).

وكانت سماحة الإسلام وعدم تفرقته بين البشر هي النقطة الثانية التي شدت دونالد ركويل إلى تلك العقيدة السماوية، حيث وجد أروع صور المساواة بين الناس في الشريعة الإسلامية، التي حرصت على أن تؤكد على أن البشر ـ وإن اختلفوا في حظوظ الدنيا ومتاعها ولونهم وجنسهم ـ متساوون أمام الله، لافضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى، التي هي أساس المفاضلة عند الخالق سبحانه.

بل إن الروح الإنسانية التي تنطق بها تعاليم الإسلام ذهبت إلى حَدِّ جَعْلِ حَقِّ للفقير في مال الغني، يؤديه إليه من خلال زكاة واجبة، جعلها الإسلام من بين أركانه التي لايكون المرء مسلمًا إلا بإكمالها، طالما كان في مقدوره ذلك.

دين وسط

وجد ركويل في الإسلام دينًا وسطًا، يرفض المغالاة في كل شيء، فهو لاينهى المسلم عن متاع الدنيا، لكنه ـ في الوقت نفسه ـ يرفض أن تستغرقه المتع الدنيوية كليًا، بحيث ينشغل عن أُخراه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا﴾ (القصص:٧٧).

عند ذلك قرت نفس دونالد ركويل واطمأنت إلى أنها وجدت أخيرًا ما تبحث عنه؛ ففي الإسلام بعقيدته وعباداته ومعاملاته ما يلبي حاجة أي نفس من الإيمان والاستقرار، فكانت الخطوة الحاسمة بإشهار إسلامه عن اقتناع كامل، واختار أن يتسمى باسم «محمد عبدالله»، تيمنا بشخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، التي شَدَّته سيرتها، بما حفلت به من عظمة التاريخ، وعظمة الجهاد، وعظمة الشخصية.

بعد إسلامه

وأسهم محمد عبدالله بعد إسلامه في التبصير بحقيقة الإسلام، مستعينًا بما وهبه الله من إيمان قوي، تعززه شاعرية متدفقة وقلم أديب، ورعته عناية الخالق، فازداد شهرة بوصفه شاعرًا وناقدًا وكاتبًا صحفيًا، وترأس تحرير مجلة «الشخصيات الإذاعية»، وجعله الله سببًا في هداية أرواح كثيرة إلى طريق الحق؛ إذ إنه بسلوكه القويم، وعلمه الواسع، وأدبه الجم، قَدَّم للغربيين صورة مُثلى لما يجب أن يكون عليه المسلم، مما جعل كثيرين من معارفه يصححون أفكارًا كثيرة مغلوطة عن الإسلام، بذرها القسس والمستشرقون في عقولهم، وبدؤوا يدركون حقيقة الدعوة الإسلامية، وعظمة الإسلام.

إن محمد عبدالله وأمثاله ممن هداهم الله إلى الطريق الحق، لَهُمْ قدوة ينبغي أن يتذكرها كل مسلم بفخر وإعزاز، ذلك بأنهم أناس اشتروا أخراهم، وآمنوا بصدق، آملين أن يكونوا ممن يُحشر يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقا.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ :

د. صالح بن سعد اللحيدان

الصلاة في قارعة الطريق

ما حكم الصلاة في قارعة الطريق يوم الجمعة؟

براك. س. ي
الأردن

إذا اقتضت الضرورة ذلك، وابتعدت المساجد جدًا فلا بأس مع ضرورة فرش مكان المصلي خشية النجاسة.

لبس الحرير لضرورة

ماحكم لبس الحرير في اليد للضرورة؟

فلاح. ب. ب. ب الرشيدي
حائل

لا بأس إذا حصلت الضرورة بحق، ولعله يعوض عن الحرير الطبيعي بالصناعي، فهو أيسر.

الظلم بين الولد وأبيه

هل الظلم يقع بين الولد وأبيه؟

فهد ب ن ع
الدرعية ـ الرياض

سؤال جيد، لكنه واضح الإجابة، فالظلم يقع بينهما، وغالبا مايكون من الولد، إذ أصل البنوّة البر، فيجب على الأبناء بر الوالدين وطاعتهما، في غير معصية، وقد يكون الظلم من الأب حين لايعدل في العطاء، ونحو ذلك

الخطأ في حق الزوج

إذا أخطأت في حق الزوج دون علمه ومضى الوقتُ، كيف أتصرف؟

حنان
البكيرية ـ القصيم

نوع الخطأ يختلف من حالة لأخرى، لكن لابد في كل الأحوال من إعادة الحق، سواء أكان ماديًا، أم معنويًا. وحبذا مفاتحته بعد تمهيد لطيف إن لم تقدري على ماذكرتُ لك.

لكن إن كان الخطأ من النوع الحرج، فيتم رد الحق سرًا حتى تظني أنك وفّيت حقه منك، ولا تغتري برضاه المطلق، وتتعللين بالثقة بينكما، فالخطأ خطأ.

أحاديث

ما مدى صحة الأحاديث التالية؟

محمد بن سعد بن علي
العليا ـ الرياض

سيد طعام أهل الجنة: موضوع، لاتقطعوا اللحم بالسكين فإن ذلك من صنع الأعاجم: موضوع، ادّهنوا بالبان فإنه أحظى لكم عند نسائكم: موضوع، من لم يزرني فقد جفاني: موضوع، كما تكونوا يولّى عليكم: لم يصح، ومعناه جيد، خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء: ضعيف، الظلم ظلمات يوم القيامة: صحيح، نية المؤمن خير من عمله: ضعيف، السارق من السارق كالوارث من أبيه: موضوع.

الاستعانة بالمسلم والكافر

لديَّ مستوصف ناجح وفتحت آخر، وكل من عندي من الأطباء وسواهم من المسلمين، لكن هل يجوز لي أن أستعين بكافر كالنصارى؟

م.م.م.م.
الكويت

لا أدري لماذا هذا السؤال، وقد أجبت أنت عليه في سؤالك. لقد كان من الميسور الدوام على ماأنت عليه من شكر الله تعالى وحمده على نجاحك وتقدمك، فهل هذا جزاء لهذه النعمة، أن تحاول السؤال لتجد من يفتيك باستعمال من يكفر برسولك صلى الله عليه وسلم؟

كلا ـ يارجل ـ لايجوز، ولاتدخل مالك إلا ماكان طيبًا، ولاتستعمل إلا من يؤمن بمن تؤمن به، ولو حصل منه تقصير ما. فالمسألة هنا مبدأ، وإذا فتشت وجدت خيرًا كثيرًا في المسلمين من الأطباء وغيرهم، لكن المهم أن تكون أنت قدوة صالحة للجميع حتى تستفيد دنيا وأخرى.

رضاع الزوج من زوجته

هل يجوز للزوج أن يرضع من زوجته عمدًا أو جهلاً، وهل تحرم عليه؟

الفكي هارون آدم أحمد، منطقة ضيلم، التبلدية ـ السودان

إذا رضع زوج من زوجته عمدًا أوجهلاً، فإنها لاتحرم عليه، لأمرين:

أولهما: أن من شروط الرضاع المحرم أن يتم في الحولين، لقوله تعالى: ﴿حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ (البقرة:٢٣٣). فهذا الشرط الأول ضروري ومهم.

وثانيهما: سد الذريعة، وهذه قاعدة شرعية يسير عليها أهل العلم، لأن الزوجة قد تكره زوجها، ولاتستطيع الفكاك منه، فتجعل اللبن في إناء، أو على سبيل المداعبة، فيشرب الزوج منه. ففي هاتين الحالتين لايكون الزوج محرَّمًا على زوجته، ويكون الزواج على الأصل الأول، ولايبطل نتيجة لهذا الرضاع.

ردود

الأخ مراد. ن. ن. أ الطائف:

١ـ الأكل أوالشرب ناسيًا في نهار رمضان لايبطل الصوم.

٢ـ من لايُصلي إلا إذا دخل رمضان، أو يصلي الجُمع فقط، صيامه غير تام، حتى يقيم الأركان كلها، فيداوم على الصلاة مع الجماعة ويزكي إن وجد مايزكيه، ويحج إن استطاع، وفي الجملة فالإسلام بأركانه الخمسة، والإيمان بأركانه الستة، كل لايتجزأ.

٣ـ قتل الصيد للمتعة فقط ذهاب للمال والوقت، ولست أظنه على هذا مباحًا.

الأخت وداد. جـ . ب ـ جدة:

الطلاق لم يحصل، عودي إلى الزوج، ودعي كلام الوالدة، ويصلك جواب خاص، آمل قراءته على الوالدة.

الرّوايَة الحَديثة والجُذور الأسطوريّة

«ملاعيب علي الزيبق»

لفاروق خورشيد

د. عبد البديع عبد الله


فاروق خورشيد

اختلف الروائيون في الاستفادة من الجذر الأسطوري باختلاف نظرة كل منهم إلى الأسطورة، وفهم دلالاتها وتفسيرها، وباختلاف توجه الكاتب فكريا (أيديولوجيا)، وبما يقتضيه جانب آخر يتصل بفنية الرواية وتقنيتها وكيفية كتابتها، وبناء العالم الخاص للكاتب، وإبداع شخصياته، وتحريكها في إطار الحدث الروائي، أو ما يمكن أن يكون إعادة توظيف للأسطورة وتفسيرها وفهمها. وكما يرى جريماس فإن أيّ محاولة لفهم الأسطورة وتفسيرها لايمكن أن يتم - فقط - باكتشاف الملامح الشكلية لها - وهذا تجاوز لدور بروب - كالوظائف والاختبارات والخصائص الأخرى للبطل؛ وإنما يتم بتعليل الدوافع لمثل تلك الوظائف وعلاقتها بعضها ببعضها الآخر. وبعبارة أخرى؛ لابد أن يقترن تحليل شكل الأسطورة بدراسة المجتمع الذي أبدع الأسطورة.

وفي هذا الإطار يهتم جريماس بثلاثة عناصر في النظرية السيميية هي: إطار العمل FRAME WORK، وجَفْر (شفرة) القصة NANNATIVE CODE، والرسالة المراد إيصالها للجمهور MES-SAGE. ومن بين عدد من الروايات التي استلهمت الجذر الأسطوري الواحد، واختلف موضوعها اختلافا كاملا نقف عند إحدى هذه الروايات التي تستمد قيمتها من مجموعة أسباب:

أولها: أنها اختارت فترة تاريخية هامة من فترات كفاح أسلافنا ضد الصليبيين. وثانيها: أنها انتقلت إلينا - فيما انتقل - من المأثورات الشعبية عن تلك الفترة في قالب السيرة الشعبية التي حوّلها المؤلف بعد إعادة توجيهها إلى رواية عصرية. وثالثها: أنها مزجت مزجا رائعا بين مجموعة من التقاليد الشعبية (الفلكلورية) كالأسطورة والحكاية البطولية.

في هذه الرواية وهي «ملاعيب علي الزيبق» لفاروق خورشيد، حافظ المؤلف على الموضوع الذي انتقل إليه عبر العصور في قالب «سيرة البطل علي الزيبق الشعبية»، وحافظ على مفرداتها وجذورها (تيماتها) وعناصرها البنائية، وغيّر نظرته للجذر الأسطوري إلى معنى عصري يتفق مع معطيات العلم في العصر الحديث.

والجذر الأسطوري الذي قام عليه البناء الروائي هنا هو ما يطلق عليه «أسطورة الأخبار، أو الخطوة التاريخية LEGEND MYTH، التي تجمع عنصري التاريخ والخرافة معا، وتتضمن مجموعة من الخوارق التي لايقوى على فعلها، وينجح في تحقيقها إلا بطل من نوع خاص هو البطل الملحمي.

وقد تتداخل مع أسطورة الأخبار - في بعض الجوانب - الأسطورة الرمزية ALLEGOR MYTH، وذلك لأن الرواية بناء فني مُعقّد، تتخذ الأسطورة فيه أشكالاً معقدة بتعقد المهمات التي يقوم بها البطل، والصعوبات التي تواجهه، والهدف الذي يرمي إلى تحقيقه، سواء كان الهدف هو الحصول على أسباب الخلود «جلجامش»، أو صندوق التواجيه، أو الفروة الذهبية، أو أي هدف عزيز التحقيق إلى درجة الاستحالة. ولابد أن يمر البطل بأهوال وتحديات حتى يصل إلى غايته.

وملاعيب علي الزيبق، صياغة فنية روائية لسيرة شعبية يتناقلها الناس شفاهًا، ودور المؤلف هنا - إلى جانب رصد السيرة - هو إعادة صياغتها في قالب عصري مع المحافظة على طبيعتها الشعبية وشخصياتها، ومفردات بطولتها. وليس القالب العصري هو صياغتها في الشكل الروائي، بل في إعادة المعالجة للمعنى الغامض القديم عن الطِّلَسْم والسحر والألغاز والأهوال التي يجب أن يقطعها البطل الأسطوري ليحصل على بغيته. مهمة «علي الزيبق» في هذه الرواية البطولية تذكرنا بمهمة «جلجامش» القديمة في الحصول على النبات الذي يمنحه الخلود. وفي الطريق إلى هدفه، لابد أن يقطع أهوالاً وعقبات حتى يثبت كفاءته للجائزة التي سيحصل عليها. وتذكرنا كذلك بمهمات مشابهة، كان لابد أن يحققها البطل اليوناني جيسون، ليحصل على الفروة الذهبية التي تقع وسط عوائق

وعقبات لاينجح في الوصول إليها إلا بطل. كذلك مهمة «الزيبق» الصعبة في هذه الرواية هي الحصول على صندوق التواجيه، الموجود بالكهف في الجزيرة المنعزلة التي لايصل إليها إلا من طريق المدينة المرصودة. ولن يمرّ غريب من بوابتها دون أن يُنذر بمروره التمثال النحاسي الآدمي الشكل وهناك أهوالٌ مرّ بها من سبقوا الزيبق. وكلهم فشلوا في تحقيق هذا الحلم البعيد.. دخول الكهف والحصول على الصندوق.

أسطورة مختلفة

فإذا كانت الأساطير القديمة قد أحاطت الهدف الجائزة بأحاج وطلاسم وحيوانات وحيّات فاتكة، وأمدت البطل بمساعدات بسيطة، فالأسطورة في «ملاعيب علي الزيبق» ليست السحر والطلسمة، بل العلم وإعمال العقل والفعْل الإيجابي.

يقول علي الزيبق في نهاية رحلته الموفقة، وهو يستحضر تعاليم معلمه الشيخ زكي البتوكي: «هي أشياء مصنوعة بالحكمة والمعرفة، تعتمد على العلم والميكانيكا. وقد وجدنا مثلها في المقابر المصرية القديمة. وتحكي لنا الكتب القديمة أنها وُجِدَتْ في مقابر التبابعة (٢)، والأمم البائدة كعاد وغيرها في الجزيرة العربية.. أرصاد مصنوعة بالمعرفة، تتحرك على لوالب عند نقطة معينة حين يقع على هذه النقطة ثقل، فتخرج الثعابين والأفاعي وأسود تضج، وتخرج النار، وتنفث السموم. وتقتل كل من يعتدي على حرمة المقابر، أو يريد نهب الكنوز. لو عرفت سر ما في الجزيرة المسحورة لقضيت على شرِّه إلى الأبد»(٣).

هذا هو التفسير العصري للأسطورة القديمة. الطلسم أو كل أمر غامض مجهول مقابل العلم والمعرفة. وبهذا أصبحت البطولة قرينة المعرفة، وتحديدا، قرينة العلم التجريبي القائم على أبحاث العلماء وتجاربهم. حتى «العياقة والشطارة»، الجناح التقليدي للبطولة، يلزمه تعلم:

«ستبدأ كل صباح معي تتعلم الفروسية والسلاح. خدع الحرب والقتال راكبًا وراجلاً، بالحربة والسيف والخنجر والسهام والدبوس، ثم تبدأ دروسك مع «شحادى أبو حطب» في فنون المصارعة والملاكمة والنزال رجلا لرجل، ورجلا لعدة رجال، وليست المصارعة التي تتعلمها هنا هي مصارعة الرميلة وقرة ميدان، بل ستتعلم كل ما تفننت فيه الشعوب من ضروب العراك باستعمال المعرفة بمراكز الأعصاب ومواطن الضعف، والمَقاتل في جسد الإنسان. ثم نتركك للشيخ زكي ورجاله، وهؤلاء سيتولون تعليمك العلم والحساب والفلك، بحيث توظفهم في حياتك ومهمتك. كيف تهتدي بالنجوم في الصحراء. وكيف تعرف الشرق من الغرب وكيف تستولد النار الحارقة، والعبوات الناسفة، والأبخرة التي تشل الحركة، وتخدع الجموع الحاشدة. كيف تستخرج طعامك من الجماد، وكيف تفرق بين ما هو سام، وماهو غير سام من أنواع النبات والحيوان.. دنيا من المعرفة لابد لك منها كإنسان من ناحية، وكمقدم من مشاديدي من ناحية أخرى..

وبعد العلم يأتي دور الشطارة والعياقة، فبعد الظهر يعلمك حسن شومان فنون تسلق الجدران، وفتح مايستعصي من أقفال، والقفز من مكان إلى مكان، وخفة الحركة واليد، وسرعة التصرف. أما في الغروب فمعلمك هو عمر العيّار ليعلمك فنون التنكر، واستعمال الشَّعر والأدهان والأصباغ، ويعلمك تقليد الأصوات بإتقان، وكيفية التحكم في عواطفك لتلبس لكل شخصية تقلدها لَبُوسها» (٤).

ومع اعتذاري عن طول الاقتباس السابق، أحببت أن أوضح مقصدي من كلامي عن تحديث النظرة التقليدية والتفسير العصري للأسطورة القديمة، فمهما كانت صفتها فهي مطلب عزيز دونه أهوال. أما التغلب على هذه الأهوال فقديما كان بالفعل الجريء والحظ الحسن للبطل؛ وأما حديثا وعند شخصية مثل الزيبق فبالعلم، والعلم بمعناه الشامل الكبير، أو كل ما تفننت فيه الشعوب. العلم بمعناه التجريبي المعملي كعلوم الكيمياء والأحياء والفيزياء، والعلم النظري كالرياضيات والحيل. وعلوم القتال أو فنونه، فهي علوم قامت على الفن.. وكلها ليس لها إلا مدخل واحد هو التعلم. حتى العياقة والشطارة تعلم. وهذا هو الإعداد الجديد لنجاح البطل. وهكذا يمكن أن يكون «صندوق التواجيه» - ومعناه يدل عليه - هو الغاية التي ينالها من يتعلم ويعلم. هو بطل هذا العصر. ولذلك ألحَّ كاتب الرواية البطولية «ملاعيب علي الزيبق» وأطنب في إظهار دور العلماء الذين هم من نوع الشيخ زكي البتوكي، لا العلماء الذين يقف اجتهادهم عند قراءة الأوراد كجدِّه.

الخصوصية العربية في الرواية

تساءلت.. إذا كانت الأسطورة إنسانية، فأين الخصوصية العربية في «ملاعيب علي الزيبق»: أهي خصوصية البطل الذي يتميز بنمط بطولي خاص كواحد من العيّاق الذين برعوا في اللعب بالدبوس والعصا، والقدرة على التنكر والإيقاع بخصومه والهروب المفاجئ بعد ضربة تأديبية خاطفة؟ أم هي الجرأة في اقتحام حصون أعدائه بعد دراسة حصونهم ومعرفة ثغراتها، والنفاذ منها وخارجها؟ أم إن الخصوصية في نمط الحياة الاجتماعية للبطل وجماعته؟ أهي الحياة الاجتماعية الشعبية لكل أبناء المجتمع، سواء مَنْ سكنوا المدن أو سكنوا القرى بطريقة المعيشة والحب والخوف والقلق والتضحية والفداء. حب الخير وكراهية الشر والغدر والنذالة وكل الدنايا. أهي الصبر على المكاره حتى تنجلي الأزمات؟ أم في طريقة التفكير عند مواجهة الخطر بالتأني، ثم الضربة المفاجئة الصاعقة غير المتوقعة؟ أهي شخصية غير مندفعة. تنتظر وتصبر، ثم تنقض حين لايتوقع منها أحد أن تنقض بضربة حاسمة؟ أم الخصوصية في الموضوع المستفز للبطولة المحرك لأحداثها، وهو الحصول على «صندوق التواجيه»؟ لعل خصوصيتها في هذا كله، ولعلها في الجو العام الذي صبغ هذه الرواية البطولية بصبغته. وأهم ملمح للبطولة في هذه الرواية أنها «برية». هي ليست بطولة كونية، فيقتحم البطل أهوال البر والبحر «الإلياذة مثلا في الأدب اليوناني وأيضا الأوديسة، وجلجامش في أدب ما بين النهرين القديم»؛ بل هي بطولة برية. الملحمة الرواية أو الرواية الملحمية تقع أحداثها بعد عبور الصحراء إلى الأحراش، إلى الجزيرة، حيث غايته. أما الجزء البحري البسيط، وهو العبور من شاطئ الغابة إلى طرف الجزيرة فكان بمساعدة أصدقائه. وفيما عدا ذلك كانت البطولة والفعْل للزيبق، وكانا بريين.

بطل يجرح ولايدمي

«علي الزيبق» بطل من نوع خاص، وهو أيضا بطل نبيل. أما أنه بطل من نوع خاص، فذلك مايميزه

من الأبطال العظام في الملاحم الكبرى. وتتمثل خصوصيته في أمر بسيط: أنه يكره العنف مع أنه محارب. وينطبق عليه المثل المصري المعروف «فلان يضرب ويلاقي»، أو «يجرح ولا يدمي». مع اختلاف طبيعة المثلين. وأول رصد لهذه الصفة ما حدث له عند «بئر النجاة»، بعد أن لمح صورتين منعكستين على الماء، فأدرك أنه كمين، وأن عدوه غبي: «كانا رجلين يجلسان أعلى نخلة انتظارا لوصوله، ولم يفكرا أن صورتهما تنعكس على الماء في بئر النجاة أسفل مجلسهما». وفاجأ الرجلين بضربته المخدرة التي أوقعت بهما، وكانا «حسن بن الحُصري، وعلي بن البيطار»، وهما من رجال خصمه «صلاح الكلبي» مقدم الدرك. أرسلهما في أثره للانتقام منه والقضاء عليه، فإذا به يسيطر عليهما، ولكنه لايقتلهما، بل يطلقهما خائبين. فيهرب أحدهما، ويفضل الآخر «حسن بن الحصري» معاودة الكرة ضده في زمان آخر ومكان آخر. ويوقعه حظه العاثر مرة أخرى في أيدي جنود المدينة المرصودة، ويكاد يسقط من شدة الطعن، فينقذه علي الزيبق ويعوده، فيتحول هذا الخصم اللدود إلى صديق مُعين، وأخ غيور يفديه بكل ما يستطيعه، فيكسب الزيبق نصيراً بقدر مايخسر عدوا.

وكما تحوّل «حسن بن الحصري»، تحول الجنديان التابعان للملك سلطان - ملك مملكة بحر الغزال -: «لومبا، ومافي» من خصمين للأميرة زينب أميرة المدينة المرصودة إلى تابعين مؤمنين ببطولة الزيبق: « كان لومبا ومافي قد خطفا الأميرة زينب بمساعدة قاطع الطريق «مونجو» ليتزوجها ملكهما سلطان كرها. فلما تبين لهما نية مونجو في الغدر بهما وأسر الأميرة ونيل وطره منها ثم بيعها رقيقا، وإنقاذ الزيبق لها ولهما، تحولا إلى تابعين له». وكسب الزيبق - مرة أخرى - نصيرين بدل أن يكسب قتيلين.

وكذلك قدرته على إقناع الرئيس «سوهي» باللين والحزم، جعلت سوهي - الذي يسود قبيلة «بونت» - صديقا وتابعا يؤمر فيطيع. وكذلك انتهى أمر الفارس «باسم» الذي ملأ قلبه الحقد على الزيبق لبطولته، وإعجاب أميرته به، فدبر له المكائد التي أدّت بعد ذلك إلى الاعتراف بعظمة الزيبق.

كان من السهل - كما أنه مسوغ فنيا وموضوعيا - أن يقتل الزيبق غُرَماءه؛ ولكنه بحسن تصرفه وثقته في القيم التي يؤمن بها، وترتيبه الأمور بروية وفطنة، كسب أعداءه فحولهم أصدقاء وتابعين مخلصين حقق بمساعدتهم ماعزز بطولته. لهذا فهو بطل من نوع خاص. أما أنه نبيل، فلذلك كثير من الدلائل، وأولها كراهيته للغدر. ولذلك عزل مونجو وجماعته عن لومبا ومافي . فإلى جانب أن «مونجو» قاطع طريق محترف لصوصية، هو أيضا غادر بعد أن فكر في الاستيلاء على رهينته الأميرة، وبأن يعتدي عليها هو وأصحابه، ثم يبيعها في سوق الرقيق بأكثر مما يناله من ملك مملكة بحر الغزال الذي كلفه بالمهمة،وهذا غدر لا يُرضي أخلاق الزيبق. أما الآخران فجنديان من عملهما أن ينفذا أوامر ملكهما دون تفكير. وهذا ماأدى بالزيبق إلى الفصل بينهما، ورفض التسامح مع أحدهما «الغادر» إلى أن لقي حتفه بغدره، وعلى غير يدي الزيبق.

وكره الزيبق في الوزير «مروان»، الوزير في المدينة المرصودة، نوعا آخر من الدناءة هو اللعب على كل الحبال. وهو نفاق يدّعي به الصداقة والولاء لسلطانه، بينما هو يعمل ضده في الخفاء.. أساليب لاتُرضي الزيبق فيكشفها.

ولأن معنى البطولة واضح في مخيلة «الزيبق»، لم يجامل رجاله وأساتذته، فهناك مراحل يجب أن يقطعها صديقه «حسن بن الحصري» ليكون في مستوى البطولة. مراحل من التربية الأخلاقية وتهذيب النفس والتطهّر، عليه أن يقطعها وينصهر فيها حتى يصقل معدنه، ويكون «كالزيبق وأحمد الدَّنِف والمقدم سالم ناب السبع وحسن شومان وشحادى أبو حطب وعمر العيّار».

وإلى جانب هذا التعريف السلبي للنبل بكراهية الغدر، هناك الفعل الإيجابي النبيل، وهو رفضه الزواج من حبيبته «زينب» بنت المقدم دليلة - هي غير الأميرة زينب - رغم أنها وقعت في يده أسيرة «بإرادتها»، وعاشت في بيته مع أمه البطلة «فاطمة» التي تتنكر عند الضرورة في شخصية الفارس «أحمد بن البني». رفض الزيبق أن يتزوج زينب ما لم يدفع مهرها وترضى أمها، ويكون عُرْسها لائقا بعرس البطل النبيل، لا اللص القاطع الطريق. وهذا ما أدى به إلى إعادتها لأمها في بغداد في موكب حافل، محروس، وحولها هدايا تليق بمكانته ومنزلتها.. دون أن يمسها.

البطولة وسيلة أم غاية؟

وتساءلت: حينما يقوم البطل بأفعال خارقة، فما سبب ذلك؟ أهو إعلان عن بطولته كعنصر متفوق متفرد متميز؟ أم إعلان عن قدرته على فعل ماهو وحده القادر عليه؟ أم إبهار الناس بقدراته الخارقة ليكون المثل الذي يحتذونه، ويحاولون الاقتراب منه؟. وهل البطولة وسيلة لغاية، أو هدف في ذاتها؟ هذا هو المدخل الذي أردت أن أضع فيه بطل الرواية البطولية «علي الزيبق» قبل أن نقف عند فعله البطولي الأسطوري في الرواية.

والبعد الأسطوري في «ملاعيب علي الزيبق» هو طلب الحصول على شيء عزيز صعب إلى درجة الاستحالة اسمه «صندوق التواجيه»، وفي سبيله يقوم البطل بفعله البطولي سواء في هذه الرواية البطولية، أو في الملاحم ذات الهدف المشابه. ومع ذلك تكمن حركة البطل في سعيه لتحقيق هذا الهدف. فماذا أضافت البطولة هنا إلى المعنى القديم للبطل القوي القادر الخارق.. إلى آخر صفات التميز والتفرد؟

الذي أضافته الرواية إلى البطل كمعنى هو الغاية التي يسعى من أجلها. وهي ليست الغاية النبيلة فحسب، بل الإنسانية أيضا. فكأن الإعلان عن قدرة البطل وفعله البطولي ليس عملية إبهار، وليس أن يكون المثل المحتذى، بل أن يحقق غاية سعى إليها من البداية وهي: «مواجهة الشر كفكرة وحقيقة قائمة، وفعل الخير كقيمة مطلقة تمثلت هنا في حقيقة واقعية قائمة، هي محاربة الأعداء الصليبيين الذين عجزوا عن تحطيم الدولة من الخارج، فأرادوا تفجيرها من الداخل بالوسائل التي تمكنوا منها بدءًا من إحداث فتنة بين الناس، وزرع رجالهم وعملائهم في المراكز الحساسة لأجهزة الحكم في الأقاليم المستقلة، أو التي

تتمتع باستقلال ذاتي، إلى شل حركة الولاة والأمراء والسلاطين والكيد المستمر للدولة في نزع ثقة أبناء الوطن في الوطن».

لقد قامت حرب طروادة - كما تمثلها ملحمة الإلياذة - لسبب شخصي، أو في الحقيقة «لعبة» من لعب آلهة الأوليمب المزعومة. أما الفعل البطولي للزيبق فكان لغاية نبيلة وإنسانية هي تثبيت الدولة الإسلامية، وكشف أعدائها المندسين في قمة أجهزتها السيادية، وهزيمتهم. وفي مقدمة الأعداء «المقدم دليلة»، مقدم الدرك في عاصمة الخلافة العباسية، وأقوى شخصيات الفعل في الدولة بعد الخليفة، التي يتحرك لإشارتها رجال، وتهتز عروش وتيجان. ويلي دليلة، تابعها المخلص الذي وضعته على رأس الدرك «المقدم صلاح الكلبي» مقدم الدرك في مصر، الذي تكشفت خيانته في هذه المرحلة الثانية من الفعل البطولي للزيبق أو ملاعيبه، ومعه ثلة من الأتباع الذين أعماهم حب المال عن إدراك الخطر. ومع أن الزيبق انتصر عليهم من قبل، وكاد لهم، وانتقم من أفعالهم الدنيئة، لم تكن كل الحقيقة قد تكشفت أمام عينيه، فلم يدرك مدى خيانة «دليلة»، و«صلاح الكلبي»، ولم يدرك أن أي عهد لا أمان له عندهم، ولو كان «منديل الأمان» الذي منحه إياه السلطان. وكان من الضروري أن يستفز الكلبي بطولة الزيبق، لا لتتكشف أبعاد بطولته وعظمتها، بل لتتكشف خفايا الرجال ويعجم أعوادهم، ويفرز الوفي المخلص من الشرير الضال.

كشف الفعل البطولي للزيبق مدى خطورة مقدم درك الخلافة «دليلة»، وسيطرتها على الولايات لتنفذ هدفها؛ كما كشف حافزها إلى الفعْل. هي مجوسية حاقدة على الإسلام ودولة الخلافة، متحالفة مع الصليبيين. اتّحد هدفها وهدفهم، فكانت أداة الفعل المضادة للدولة، ووسيلتها: الإغراء بالمال، أو التشكيك في قدرة الخلافة في مواجهة خصومها وأعدائها، فيما يعرف اليوم باسم «الحرب النفسية»، وزرع رجالها الموالين بعد أن تُعدَّهم الإعداد المناسب المقنع الذي يرضي من سيقعون تحت سيطرتهم من رعية. ولا مانع من الغدر مادام الهدف الذي تسعى إليه لايتحقق إلا بالغدر، عملا بالمقولة الميكيافيلية: «الغاية تبرر الوسيلة»:

أ- فكما زرعت تابعها «صلاح الكلبي» بعد الغدر بالمقدم «حسن رأس الغول» والد الزيبق وقتله، زرعت في المدينة المرصودة «قاسم» الوصي على العرش اسما، حتى تبلغ صاحبته الأميرة «زينب» سن الرشد فترتقيه. وقد فعل قاسم الكثير ليبعد زينب عن العرش، فمن ذلك تآمره على الأميرة بمحاولة تزويجها كرها من الملك سلطان ملك بحر الغزال، فلما رفضت، سهّل اختطافها بيد جماعة من اللصوص قطاع الطرق لصالح الملك الذي يريد أن يتزوجها بأي طريقة. ومن تآمره أيضا بعد زواجه من السلطانة «كوثر» سلطانة المدينة المرصودة أن دسّ لها السم فماتت، واحتل مكانها عرش المدينة المرصودة حتى تصل الأميرة زينب إلى سن الرشد. ومع ذلك يجد الخائن أسبابا لخيانته يدافع بها عن نفسه، ويسوغ أفعاله، ومن ذلك تسويغه خيانته للأميرة زينب بأنه إنما يريدها أن تتحكم في مملكة بحر الغزال بزواجها من ملكها، فتكف مملكته عدوانها على المدينة المرصودة. [وجهة نظر]. ومن ذلك تسويغه التحالف مع أعدائه بأنه عمل لتحقيق السلام بينه وبينهم ليعم الرخاء مدينته. [وجهة نظر أخرى!].

ب- واستمالت «دليلة» الوزير مروان إلى جانبها، ليكون عونا لها، ولمن وضعته على عرش المدينة المرصودة، بالمال، فأصبح الرجل - الذي كان وزيرا لكل السلاطين بنفاقه ومعرفته باتجاه القوة والميل معها - عميلا تابعا لدليله.

ج- واستمالت ملك مملكة بحر الغزال بعد أن وعدته وعودًا كثيرة بعد نصرها، أما قبل النصر فلامانع أن تلهيه بفتاة يحبها هي الأميرة زينب، فيعمل تابعها قاسم على مساعدة مختطفيها.

تحديات قاسية

وكان يتعين على الزيبق أن يواجه هذه السلسلة من الخيانات التي تدبرها المقدم دليلة ضد السلطان - الذي يفترض أنها عينه الساهرة - وضد الدولة الإسلامية. ويواجه أيضا أتباعها وذيولها في الولايات ببطولته الفردية، مع بعض المساعدات التي يمكنه أن يُحسّن بها موقفه من أعدائه، إذا تهيأت له. وهذا هو الجانب البطولي الملحمي في الرواية. أما المعنى الأسطوري فيتمثل في «صندوق التواجيه». وكما حدث في الأساطير القديمة حدث مع الزيبق، إذ استفزّه المقدم صلاح الكلبي بأن يحضر «النفيلة» أو الاختبار الذي يجب أن يجتازه إذا أراد أن يكون مقدم الدرك ليرضي رجال الدرك، ويثبت جدارته وتفوّقه عليهم. وكانت النفيلة أن يحضر «صندوق التواجيه» فيبدأ من جديد الفعل البطولي.

ومع أن «الزيبق» تسلح في هذه المرحلة من ملاعيبه بسلاح العلم والمعرفة والتفكير، والقدرة على الاحتفاظ برباطة جأشه وصفاء ذهنه، كانت التحديات التي واجهته قاسية، فيها الشراسة والكيد والغدر. وبقدر مافي هذه التحديات من صعوبة وقسوة، بقدر مافيها من خصوبة وثراء وبطولة. كانت عظمة الفعل تقاس بمدى مكر الفعل المضاد. ومنذ البداية، بمجرد قبول الزيبق التحدي بإحضار النفيلة، بدأ الكلبي الفعل المضاد قبل أن يتحرك الزيبق. ومنذ بدأ الفعل المضاد بدأت أهمية الزيبق تبرز مع بروز قدراته وإعدادها الإعداد الكامل. ولم يضيع طرف وقته. طلب صلاح الكلبي من أحد أتباعه «المقدم عثمان» أن يذهب إلى رجلين من رجاله كان الوالي قد حكم عليهما بالنفي، فادّعى الكلبي بأنه نفاهما، ولكنه أخفاهما عن الوالي وكل رجاله في أحد أحواش المقابر بباب النصر. والرجلان هما «حسن بن الحصري، وعلي بن البيطار»، وكلّفهما قتل الزيبق عندما يصل تعبًا مرهقًا - بعد أن يكون قد قطع الصحراء في مسيرة ثلاثة أيام - إلى بئر النجاة.

ولأن الفعل غير بطولي وفيه خسَّة التدبير، كان الطريق إليه كذلك ملتويًا معتمًا قذراً: «اخرج من هذا الباب الجانبي، وسأتبعك دون أن ألفت نظر السلطان. وأشار صلاح الكلبي إلى باب جانبي مهجور صغير، يقود إلى جزء مهجور من الدار. فسار المقدم عثمان إليه مسرعا.. وما كاد يدخل من الباب إلى ممر معتم مهجور، حتى لحقه المقدم صلاح الكلبي وأمسك بكفه»(٥).

فأي باب جانبي مهجور هذا الذي يقع في مجلس الوالي الذي يلقب مجازا بالسلطان، ويؤدي إلى ممر معتم مهجور؟ إن مجلس السلطان يجب أن يكون في قلب المكان لا في أطرافه كما افترضت الرواية. ولكن هذا ماحدث، فهل له تفسير؟ الرأي عندي أن المكان بمن فيه ترجمة للواقع الذي كانوا

يعيشون فيه، جزء ظاهر واضح هو الوالي ورجال الدولة، وجزء غامض خفي مهجور هو التآمر على الوالي والدولة. فكان المكان هو المعادل الدقيق لأحوال الولاية في تلك المرحلة. المهم أن الفعل المضاد بدأ، ووصلت رسالة الكلبي واستعد الرجلان وانتظرا فوق نخلة عند بئر النجاة.

في الوقت نفسه كان الفعل البطولي يبدأ بظهور المقدم «عمر العيّار»، وهو من رجال السلطان في بغداد، وواحد من قلة من الرجال تعمل في صمت لتحمي الدولة من أعدائها. تابع عمر العيار الزيبق، والتقطه، وقدمه إلى الرجال ليكون مكان أبيه البطل القتيل «حسن رأس الغول»، وليمكنوه من تحقيق غايته وقهر الكلبي. وعرف الزيبق ماكان يجهله عن أبيه وبطولته والغدر به. وتعرف إلى «أحمد الدُّنف» مقدم الدرك في بغداد بعد عزل «دليلة»، إثر هزيمتها على يد الزيبق في مرحلته البطولية الأولى. وتعرف أيضا إلى «حسن شومان» و «شحادى أبي حطب» وإلى من التقطه من التيه ودلَّه على الطريق: «المقدم عمر العيار». وعرف أنهم في مهمتهم لايعرف عنهم أحد شيئا، لأنهم في الحقيقة يواجهون من يتمركزون في مواجهة السلطة، مدّعين أنهم جزء من النظام الحاكم للدولة، وهم - في حقيقتهم - متآمرون عليها.

فعل بطولي وفعل مضاد

مهمة هؤلاء الرجال هي كشف القناع الزائف عن وجوههم، وترك أمرهم للسلطان يرى فيهم رأيه. لذلك هم في مهمتهم متخفون، ولذلك - أيضا - جعلوا شعارهم تلك العبارة التي كان يرددها «حسن رأس الغول»، ولا تفهمها زوجته فاطمة رغم علمها بمعظم أموره: «نعرف الحقائق ونتكلم في همس».

ومع سرعة الفعل المضاد كانت سرعة الفعل البطولي، وأصبح الزيبق في أيدي رجال الخليفة، يحرصون على إعداده الإعداد الكامل للنجاح. وكان الصراع بين الفعل البطولي والفعل المضاد على أشده «انظر الجدول المرافق».

فجأة عرف الكلبي أن للزيبق حركة غير عادية، فأرسل في طلبه، فذاب واختفى قبل وصول الشرطة إلى بيته. كان المقدم «عمر العيّار» المتنكر الذي تعرفه أم الزيبق معرفة جيدة، يحمل ملابس الزيبق ويفلت بها. وكان الجواب أن الزيبق سافر في مهمته لإحضار النفيلة.

أفلت الزيبق بمساعدة رجال الدولة المخلصين، ليبدأ تدريبه وإعداده للمهمة في الكهف السري. وعند بئر النجاه، كان حسن بن الحصري وعلي بن البيطار رجلا صلاح الكلبي في انتظاره. وسيطر عليهما بتخديرهما بسهم النفط.. إحدى الحيل التي تعلمها على يد العالم الشيخ زكي البتوكي. وأكملت مهمته أمه المتنكرة في شخصية «أحمد بن البني»، ومعلمه عمر العيّار.

وفي طريقه إلى المدينة المرصودة آوى إلى كهف ليستريح، ويتأمل المكان، فإذا هو في خضم عملية اختطاف الأميرة زينب أميرة المدينة المرصودة، فعمل على إنقاذها علها تكون سببا يسهل عليه دخول المدينة، واختراق الرصد المنصوب أمامها لكشف الغرباء، فيتكشف له مدى مايُدَبَّر على يد المقدم دليلة. فالأميرة اختُطفت بعلم زوج أمها قاسم، ليخلو له الحكم، ويرضى عنه ملك مملكة بحر الغزال الذي أراد الأميرة طوعا أو كرها. وكل منهما لعبت دليلة بأحلامه في السلطان أو الثراء. لذلك فوجئ السلطان قاسم بنجاة زينب، ولم يُرحِّب به، وإن تظاهر بغير ذلك. وكاد وزيره وقائد فرسانه للزيبق، ولكل دوافعه، فخدّرا الزيبق وصاحبه ووضعاهما في السجن، فإذا الفعل المساند للفعل البطولي يتم، وينقذهما «عمر العيار» في صورته الجديدة «الساحر الأفريقي»، الذي نال حب شعب المدينة المرصودة وإعجابه، ويهربهما خارج أسوار المدينة. ويقيمون في ضيافة صديقه الرئيس «سوهي» رئيس قبيلة البونت.

مرة أخرى يبدأ الفعل المضاد بخروج جيش المدينة المرصودة بقيادة الفارس باسم للبحث عنهما، فيقوم الفعل المساند: «الرئيس سوهي» بإخفائهما في بطن شجرة ضخمة، ويضلل رجال باسم، ومقتفي آثار الهاربَيْن، وتنجح الخطة. ويعاود الجند البحث ويعاود سوهي تضليلهم. فكان لابد من فعل جريء. أدرك الزيبق عقم الانتظار فتفتقت قريحته عن حيلة ماكرة، مؤداها أن يتظاهر الساحر الأفريقي «عمر العيار» بأنه كان يبحث عن الهاربَيْن، ويشعل النار للإعلان عن مكانه، ويرقص رقصة النصر، ويهدي الأسيرين للفارس باسم بشروط فرضها عليه. ولم يجد باسم بدا من الرضوخ. ويدخل الأسيران محاطين بالفرسان ولعنات الشعب الذي أفهمه الوزير أنهما خائنان. ويكون الفعل المساند بيد السلطانة زينب هذه المرة فتحسم الأمر، وتعيد إلى الأسيرين اعتبارهما، وتقيم المهرجانات ابتهاجا بنجاتهما. وتتكشف الحقائق، فالزيبق مازال يأسر السلطان المخلوع «قاسم» في مكان يعرفه. ويقبل إعادته للمحاكمة، ولكن دليلة تختطف قاسم من فوق المشنقة، وتنتقم لمحاكمته بإحراق جانب من المدينة، والهرب بقاسم مع رجالها في عملية خاطفة. ويفضل الزيبق السيطرة على الحريق على مطاردة الهاربين. وينجح في مهمته بتفجير منزلين عند جانبي بداية الحريق ونهايته، فيوقف امتداد النار إلى بيوت أخرى، ويترك صاحبه حسن بن الحصري ليساعد الفارس باسم في البحث عن السلطان المخلوع ورجال مونجو الذين اختطفوه. أما هو فيستأذن السلطانة لتحقيق هدفه في الوصول إلى الجزيرة والكهف فتأذن له.

وبمساعدة «سوهي» وصل إلى شاطئ الجزيرة، وهناك بدأ الفعل «الهدف». كانت كلمات معلمه الشيخ البتوكي قد استقرت في ذهنه، وأشارت إلى أن «الرَّصَد» ليس طلاسم سحر؛ بل علم. فمن أين يبدأ؟

النجاح حليف «الزيبق»

كان عليه أن يتحسس خطاه في المكان قبل أن يتقدم. يفكر ويفهم. وأدرك سر اللغز، الرَّصَد ليس إلا قضبانًا وسلاسل متصلة بأدوات ردع من سكاكين وأفاعٍ وأسود تضج، ونار تخرج وتنفث السموم.. تنطلق تحت ثقل معين. فإذا فصل هذه الدوائر فقد الرَّصَدُ آليته الميكانيكية المدمرة، وأصبح كتلة من الحديد البارد. ونجح الزيبق في خطوته الأولى، فظنت «دليلة» - التي كانت تقتفي أثره بعيونها - أن الأمر قد انتهى، وفك الزيبق الطلسم،

الرواية الحديثة والجذور الأسطورية

«ملاعيب علي الزيبق» لفاروق خورشيد

فأطلقت رجالها ورجال مونجو لأسره، وسرقة «صندوق التواجيه» من المغارة. لكنهم ماتوا جميعا تحت ضربات السيوف، وانفجار النار، ونفث السموم. وهربت دليلة ظنًا منها أنها تخلصت من الزيبق فيمن مات من الرجال. لكن الفعل البطولي كان حكيما هادئا. وواصل الزيبق تقدُّمه بعد أن فصل دوائر الحركة الميكانيكية المتتالية، ونجح في عزل القوى المحركة عن أسلحتها، فتكشَّف له المكان هادئا، والطريق إلى صندوق التواجيه ممهدًا آمنا، فمدّ يده وأخذه، وعاد بالصندوق «النفيلة» وبعض الهدايا النفيسة للسلطانة زينب والخليفة. وترك الكنوز لأهلها بعد أن زال خطر الرَّصَد.

ولم يتوقف الفعل المضاد أو ييأس، فكانت ضربته الأخيرة كاشفة برغم عنفها، لأنها جمعت أركان الخيانة في عمل واحد مشترك فكشفتهم، وهم: «المقدم دليلة، وملك بحر الغزال بجيشه، والسلطان المخلوع قاسم، والوزير المناور مروان». وكانت نيتهم مهاجمة المدينة المرصودة وخلع سلطانتها زينب، وإعادة السلطان المخلوع قاسم.. إلى آخر مايتمناه كل طرف من أطراف المؤامرة.

وكان الفعل البطولي في مستوى الأزمة وخطورتها: تنكر الزيبق في هيئة أحد الحراس بمساعدة الساحر الأفريقي «عمر العيّار»، ونجح في فك أسر حسن بن الحصري والفارس باسم، وأحاط جيشَ الحصار بقذائفه، وأسر بحيلته الزمرة المتآمرة. وبضربة واحدة أشعل النار في جيش الأعداء، وأنقذ المدينة المرصودة، وطهرها من الخونة، وأمّن الخلافة من الغدر، وحمل الصندوق والأسرى هدية إلى الخليفة. وانتهى الفعل البطولي للزيبق في هذه المرحلة.

. جدول يبين تطور الصراع بين الفعل البطولي والفعل المضاد ودور الفعل المساند لخدمة البطل.

الفعل البطولي	الفعل المضاد	الفعل المساند
١ـ «علي الزيبق» يقبل أن يحضر النفيلة «صندوق التواجيه».	تحرك المقدم صلاح الكلبي لقتله خوفا من نجاحه في مهمته، فأرسل إلى حسن بن الحصري وعلي بن البيطار لقتله عند بئر النجاة.	التدريب على المهارات القتالية العليا، وتلقي دروس علمية على يد العالم الشيخ زكي البتوكي وإمداده بوسائل وأدوات خاصة.
٢ـ ضرب حية الصحراء السامة بسيفه بعد أن لدغت الناقة، واضطراره إلى تكملة الرحلة مشيا على قدميه. ٣ـ عبور الأحراش والوصول إلى أبواب المدينة المرصودة.	انتظار حسن بن الحصري وعلي بن البيطار عند البئر لقتل الزيبق. ملاحقة حسن بن الحصري للزيبق بعد أن عفا عنه، لينتقم.	إبلاغ المقدم عثمان «فاطمة» أم الزيبق بتدبير الكلبي، وإسراعها متخفية في شخصية «أحمد بن البني» لمساعدته.
٤ـ الزيبق ينقذ حسن بن الحصري بعد أن وقع في مواجهة جيش المدينة المرصودة. ٥ـ الزيبق يخلص الأميرة، ويعيدها إلى مدينتها.	اكتشاف عصابة «مونجو» التي أسرت الأميرة زينب، ونيته اغتصابها وبيعها رقيقًا. مؤامرة قاسم والوزير مروان ـ وهما من أتباع دليلة ـ ضد الزيبق وحسن وسجنهما.	حسن بن الحصري ينحاز إلى الزيبق. إنقاذ عمر العيار الزيبق وحسن بعد تنكره في شخصية الساحر الأفريقي.
٦ـ هروب الزيبق وحسن إلى قبيلة البونت عند الرئيس «سوهي». ٧ـ قرار الزيبق تسليم نفسه بالاتفاق مع عمر العيار لكشف الحقيقة أمام السلطانة زينب. ٨ـ معرفة الحقيقة بكشف المؤامرة للسلطانة زينب، ومحاكمة قاسم. ٩ـ الزيبق يسيطر على الحريق.	ظهور دليلة متنكرة في شخصية «الدرويش» الصالح لقيادة المواجهة مع الزيبق من وراء ستار. محاولة الوزير مروان التشكيك في دور الزيبق وأهميته أمام السلطانة. جنود دليلة يخطفون السلطانَ المخلوع من منصة المحاكمة، ويحرقون المدينة.	إخفاء الرئيس سوهي للهاربين في قلب شجرة ضخمة وتضليل مقتفي الأثر من الجنود. خدعة «سوهي» للفارس باسم.
١٠ـ توجه الزيبق إلى الجزيرة وفك أول الطلاسم. ١١ـ الزيبق يفك كل خطوط الطلاسم ويصل إلى هدفه، ويأخذ صندوق التواجيه.	دليلة تقتفي أثره وتلاحقه مع مونجو ورجاله.	إرسال رجال الفارس باسم ومعهم حسن بن الحصري لاقتفاء أثر دليلة ورجال مونجو. قتل مونجو ورجاله في اندفاعة خاطئة. هروب دليلة ظنا منها أن الجميع ماتوا.
١٢ـ عودة الزيبق موفقا من مهمته	أسر باسم وحسن بن الحصري، ومحاصرة المدينة المرصودة بجيش ملك مملكة بحر الغزال وانضمام مروان إلى جيش الحصار مع دليلة وقاسم المخلوع.	تمكن الزيبق من تحرير باسم وحسن والسيطرة على ملك بحر الغزال ودليلة وقاسم ومروان بتخديرهم بأصابع المخدر.

الهوامش:

١ـ فلاديمير بروب ، مورفولوجيا الحكاية الخرافية، ٣١.
٢ـ يشير الأستاذ فاروق خورشيد إلى أحداث وقعت في زمن الملك مالك بن يعفر «ناشر النعم»، وفيها قصة الملك الحارث بن مضاض الجرهمي بأحداثها الدرامية المؤثرة، وماانتهى إليه الأمر بصحبة «إياد»، وإيصاله إلى مكة، ودخولهما ممرًا إلى سرب سحري مرعب فيه أنواع من الطلاسم والحيوانات والثعابين والسكاكين المخيفة، إلى أن وصل إلى مقابر آبائه وأجداده بنفائسها وكنوزها. كتاب التيجان، لوهب بن منبه، ص٢٠٩، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ـ صنعاء.
٣ـ فاروق خورشيد، ملاعيب علي الزيبق ٣١١، روايات الهلال، العدد ٤٩٥.
٤ـ المرجع السابق: ١٠٨/١٠٩.
٥ـ المرجع السابق٤١.

قيمة الشعر وأسرار الإعجاب



عبدالله بن سليم الرشيد

نقرأ الشعر فنعجب به، ونثني على قائله، ونرويّه ناشئتنا، ونعد حافظ الشعر نديما، يؤنس بقربه، ويُلتذّ بسمره.

فهل جال في خاطر المرء سؤال عن قيمة الشعر، وعن أسباب الإعجاب به؟!

لاشك في أن كثيراً من محبّيه ومتذوقيه قائلون عند قراءة هذا السؤال: لايضيرنا ألاّ يجيل هذا السؤال بأذهاننا، وإن جال في الأذهان فليس بضائرنا جهل الجواب.

وسيقُول قوم: سألتَ عن أمر أبين من عين الشمس، فالمرء يحبّ الشعر، لأنه يدفئ عواطفه الباردة، ويُخْصر أشجانه الملتهبة، وبين هذا وذاك يجد العَقل والفكر مُضْطَرَبا واسعا يملأ فراغه، ويثري معارفه.

قلت: إن قيمة الشعر أن يثير ويثري. فماذا يثير؟! وماذا يثري؟

إنه يثير العواطف، ويحرك الأشجان، ويثري التجارب الخاصة، ويزيد المعرفة بالنفس وبالإنسان وبالكون.

ولقد أدركت العرب قيمة الشعر، وبسط ذلك مؤرخو الأدب ودارسوه، ويكفي للتمثيل على هذه المكانة قول دعبل الخزاعي:

إني إذا قلت شعرا مات قائله
ومن يقال له، والشعر لم يمتِ

إن الشعر الجيد يبقى، يتردد في أفواه القرون، يسلمه الجيل إلى الجيل، وقد قال عمر - رضي الله عنه - لأبناء هرم بن سنان، لما ذكروا عطاياهم الجزيلة لزهير بن أبي سلمى: (ذهب ماأعطيتموه وبقي ما أعطاكم).

ومما يتصل بهذه الفكرة، أن يزيد بن مُفَرّغ لما قبض عليه عبيدالله بن زياد، وأركبه على حمار وسقاه المسهل، تأديبًا له على أهاجٍ نظمها من قبل، قال من قصيدة لامية:

يغسل الماء ما صنعتَ، وقولي
راسخ منك في العظام البوالي

وقد صدق، فهذا شعره راسخ إلى اليوم.

تلك (عجالة راكب) عن قيمة الشعر، ولكن من أين يأتي الإعجاب به؟

إن الشاعر في الغالب لايأتي بمعنى جديد، يخلقه خلقا، ولكنه يعبّر عن المشاعر المشتركة، فتجد فيه النفوس سلوانا، ورُبَّ امرئ يقرأ الشعر فيطرب له، وماذاك إلا لأنه قرأ معنى قد اعتمل في ذهنه من قبل، ولكنه لم يدر كيف يعبّر عنه، فجاء هذا الشعر ليملأ قالب المعنى.

وهذا أول أسرار الإعجاب، ومثاله أن الوالد الحنون مثلا يقرأ قول بدوي الجبل في حفيده:

يجور وبعضُ الجَوْر حلوٌ محبب
ولم أر قبل الطفل جورا محببا
ويغضب أحيانا ويرضى وحَسْبُنا
من الصفو أن يرضى علينا ويغضبا

يزف لنا الأعياد، عيدا إذا خطا
وعيدا إذا ناغى وعيدا إذا حبا

فيهتز له، ويقول: لم يَعْدُ هذا الشاعر مافي نفسي.

ورب رجل حُرِم الذرية، يقرأ قول «عمر أبو قوس»:

ولو كان لي طفل على الشيب واحد
لكان لنفسي في دُجى الخطب كوكبا
أرى فيه ريحاني ورَوْحي وراحتي
وبهجة أحلامي وعمري المخضّبا

فتبدر منه آهة حرّى، ثم لايلبث أن يحفظ هذا الشعر ويكثر من ترداده.

ورب رجل يقال له: تعال فانظر إلى ولدك يفعل كذا وكذا، فيتعايا عن القيام، ويودّ لو يجد شيئا يحجبه عن رؤية ولده على ما يكره، فيتمثل قول محمد حسن فقي:

ربما نعشق الستار على الأعـ
ين من هول ماوراء الستار

وقد يسمع الوالد المبتلى بعقوق ولده، قول بعضهم:

غذوتك مولودًا وعلْتُكَ يافعا
تُعَلُّ بما أُسدي إليك وتنهل
فلما بلغت السنّ والغاية التي
إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة
كأنك أنت المنعم المتفضل

فيجد فيها عزاءه، وتهز شعوره، فيظل يلهج بها أبدا.

وقد يولد الإعجاب بالشعر من سذاجته (والسذاجة معناها الشيء الخالص غير المشوب وغير المنقوش، معرّبة عن الفارسية، وأصلها: ساده، والعامة اليوم ينطقونها بفارسيّتها).

ومثال ذلك قول العباس بن الأحنف:

جارية أعجبها حسنها
ومثلها في الناس لم يخلقِ
خبّرتها أني محب لها
فانقلبت تهزأ من منطقي

والتفتت نحو فتاة لها
كالرشأ الوسنان في القُرْطَقِ
قالت لها: قولي لهذا الفتى
انظر إلى وجهك ثم اعشق

ومثله قول معروف الرصافي:

مَرَرْنَ وقد أقصرت خطوي تأدبا
وأجمعت أمري في محافظة الصبر
فطأطأن للتسليم منهن أرؤسا
عليها أكاليل ضفرن من الشعر
فألقيتُ كفي فوق صدري مسلما
وأطرقت نحو الأرض مُنْحَنِيَ الظهر
وأرسلت قلبي خلفهنّ مشيّعا
فراح ولم يرجع إلى حيث لا أدري

فهو يصف وصفا مجردا، لا غلو فيه ولا تكلف، فكأنه مصور، ينقل المشهد دون تزويق، غير أن خاتمته اللطيفة تجعله يعلق بالذهن. وأقرن بذلك قول القائل:

رأيت ظبيًا على كثيب
كأنه البدر قد تلالا
فقلت ما الاسم قال لولو
فقلت: لي لي فقال لا لا

ولاتعجل بالحكم بسخافة هذا الشعر، إذ إنك لاتستطيع إنكار أنه انتزع منك ابتسامة، وهذا ما أراده القائل.

وقد يكون من أسرار الإعجاب: تسلسل فكر القصيدة حتى تصل إلى فكرة طريفة تثير في النفس الحماسة أو العجب أو الدهشة، كقول خليل مطران:

شرِّدُوا أخيارها بحرًا وبرّا
واقتلوا أحرارها حرا فحرا
إنما الصالح يبقى صالحا
آخرَ الدهر ويبقى الشَّرُّ شرّا
كسِّروا الأقلام.. هل تكسيرها
يمنع الأيديَ أن تنقش صخرا
قطِّعوا الأيديَ.. هل تقطيعُها
يمنع الأعيُن أن تنظر شزرا
أطفِئوا الأعين.. هل إطفاؤها
يمنع الأنفاس أن تنفث جمرا
أخمِدوا الأنفاس.. هذا جهدكم
وبه منجاتنا منكم، فشكرا

ومثلها قول محمود درويش:

يوم كانت كلماتي تربة
كنت صديقا للسنابلْ
يوم كانت كلماتي غضبا
كنت صديقا للسلاسل
يوم كانت كلماتي حجرًا
كنت صديقا للجداول
يوم كانت كلماتي حنظلاً
كنت صديق المتفائل
حين صارت كلماتي عسلا
غطّى الذباب شفتيّ!

وقد نعجب بالشعر، لأنه يأتي في ألفاظ عذبة، تدل على خاتمتها، فيجد السامع أنه يردّد عجز البيت، قبل أن ينطق به المنشد، كقول إيليا أبي ماضي:

قلتُ السعادة في المنى فرَدَدْتني
وزعمتَ أن المرء آفته المنى
ورأيتُ في ظل الغنَى تمثالها
ورأيتَ أنتَ البؤس في ظل الغنِى
ما لي أقول بأنها قد تُقتنى
فتقول أنت بأنها لاتُقتنى
وأقول إن خُلقَتْ فقد خُلقَتْ لنا
فتقول إن خُلقَتْ فلم تُخلق لنا
وأقول إني مؤمن بوجودها
فتقول ما أحراك ألاّ تؤمنا
وأقول سِرٌّ سوف يُعلن في غد
فتقول لا سِرٌّ هناك ولا هُنا
يا صاحبي، هذا حوار باطل
لا أنت أدركت الصواب ولا أنا

وانظر في قول فاروق شوشة:

ذاكر أنت خطوتينْ
يوم كنا كطائرينْ
نقطع الدهر بالمنى
نلمس الفجر باليدَيْن
وأنا أنت، والهوى
قبلة بين عاشقين
إن تكن ذبتَ مرة
فأنا ذبت مرَّتين

ومن أسرار الإعجاب أيضا، أن يأتيَ الشاعر بتعليل طريف لايخطر في الذهن، ليرسّخ حُكْمًا حَكَمَهُ، أو رأيا رآه، كقول بعضهم:

من قاس جدواك يوما
بالسحب أخطأ مدحَكْ
فالسحب تعطي وتبكي
وأنت تعطي وتضحك

وقول الآخر:

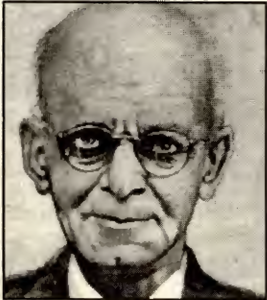
أُحبُّ مِنْ حُبِّكُم من كان يشبهكم
حتى لقد صرت أهوى الشمس والقمرا
أمرُّ بالحَجَرِ القاسي فألثُمه
لأن قلبك قاسٍ يشبه الحجرا

ومما أشار إليه القدماء من هذه الأسرار، ما سموه تأكيد المدح بما يشبه الذم، كقول أحمد عقيلان:

وها هنا الطائف، جيرانه
أم القرى والحرم الأطهر


محمد حسن فقي


خليل مطران


ايليا أبو ماضي

قيمة الشعر وأسرار الإعجاب

مافيه من عيب سوى أنه

تنقصه الفحشاء والمنكر

وأنا أضيف أيضا: أن تأكيد الإثبات بما يشبه النفي باب من أبواب جمال الشعر، كقول الحضراني:

عذلوني في محبتها

وهي في سمعي وفي بصري

لاتقولوا قلبها حجر

قلبها أقسى من الحجر

كما أن «الإيغال» يبسط سرًا من أسرار الإعجاب، والمراد به أن يأتي المعنى تاما، والوصف كاملا لانقص فيه، كقول أحدهم:

إن حظي كرمادٍ

فوق شوك نثروه

ثم قالوا لحفاةٍ

يوم ريح جمّعوه

فلم يكفه أن جعل حظه كالرماد، وكفى بذلك ضعفا وسوءا، حتى أضاف إليه تلك الصفات التي تجعل نيله أعزّ من بيض الأنوق.

وقد أشار الأصمعي إلى أن أشعر الناس: «من ينقضي كلامه قبل القافية، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى»، وهذا ضرب من ضروب الإيغال، كقول القائل هاجيا:

صار ينهى عن المعالي حقير

لايساوي ثيابه، وهو فيها

فجملة (وهو فيها) أفادت معنى جديدا، وصدق من قال: «لولا المبالغة والإيغال، لفهمت الشعرَ البغال».

ومن أسرار الإعجاب بالشعر تضمنه معنى طريفا، تقبل عليه النفس، وتهش له، كقول أبي الحسين الجزار:

لم لا أعشق الجزارة ما عشـ

تُ زمانا وأهجر الآدابا؟

وبها صارت الكلاب ترجّيـ

ني وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وكذلك قول ابن الرومي:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها

يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها، وإنها

لأوسع مما كان فيه وأرغد

إذا أبصر الدنيا استهل، كأنه

بما سوف يلقى من أذاها يهدد

فقد جاء ابن الرومي بهذه الفلسفة الطريفة، التي وجد لها من الواقع شواهد تعضدها، فكانت متضمنة معنى إنسانيا عاما، يعجب به كل من سمعه.

وما ألطف قول بعضهم:

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم

أنا الذي كنت في حمّائه سببا

قبّلته ولهيب النار في كبدي

فأثّرت فيه تلك النار فالتهبا

والمبالغة الطريفة في المعنى، باب من أبواب الإعجاب بالشعر، كقول القائل يمدح كِرامًا:

نصبوا بمدرجة الطريق قبابهم

يتقارعون على قِرَى الضيفان

ويكاد مُوقدهم يجود بنفسه

حُبَّ القِرَى حطبا على النيران

وقول البارودي لما فاض النيل:

ومازاد ماء النيل إلا لأنني

وقفت به أبكي فراق الحبائب

وقول الزبيري:

فهاكِ يا أُمتي روحا مدلّهةً

عصرتُها لخطاك الطهر قربانا

كأسا من الشعر، لو تُسقى الشموس بها

ترنّحت، ومشى التاريخ سكرانا

ومن أوسع أبواب الإعجاب بالشعر، تضمنه حكَما تثري التجارب الإنسانية، وكفى بتردادنا أبيَات المتنبي دليلاً على ذلك، كقوله:

وإذا ما خلا الجبان بأرض

طلب الطعن وحده والنزالا

وقوله:

ومن يك ذا فم مُرّ مريض

يجدْ مرًا به الماء الزلالا

وقول أبي تمام:

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا

هلكن ـ إذًا من جهلهنَّ ـ البهائم

وقول الحُطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لايذهب العرف بين الله والناس

وأبيات الحكمة كثيرة، يعيا دونها الحصر.

وقد نجد في الشعر حججا عقلية، تفتق الذهن، وتقوي العارضة، وخير مثال على ذلك قول المعري مُحاجّا النصارى:

عجبا للمسيح بين النصارى

وإلى أي والد نسبوه

أسلموه إلى اليهود وقالوا

إنهم بعد قتله صلبوه

ليت شعري وليتني كنت أدري

ساعة الصلب أين كان أبوه

فإذا كان راضيا بقضاهم

فاشكروهم لأجل ماعذبوه

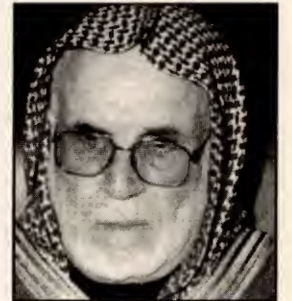
وإذا كان ساخطا بأذاهم

فاعبدوهم لأنهم غلبوه

وبعد:

فإن أهواء النفوس متشعبة، وليس ماذكرت من أسرار الإعجاب هو خاتمة المطاف في ذلك، ولكن ثمة مواطن اتفاق تجرّئ على بسط ماذكرت، وهذه الأسباب قد تكون مشتركة مع فنون الأدب الأخرى، ويمكن للقارئ الهاوي المولع بالأدب أن يطبّق ماذكرت على فن آخر.

غير أن الشعر يبقى هو الفن الأول، الأكثر علوقًا بالأذهان، لتميّزه إيقاعا وأداءً، والله المستعان.



أحمد فرج عقيلان

تجربتي مع الآثار في الجزائر

د. محمد الطيب عقاب

إن الحديث عن التجارب الشخصية، كمن يحاول أن يسبح عكس التيار، ذلك أن الذي يريد الخوض في ذلك يرى كل شيء عاشه أو مارسه مُهمًّا، مهما كان حجمه أو شأنه. ومع ذلك فسأحاول إبراز بعض المعالم في تجربتي التي عشتها في مجالَيْ البحث والتدريس في عالم الآثار الإسلامية في الجزائر.

فالمدرسة الآثارية في الجزائر قديمة ـ حديثة، فأما قديمة فلكونها خضعت للباحثين الهواة من الفرنسيين، الذين سخَّرت لهم السلطات الاستعمارية جُل الإمكانات المادية والبشرية، ونعني بالبشرية مايحتاج إليه الباحث في الآثار من رسام ومصور وكيميائي ومهندس. إضافة إلى كل ذلك: الوسائل التي كان يمتلكها الجهاز العسكري من المصورّات الدقيقة والصور الجوية، دون أن نغفل دور الطائرات في القيام بالمسح الآثاري الشامل. وكل هذا من أجل الوصول إلى «غرض في نفس يعقوب»، وقد ساهمت هذه الوسائل كلها في دفع الباحثين إلى فرض آراء غير نزيهة، تخدم ـ في الدرجة الأولى ـ، الغاية من الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر. وهذا ما أدى بالمثقفين الأوربيين لأن يقتنعوا بما قُدِّم لهم من طرف أولئك الباحثين من بني جلدتهم، حينما قدموا عدة نظريات، منها أن فرنسا ليست مُسْتَعْمِرَة، بل هي ناشرة للحضارة الحديثة في غير أرضها، وأنها صاحبة الحضارة التي وُجِدَتْ في هذه البلدان ذات الجذورالأوربية، وغير ذلك من المحاولات المموهة المدعومة ببعض التأثيرات البيزنطية.

وأما حديثة، فلأن أبناء الجزائر المستقلة أخذوا على عاتقهم تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة من طرف الباحثين الأوربيين، الذين وجدوا المجال مفتوحا وواسعا أمامهم.

ولكن أبناء الجزائر وجدوا أنفسهم من جهة أخرى في مفترق الطرق، فمعظمهم تَكَوَّنوا في المدارس الغربية، وبالتالي صعب عليهم إبراز شخصيتهم العلمية، لأنهم وقعوا تحت الضغط المشبوه، ثم إنهم في بداية الطريق، ولم يمتلكوا ناصية البحث، إضافة إلى ذلك، فالوسائل في الوقت الراهن محدودة، وليست بالحجم الذي كان للباحثين الفرنسيين.

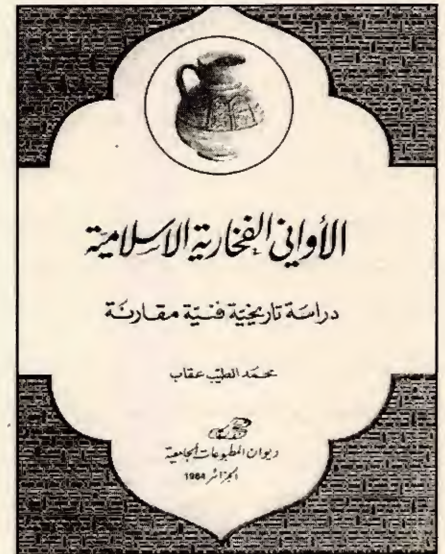
من هنا سأبدأ تجربتي في مجال علم الآثار في الجزائر الإسلامية، ولا أبالغ إذا قلت إنني لست من معدن الباحثين المتأثرين بمفاهيم الباحثين الأوربيين، لسبب بسيط هو أني لم أتكوّن في أية مدرسة غير المدرسة الجزائرية، القائمة على التجربة والبحث وليس غيرهما. فتجربتي في هذا العلم تجربة المدرّس والباحث معا. ففي مجال التدريس كان علي أولا أن أتنقل بين قاعات الدرس والمتحف والميدان الأثري، شارحا ومحللاً ومبرزًا خبايا الآثار ومعانيها. وأثناء العرض النظريّ الذي يشمل مع جهدي جهد الطلبة أيضا، كنت أقدم لهم الدرس في شكل عروض مختلفة، منها عرض بالشرائح المصورة (السلايدات) والقيام بالرسم، وإبراز دقائق الآثار وجزئياتها ومعالمها، مستعرضا في ذلك الناحية التاريخية للأثر، ومدى انتشاره في بعض المناطق، وكيف وصل في النهاية إلى منطقة ما، وهل هو محليّ، أو جاء بفعل التواصل الحضاري بين الشعوب.

وهذا العمل بين جدران القاعة غير كافٍ إطلاقًا، لذا كثيرًا ما كنت انتقل إلى المتاحف، وإن كانت هذه بعيدة نسبيا من موقع الدراسة. وفي المتحف أقف مع الطلبة شارحا لهم تفاصيل جزئيات الأثر ومكوناته، وقبل ذلك أقدم لهم كيفية دراسته والقيام برسمه يدويا، مع الإشارة إلى عدم استعمال آلة التصوير، حتى ولو سمح لهم بذلك، حفاظا على الأثر من أشعة التصوير المؤثرة. ثم بعد ذلك أقدم لهم بعض الآثار التي قدمت من طرف الباحثين الفرنسيين، وإبداء الجانب الذي أصابوا فيه، والجانب الذي

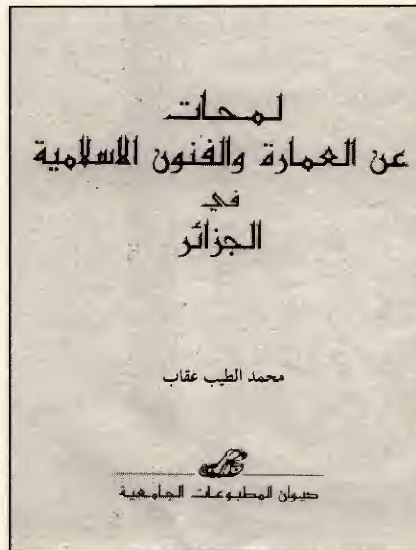
أخطؤوا فيه، بعد استعراض مختلف الأصول للأثر ومدى الانتشار في بعض الأقاليم إن أمكن. وأخيرًا أطالب الطلبة بتلخيص ماقدمته لهم ليكون عبارة عن شبه امتحان لهم، لأبلوهم إن كانوا فعلا قد استوعبوا ماقُدِّمَ لهم.

ولكن الجانب الأهم في هذا المجال هو الجانب الميداني التطبيقي، الذي أشتهر فيه جيدا مع الطلبة، لأني بعد تقديم طرق العمل وتوجيههم أكلفهم بعدة أعمال، سواء في شكل جماعات أو مثنى أو فرادى. فهناك جماعات تقوم بالرسم، وأخرى بالوصف، وتلك بالتحليل والمقارنة، ثم تُكَوّن جماعة لتنسيق أعمالهم في شكل بحث معمق وشامل للتصحيح من طرف الأساتذة المرافقين لهم، لمنح علامة تقويمية تحسب لهم في المعدل العام للسنة الجامعية.

وكثيرا ماأناقش مع الطلبة آراء بعض الباحثين، مثل جحدهم أصول العناصر التي كان يجب عليهم أن ينسبوها إلى أهلها، فهذا جورج مارسيه مثلا - المختص الفرنسي في دراسة آثار الجزائر الإسلامية، إبّان الحقبة



الفرنسية - يُرجع المراوح النخيلية المحفورة بالأخص على بواطن حوامل أو مدامك الأفاريز والسقوف، إلى الفنان الصانع البيزنطي، ونسي هذا الباحث أن الآثار البيزنطية - أولا - قد تأثرت كثيرا بالفن الكلاسيكي الإغريقي، ومن ثمّ فإن المراوح النخيلية التي زعمها ماهي في الأصل إلاّ تحوير عن ورقة الأقنثة (شوكة اليهود) المعروفة في الفن الإغريقي، وأن البيزنطيين - ثانيا - لم يعرفوا النخيل إلا من طريق المسلمين في الأندلس. كما زعم غيره أن أصول المسكن في شمال أفريقيا ينتمي إلى منطقة حوض البحر المتوسط، ونسوا أيضا أن هذا النموذج هو صورة واسعة الانتشار في كامل الحضارات القديمة، خاصة في منطقة الهلال الخصيب، ولم يحاولوا أن ينوهوا بالتكيف الذي انسجم مع روح الدين الإسلامي السمحة، وإذا كان الصحن هو السمة المشتركة أو القاسم المشترك في العمارة القديمة، إلا أن توزيع المرافق الحيوية والغرف لم يكن موحدا إطلاقا، كما لم تكن لها الوظائف الاجتماعية نفسها. فالغرف - مثلا -



عند غير المسلمين في العصور القديمة مفتوحة ومتصلة فيما بينها، بينما هي عند المسلمين قاطبة ليست كذلك، بل هي خاصة، وإن وجد مرفق آخر بجانبها فهو لصاحب الغرفة دون غيره. والمجال الذي يشترك فيه الجميع هو الصحن ليس غير. فهو عند المسلمين الرئة التي يتنفس بها المنزل، وهو كذلك تعويض وبديل للعالم الخارجي الذي افتقدته المرأة، لأنها دائمة المكوث فيه، في حين أن المرأة في العالم المسيحي طليقة غير مقيدة.

مثل هذه الفوارق التي لم يشر إليها الباحثون، ربما عمدا أو جهلا بروح المجتمع الإسلامي، ولا أظن ذلك، كنت أبينها لطلابي، كما أبين لهم بعض العناصر المعمارية المسيحية في العمارة الإسلامية، وبخاصة في العهد العثماني، وما أكثرها، وبخاصة في مساجد تونس، نتيجة وقوع بعض الصناع المسيحيين أسرى لدى المسلمين، فاستغلوهم بحسب اختصاصهم، أو استقدموهم من أجل ذلك لتخليد مآثرهم العمرانية. ولذلك نجد كثيرا من المنشآت تحمل أسماء أصحابها السياسيين، وليس أسماء المهندسين إلا قليلا.

وإذا كانت بعض المعالم أثرية بارزة، تُقَدَّم للطلبة على أساس أنها لاتحتاج إلى جهد كبير لاستكشافها، فهناك بعض المآثر لايمكن الوقوف عندها إلا بعد اطلاع واسع على الكتب الأثرية، أو الرحلات إلى مختلف المناطق والبلاد البعيدة، فمثلا عرفت الجزائر بعض التأثيرات الوافدة من الأندلس ، نتيجة نشأة أحد أمراء الدولة المرابطية فيها، وحينما تولى الحكم اضطر إلى استقدام من ينجز له مثل تلك الزخرفة المعروفة بالأندلس، وهي زخرفة التوريق المخرزة (المشقوقة)، حتى لتبدو للناظر أنها قريبة من الطبيعة، واستمرت هذه

تجربتي مع الآثار في الجزائر

الزخرفة إلى عهد المرينيين بالمغرب والزيانيين بتلمسان، مع بعض التجويد والتدقيق.

وقد جرنا الحديث عن تقديم المفاهيم المناسبة لكل فريق، إلى أن أغفل الإشارة إلى تجربتي في الحفريات. والواقع أن تجربتي في هذا الشأن كانت محدودة، لأسباب كثيرة، منها: الأعمال المزدحمة عليّ من التدريس في الليسانس والماجستير، والمسؤوليات التربوية والإدارية، مما حال دون توسيع دائرة البحث في الحفرية. لذلك كان إسهامي فيها ضمن ثلاثة مواسم فقط وإن كانت متتالية، وأعني بها حفرية المنصورة بتلمسان. هذه الحفرية شملت موقعًا محددًا داخل المركب الكبير الذي بناه المرينيون أثناء حملاتهم المتكررة على مدينة تلمسان. وقد توصلنا مع بعض الزملاء من الأساتذة والطلبة إلى كشف موقع غير واضح، فبعضنا يراه قُصَيْرًا (دويرة) لأحد سلاطين المرينيين. ولكني شخصيا أرى غير ذلك، فهو حسب العناصر التي سأذكرها، يمكن أن يكون حماما خاصا بالأمير، اعتمادا على ما يلي:

المدخل غير واضح إلا من أحد أجزاء الموقع وهو في الوسط. وكذلك وجود مرتفع معتبر عن أرضية الصحن، وهو يحتوي على عدة قنوات صغيرة جدا. زيادة على ذلك عثرنا على عمود واحد من الرخام الأبيض، ربما كان لتثبيت البكرة لرفع المياه من البئر، مثلما هو معتاد في هذه المنطقة. ولكن هناك مايجعلنا نتردد في هذا الاحتمال،وهو وجود كمية معتبرة من التصاوير الجدرانية التي ربما لاتقاوم بخار مياه الحمام، وإن كانت أرضية هذه الزخرفة من الملاط الصلد، وكذلك بلطت أسافل الجدران بالمربعات الخزفية (الزليج المغربي) مثل الأندلس المبرنقة.

وهذه التجربة القصيرة سمحت لي بتوجيه الطلبة في مجال الحفرية من عدة أوجه، كإعداد ملف علمي حول الموقع قبل البدء في الحفرية، من جمع المعلومات وتحضير مصورات وتصميمات ومساقط وغيرها، وعدم التسرع في الحفر أثناء تغير الطبقية، والمحافظة على الأثر في مكانة وعدم رفعه قبل أن يُصَوَّر ويُرسم، ويُحدد موقعه من المربع الذي وُجِد فيه، وينطبق هذا أيضا على السور المعثور عليه، لتحديد تقنية بنائه وأحجام حجارته وآجُرِّه وسُمك ملاطه.

وهذه الإرشادات، وغيرها مما لم يتذكرها الطلبة جعلتهم لايرتبطون بها إلا بعد جهد جهيد ودورات عديدة. ومهما كان الأمر فعالم الآثار يتطلب وقتا طويلاً وصبرا جميلا للتكيف معه.

ومن أسباب قصر تجربتي في الحفريات الأثرية انشغالي الكثير بالبحوث على المستويين الإقليمي والدولي، ففي إطار اختصاصي الضيق وهو المسكن الجزائري الأصيل، وضمن هذا الموضوع شاركت في عدة ملتقيات عربية وأوربية، كان أهمها المؤتمر العاشر للآثاريين العرب الذي كان موضوعه المسكن في الوطن العربي. وكان بحثي بالطبع عن المسكن الجزائري، وبعد الانتهاء من العرض، اعترض البعض حول بعض المصطلحات التي بدت لهم غريبة، كالسقيفة في البيت، حيث يرى البعض أن الأحسن تسميتها بالدهليز، ولكني أقنعتهم بأنه مصطلح عربي صميم، وحادثة سقيفة بني ساعدة مشهورة في التاريخ الإسلامي، كما ناقشني آخرون حول إرجاع التيجان إلى الإغريق الذين كانوا سباقين إلى الابتكار. ورغم أني مع هذا الرأي، لكني ذَكَّرتهم بأن المصريين هم الأولون في ذلك، وإن كان الاختلاف بينهما في الزخرفة فقط، وبعض التيجان التي تبدو لنا اليوم محلية، إلا أن من يمعن النظر فيها، وفي شكلها يضطر إلى إرجاعها إلى ماقبل الإغريق حتما.

وهناك بعض المصطلحات استخرجتها من بعض المصادر التاريخية، وهي مرادفة لبعض المصطلحات المعروفة كمصطلح «اللقى» - بكسر اللام - المرادف للمونة والملاط، وعبارة «الروشن» التي لانجد لها أثرا في قواميس العربية إلا في لهجات بعض البلاد، وهو مبنى بارز من الجدار موجود في بعض البيوت القديمة في بعض البلدان العربية مثل المملكة العربية السعودية، ويشبه إلى حد ما المشربية في مصر بالأخص. كما لدينا في الجزائر مصطلح يبدو أنه تاريخي، وهو المصرية، وهو مكان أمام غرفة صغيرة في أحد أركان السقيفة وبجانب صدرها بالذات، ترقص عليه الراقصة.

هذه ملامح لتجربتي في عالم الآثار الجزائرية على وجه الخصوص، ومساهمتي المتواضعة طوال أكثر من عشرين سنة بين الدراسة والبحث، وأكثر من عشر سنوات من التدريس، أردت أن أقدمها للتعريف بأن هناك في الجزائر الحديثة من يهتم بعلم حديث كان مقصورا على الغربيين. وأملي أن أكون قد وفقت في عرض بعض هذه الملامح.

يد الله مع الجماعة

د. محمد بن سعد الشويعر



الإسلام يدعو إلى التماسك والاجتماع، وينبذ الفرقة والتشاحن. يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «إن يد الله مع الجماعة، ومن شذّ شذّ في النار». ذلك أن في الجماعة قوة للأمة المسلمة، ولاتكون الجماعة إلا تحت ولاية من يقوم بشؤونهم، ويرعى مصالحهم، وقد أمر الله بطاعة ولي الأمر، والسمع له إلا أن يكون في معصية الله، وعليه برهان قاطع. «اسمعوا وأطيعوا وإن تأمَّرَ عليكم عبد حبشيّ».

ولأهمية الجماعة في البيئة الإسلامية، نرى دين الإسلام يركز على أهميتها في الصلاة، وهي عبادة مع الله: بين العبد وخالقه. فيحث على الجماعة، وأن ينقادوا مع الإمام. يقول صلى الله عليه وسلم: «إنما جُعِلَ الإمام ليؤتم به، فإذا كَبَّرَ فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً» وفي رواية: «فلا تختلفوا عليه» رواه البخاري ومسلم وأبوداود والنَّسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والصلاة توطن النفوس عمليًا على مايجب أن تنقاد فيه مع قياداتها، استسلامًا وتنفيذًا. وتعويد الأطفال عليها منذ حداثة أعمارهم، تُنَمِّي فيهم الولاء والطاعة، عندما يكونون شبابًا، وتحبب إليهم ذلك عند سن التكليف، مع الحرص على فهم ماتنطوي عليه من خيرات ومصالح.

فالصلاة والمحافظة عليها، والانقياد مع الإمام بأعمالها مما يؤصل الطاعة والانقياد لله أولاً، ثم لرسوله صلى الله عليه وسلم، ثم لولاة الأمر، في أمور الدين والدنيا. ألم يقل سبحانه في نداء للفئة المؤمنة: ﴿ياأيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (النساء:٥٩)، فقرن الله طاعته وطاعة رسوله بطاعة ولي الأمر.

وواجب العلماء النصح لولاة الأمر، والدعوة لهم بسداد القول والعمل، حيث روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قيل لمن يارسول الله قال: لله ولرسوله، ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم». والنصيحة لاتكون إلا بالرفق واللين، وتَلَمُّسِ الألفاظ المناسبة والوقت المناسب، وإلا تحولت إلى فضيحة، يترتب عليها بذور شرّ، تؤذن بفرقة الجماعة.

وقد شدّدت تعاليم الإسلام في الخروج على ولي الأمر المسلم، وشق عصا الجماعة. روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من جاءكم وأمركم بينكم جميع، يريد تفريق جماعتكم فاضربوا عنقه كائنًا من كان».

وقد عرف علماء الإسلام رحمهم الله مكانة ولي الأمر، وأهمية السمع والطاعة له، فهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، امتُحِنَ بالقول بخلق القرآن، عندما تبنَّى المأمون ثم المعتصم القول بخلق القرآن الذي تقول به المعتزلة. وسُجن وضُرب حتى انخلع كتفه، ومع ذلك يحرص على طاعة ولي الأمر، وينهى عن فرقة الجماعة أو الإساءة إليه، ويقول: لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها لوليّ الأمر. والإمام ابن تيمية رحمه الله رغم ماحصل له من إيذاء وسجن في الشام ومصر، كان ينصح ولي الأمر في السر، ويدعو له، لأنهما وغيرهما من علماء الإسلام يدركون مكانة السمع والطاعة لولي الأمر، ويعرفون مايجب في أسلوب النصح ومايعطي من ثمرة، تمنع الفتنة، وتحقق المصالح.

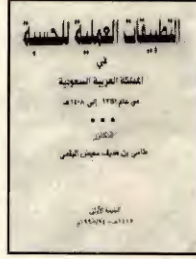
لذا فإن الذي يجب أن يدركه الشباب خاصة، وغيرهم عامة، أن لزوم الجماعة في البيئة الإسلامية جزء من عقيدة المسلم، التي يجب أن تؤصل في النفوس، حتى لو بدا لهم أن القيادة بدر منها مايكرهه المرء، مما يحرص أعداء الأمة على تجسيمه، سواء كان له أساس أو أمر اختُلِقَ لهدف، مما يُقصَدُ من ورائه تفريق الكلمة، وإذكاء النزاعات، وإفساد المجتمع. فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية».

ودورنا أن نتأدب بأدبه صلى الله عليه وسلم، ونتأسى بأعماله، حيث نهى أن يتحدث إليه أحد في أصحابه حتى يخرج إليه، وقلبه سليم، ونفسه صافية، دون حقد أو ضغينة.

أما أعداء الأمة الإسلامية، فهم يريدون لقلوب المسلمين أن تحمل الضغينة على العلماء، وتتجسم البغضاء بعضهم على بعض، حتى تُشق عصا الطاعة على ولاة الأمر، وبذا يتلذذون بفساد المجتمع الإسلامي ليبثوا الفتنة في أرجائه.. ويسهل عليهم - حينئذ - تحقيق مآربهم في البيئة الإسلامية. وإن السبيل الذي يفسد على الأعداء عملهم، هو تحصّن شباب الأمة بالعلم الشرعي، وإدراكهم مابيته العدو ضدهم، لكي يفسد عليهم دينهم، ويبعدهم من تعاليمه، بالفرقة والتنازع.

العنوان: التطبيقات العمليّة للحسبة في المملكة العربية السعودية
المؤلف: د. طامي بن هديف معيض البقمي
الناشر: مطابع الفرزدق التجارية ـ الرياض، ط(١)، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م (٥٥١ص)


د. طامي البقمي


التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية

نال صاحب هذا الكتاب درجة الدكتوراه من كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض. ويبدو أن كثيرًا من طلبة هذه الجامعة اتجهوا إلى إعادة نشر التراث الفكري الإسلامي، وهم يواصلون البحث والتخصص في دراساتهم العليا.

ونظام الحسبة في الإسلام أحد هذه الفروع التخصصية التي قام بها الباحث طامي البقمي، الذي يُعرّف الحسبة ـ أو الاحتساب ـ بأنها كل عمل صالح يقوم به صاحبه ابتغاء وجه الله، مما يجعل النفس الإنسانية تظل على فطرتها نقية، وعلى جبلّتها طاهرة. كما يُعرّف الحسبة بأنها نظام إسلامي يستوجب مراعاة حقوق الله وحقوق العباد، والحقوق المشتركة بينهما. ولذلك فإن نظام الحسبة يُعدّ إحدى الولايات الإسلامية التي تقوم على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتالي هو أساس كل ولاية دينية.

إن موضوع الحسبة لم يكن مُغْفَلاً من الباحثين الذين تناولوه، بدراسات مستفيضة، من مختلف جوانبه النظرية والتطبيقية، ولكن الباحث ـ كما يقول ـ استكمل أوجه نقصه، وبخاصة فيما انتهى إليه ذلك النظام في المملكة العربية السعودية، بدءًا بعام ١٣٥١هـ، وانتهاء بعام ١٤٠٨هـ.

ولقد قام منهج الباحث في بحثه على اتجاهين: تاريخي ومقارن. إذ تتبع تطور الأنظمة والمؤسسات الحكومية ـ بعد توحيد المملكة ـ وهي تمارس أعمال الاحتساب، ثم بيّن ماطرأ عليه من تطور، من خلال التطبيقات المعاصرة، التي لاتستقيم إلا بالأسلوب أو المنهج المقارن الذي يقوم على الوفاق بين النظم التراثية، والنظم المعاصرة.

والكتاب، بفصله التمهيدي وأبوابه الأربعة، جمع سائر جوانب موضوع الحسبة، وسَرْدُنا لمحاورها الأساسية وأبعادها يمنح القارئ الصورة الكاملة لمادة هذا البحث.

تناول الباحث في فصله التمهيدي تعريف الحسبة، وحكمها ومشروعيتها، ونشأتها، وصلتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والفرق بين المحتسب المتولي والمتطوع، وعلاقة الحسبة بغيرها من الولايات، وبخاصة ولايتي: القضاء والمظالم. والحسبة منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، وأهميتها للمجتمعات الإسلامية، والحسبة والنظم الوضعية المشابهة لها.

ثم تناول الباحث الوضع في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وفي ظل الدعوة السلفية. والاحتساب بالقوة، والاحتساب خلال الدولة السعودية الثالثة في كل من إقليمي: نجد والحجاز.

أما الأبواب الأربعة؛ فقد تناول في الأول: هيئة الأمر بالمعروف ودورها في مجال الاحتساب، وذلك بالحديث عن نشأة الهيئة وتشكيلها وأطوارها المختلفة، وبأزمنتها الثلاثة: (١٣٥١هـ ـ ١٣٧٣هـ، ١٣٧٣هـ ـ ١٣٩٥، ١٣٩٥هـ ـ ١٤٠٨هـ). وشهدت المملكة في تلك الأزمنة نموًا اقتصاديًا، وتطورًا إداريًا، ثم دُمجت هيئتا نجد والحجاز في هيئة واحدة أُطلق عليها: «الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

ثم تناول الباحث اختصاصات الهيئة في الأطوار السابقة، وماكانت عليه قبل النظام الموحد، وفي ظله، والسلطات التي منحها النظام للهيئة، ونشاط الهيئة في مجال الاحتساب العملي في ماضيها وحاضرها، ومجال الاحتساب في: العقيدة، والعبادات، والآداب العامة.

وبحث المؤلف في الباب الثاني: الاحتساب في مجال الدعوة والدعاة؛ وذلك بالكلام عن صفات الداعية المحتسب، وجهود المملكة في مجال الدعوة، وهي جهود كثيرة، تتجلى في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، ورابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، والرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ثم جهود وزارتي الحج والأوقاف، وأجهزة أخرى تسهم في أعمال الدعوة بجانب عملها الأساس، ثم الاحتساب في نطاق المساجد، وتعيين الأئمة والمؤذنين والوعاظ والمرشدين، ودورهم في الاحتساب.

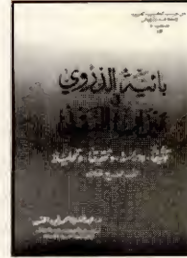
وتناول الباحث في بابه الثالث: التطبيق العملي للحسبة في نطاق حماية المجتمع؛ وذلك من حيث الرقابة على الموظفين، ومن خلال هيئة الرقابة والتحقيق، وهيئة التأديب، ثم النظام في مجال التطبيق بالنسبة لديوان المراقبة العامة، والمباحث الإدارية، وديوان المظالم.

أما عن مكافحة الغش التجاري؛ فقد تمّ من طريق مراقبة الأسواق، والمقاييس والموازين والمكاييل. وأخيرًا جاء الباب الرابع يحمل فكرة التطبيق العملي للحسبة في مجال أمن المجتمع وسلامته الذي اشتمل على كل مايتعلق بالمرور وحماية الطرق، ومكافحة التزييف والتزوير، والرشوة والمخدرات.

وإذا عرفنا أن تلك المحاور الأساسية قد رافقها شرح وتحليل مقرونين بالأدلة الموثقة بالنصوص الدينية، والمراسيم الإدارية الوضعية، فإن الكتاب قد فاض بمعلوماته عن الحسبة، ولهذا فلابد للمؤلف أن ينهي بحثه بشيء من النتائج القيمة، وبالجديد الذي يضيفه في النطاق العلمي. منها أن البحث تناول النظم والقرارات كافة التي صدرت للأجهزة

والهيئات التي تمارس أعمال الاحتساب. وكان الباحث حريصًا على إبراز مدى التوافق بين تلك النظم والقرارات مع الشريعة الإسلامية، ومبادئ الدين الحنيف، ومتابعة مراحل التنفيذ والتطبيق العملي، فضلاً عن إيضاح أساليب التطور، والإدارة الحديثة، وما كان لها من دواعٍ في توزيع اختصاصات المحتسب على أكثر من جهة.

العنوان: بائية الذَّرَوي في ميزان النقد
المؤلف: د. عبدالله بن محمد أبو داهش
الناشر: دار العلم، جدة. ط (١)، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. (٩٥ص).



صاحب هذه القصيدة البائية هو: شجاع الدين القاسم بن علي بن محمد بن غانم بن ذروة.. لم تحدد المصادر تاريخ ولادته، ولكنها تشير إلى أنه عاش إلى نهاية القرن السابع الهجري. وقد نقل لنا محقق هذه القصيدة ومحللها الدكتور عبدالله بن محمد أبو داهش الكثير مما قيل عن صاحبها، وأبرزه ماذكره محمد بن أحمد العقيلي، بأنه أحد أمراء القطاعيات في المخلاف السليماني في عهد الدولة الرسولية التي كان ملكها المظفر الرسولي. والقاسم بن علي أنبه أولئك الأمراء ذكرًا، وأقواهم شخصية.. وزيادة على مايتحلى به من شجاعة وإقدام وكرم، كان أديبًا متضلعًا، وشاعرًا متقنًا. ويبدو أن طموحه دفعه إلى الثورة على الدولة الرسولية في المخلاف السليماني أكثر من مرة، فطرد عمالها من (حرض) و(بيش). فبعث المظفر الرسولي الإمدادات، واستعاد سيطرتها ونفوذها. كما يبدو أنه ضاق ذرعًا بطموحه وتتابع ثوراته، بعد تعدد العفو عنه.. فألقى القبض عليه، وأودعه سجن (تعز) أمدًا طويلاً. وفي السجن أنشأ قصيدته البائية المشهورة هذه.

ولقد كان موطن الذروي حوض وادي صبيا. الذي يورد ذكره مرارًا في قصيدته التي بلغت ثمانية وخمسين بيتًا. ونجد القصيدة مطبوعة في كتاب «التاريخ الأدبي لمنطقة جازان» للعقيلي. وقد اعتمد عليها المحقق أبو داهش، فضلاً عن مخطوطتين هما: المخطوطة التي توجد ضمن مخطوط «مطلع البدور ومجمع البحور» لأحمد بن صالح بن أبي الرجال (١٠٢٩ - ١٠٩٢هـ)، والمخطوطة التي توجد ضمن مخطوط «تحفة القارئ والسامع في اختصار اللامع» لعبدالله بن علي العمودي.

ولقد استطاع الذروي أن يعبر عن محنته وتجربته مع السجن والقهر، وكَبْت العنفوان، وأن يترجم شتى المشاعر والأحاسيس التي تضافرت في أعماق وجدانه. عبّر عن مشاعره الذاتية، ونقل حسّه بالمكان والأحبة وغيرهم، ومظاهر الطبيعة من نبات وطيور وأنواء، وماتمخض عن ذلك كله من حب وشوق وحنين، أو حزن ويأس وأنين. وقد امتد به الحب ليشمل بقاعًا أخرى نائية عن وطنه وبلده وعشيرته، إذ امتد لبلاد الشام وأحبته فيها.

ومن هنا جاءت القصيدة جامعة بين المشاعر الذاتية الخاصة، والمشاعر الجماعية العامة رغم تجربة سجنه. فنراه متأرجحًا بين حالين: تارة يبدو عاشقًا محبًا صبًا مرهف الأحاسيس، فتعزف مشاعره على إيقاع الحنين والاشتياق لوطنه ومسقط رأسه، وتجمع أهله وعشيرته.. فنلمح في مفرداته الشعرية طابع الحزن والكآبة واليأس والاضطراب. وتارة أخرى تعظم في نفسه مشاعر الإباء والقوة والأمل، والافتخار بذاته والآخرين ممن يوجّه خطابه الشعري إليهم.

على أن النظرة الحزينة المتشائمة هي التي تسود عالمه الشعري في هذه القصيدة، وإن تماوجت لنا بحور نفسه، وتأرجحت بين مد وجزر، ولكنه أخيرًا لايقنط من رحمة الله. فالله وحده هو المفرّج، المجلي الكرب.

ومن القصيدة قوله:

عجبًا للدهر ماذا سنّه
ولأحداث الليالي عجبا
ماطلبت السهل إلا صعبا
أو طلبت السلم إلا حربا
إخوتي بالشام بل سادتي
وأعز الناس أمًا وأبا
ومساعير الوغى من هاشم
وبني الحرب إذا ضاق القبا
لاتناسونا وإن طال المدى
كم نوى، بعد بعاد، قربا
فإذا ريح جنوب جنبت
فاسألوها كيف حال الغربا
ربّ صدع كان أعيا شعبه
أدركته رحمة فانشعبا
كم سرور بعد يأس قد أتى
وزمان بعد مَحْلٍ أعشبا

وإن مثل هذا الشعر الصادر عن تجربة صادقة، ، ومعاناة قاهرة.. لينْفي عن الجزيرة العربية تهمة انحطاط شعرها في تلك الحقبة التاريخية.

ولايعدو الحقيقة الدكتور أبو داهش، محقق هذه البائية، حين وجد أن هذه الأبيات تعد شاهدًا على العصر الذي قيلت فيه، سواء في مضمونه السياسي أم الأدبي. ولعل من أرّخ للأدب في بلادنا يفيد من مثل هذا النتاج الأدبي، ويسعى في سَدِّ النقص الذي وقع فيه المنهج التاريخي، المقوّم لهذا الأدب، وهو عند ذلك لن يعدم وفرة هذا النتاج، ولاجودة تعبيره، وقيمته الفنية.

العنوان: آثار تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة
المؤلف: د. محمد بن عبدالله الزاحم
الناشر: دار المنار، القاهرة، الطبعة (٢)، ١٤١٢هـ (٢١٤ص).



تلجأ غالبية دور النشر إلى التعريف بكتبها المطبوعة، باختيار نص من الكتاب أو مقدمته، لوضعه في ظهر الكتاب، بحيث يكون معبراً عن جوهر فكر الكاتب وكتابه. وهذا ماقرأناه في ظهر كتاب: «آثار تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة» لمؤلفه: د. محمد الزاحم. وقد استخلصته «دار المنار» من مقدمة المؤلف التي يقول فيها: «إن كثيراً من الدول الإسلامية اليوم اتخذت أنظمة وعقوبات استمدتها من وضع البشر، وفرضتها على شعوب الإسلام في بلاد المسلمين. وإن كانت قد أخذت من تشريعات الإسلام مايناسبها ويوافق هواها، فلايكفي لجعله نظامًا إسلاميًا، لأن الشريعة الإسلامية كل لايتجزأ، متماسكة مترابطة، لاتقبل التقسيم. فنصوص القرآن تمنع من العمل ببعض الشريعة وإهمال بعضها الآخر..». وهكذا تتضح لنا أفكار المؤلف الإسلامية، بهذه الصورة التي استمد مصدرها ومنبعها من القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يعالج موضوع منع الجريمة. وبدا لنا واحداً من الغيورين على إسلامهم، وممن يرون أنه لايمكن استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، وذلك مثل الذين يأخذون بالقوانين الوضعية، ويتركون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ولهذا نجد المؤلف منذ مقدمته يؤكد لأولئك بأنهم لو أحسنوا صنعًا وعملوا صالحًا، وطبقوا أحكام الإسلام في كل شؤونهم ـ كما تفعل المملكة العربية السعودية ـ لوجدوا ثمار ذلك.

ومن هنا وجدنا المؤلف يستكمل مادة كتابه بمنهج تقليدي درج عليه كثير من الباحثين، وذلك بتمهيد، أو مقدمة، تشمل تعريفًا للشريعة، والجريمة وأقسامها. ويعرض للآثار أو النتائج السيئة للجريمة التي تنعكس أضرارها على الدين والمجتمع والأخلاق، والسياسة والاقتصاد والصحة. ثم بتقديم طرق لمكافحة الجريمة من منظور إسلامي؛ وذلك من خلال بحث وسائل الإصلاح والتهذيب والعقوبة. وقد استخلص المؤلف ميزات عديدة للنظام الجزائي في الإسلام، ثم خاتمة تتضمن بعض النماذج التطبيقية الناجحة للشريعة الإسلامية، وعلى رأسها بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الجزيرة العربية، ودعوة التجديد في عهد الإمامين محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود، والدعوة الإسلامية في عهد الملك عبدالعزيز ومَنْ بعده من أبنائه. وقد رأى المؤلف أن هذه النماذج التي استشهد بها على تطبيق الشريعة الإسلامية قد منعت الجريمة وحققت الأمن والاستقرار. وبلغت الكتب التي اعتمد عليها في بحثه مائة وتسعة عشر كتابًا، وهي تضم علوم الفكر الإسلامي، وفي مقدمتها القرآن الكريم.. ثم تجيء كتب: التفسير، والحديث، والفقه (الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، والمذاهب الإسلامية الأخرى، والفقه الإسلامي العام وأصوله)، واللغة، والتاريخ، والطب، وأخيراً بعض المراجع العامة.

وإذا كانت صفوة الكتاب تتبدّى لنا في رؤاه عن «ميزات النظام الجزائي»، فإن هذه الرؤى مستمدة من أعلام ثلاثة هم: ابن قيم الجوزية وكتابه: "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، ومحمد أبو زهرة وكتاباه: "العقوبة" و"الجريمة"، وعبدالقادر عودة وكتابه: "التشريع الجنائي الإسلامي".

ولقد كانت الميزات الجزائية العشر التي يعتبرها سر نجاح العقوبات الشرعية وقضائها على الجريمة، هي الرد الحاسم على من يرى أن الشريعة الإسلامية لاتسايرالحاضر المتقدم المتطور الذي يحتاج لأنظمة تسايره. وميزات النظام الجزائي العشر هي:

١-حمايته للمصالح الضرورية. ٢-مساواته العقوبة بالجريمة. ٣-حمايته الفضيلة ومنعه الرذيلة. ٤-تشديد العقاب على الجريمة. ٥-قيامه على العدل والإنصاف. ٦-يشفي غيظ المجني عليه. ٧-يختار المكان المناسب من الجسم لإيقاع العقوبة عليه. ٨-يقي المجتمع من انتشار الجرائم ويقضي على الفساد. ٩-مراعاته طبيعة الإنسان ونفسيته. ١٠-يُحَمِّل العاقلة بعض العقوبات المالية.

استطاع المؤلف تحليل هذه الميزات تحليلاً، أصاب فيه هدفه وغايته. ولنختر إحدى هذه الميزات، ونقرأ جزءًا قليلاً منها، ولتكن التاسعة التي تبدو الأصعب في الفهم والتعليل: «... فالدافع الذي يدعو الزاني للزنا هو اشتهاء اللذة، والاستمتاع بالنشوة التي تصحبها، والدافع الوحيد الذي يصرف الإنسان عن اللذة هو الألم، ولايمكن أن يستمتع الإنسان بنشوة اللذة إذا تذوق مسَّ العذاب، وأي شيء يحقق الألم ويذيق مسَّ العذاب أكثر من مائة جلدة؟ فالإسلام حينما وضع عقوبة الجلد للزنا إنما وضعها على أساس من طبيعة الإنسان، وفهم لنفسيته وعقليته. والإسلام حينما قرر عقوبة الجلد للزنا دفع العوامل النفسية التي تدعو للزنا بعوامل نفسية مضادة تصرف عن الزنا. فإذا تغلّبت العوامل الداعية على العوامل الصارفة، وارتكب الزاني جريمته مرة، كان فيما يصيبه من ألم العقوبة، وعذابها ماينسيه اللذة ويحمله على عدم التفكير فيها».

ومهما يكن من أمر، فإن الكتابات المعاصرة في القضايا الدينية، تتطلب من الباحث المزيد من الأنوار.. وذلك بعرض الفكر الآخر المناوئ والمعارض بأدلته واجتهاده، كي تكون حجة الباحث أعمق وتأثيره أبلغ.



الفك المفترس

محمد أدهم السيد

حدث كل شيء قبل نحو ثلث قرن من الزمان.

فعندما توجه الشابان ألبرت كوجلر، وشيرلي أونيل الطالبان في جامعة سان فرانسيسكو الحكومية إلى الشواطئ الغربية البعيدة من ولاية كاليفورنيا الأمريكية، كانا يمنيان النفس بإجازة جميلة ومثيرة فوق رمالها الذهبية الناعمة المطلة على المحيط الهادي.

كان كل شيء يشير بوضوح إلى أنها سوف تكون إجازة جميلة ورائعة، تتناسب تمامًا مع الشمس الربيعية الجميلة التي اعتادت أن تداعب كل نهار رمال الشاطئ الأصفر في مثل هذا الوقت من كل عام، ولكن الرحلة المثيرة التي توقعها أصحابها أن تكون لحظة من لحظات النعيم، تحولت فجأة إلى كارثة مروِّعة، وكابوسٍ مرعب أشبه بالجحيم.

ونتــرك أحــد بطلي الرواية يحدثنا بنفسه عن تفاصيل هذا الحادث الأليم. تقول أونيل (الفتاة الجريئة التي نجت من براثن الموت بأعجوبة): «كان كوجلر يسبح في المقدمة على بعد لايزيد على خمسة وعشرين مترًا من الشاطئ، وكنت أتبعه سعيدة، وأنا أحاول جاهدة اللحاق به، وفجأة بدأ بالصراخ، وأخذ يُلَوِّح لي بيديه طالبًا مني الرجوع. التفتُّ حولي فإذا بي أرى ذلك الشيء الرمادي الضخم يقفز في الهواء وينقض على كوجلر، وصَاحَبَ ذلك رجفةٌ رهيبة في الماء وضجيجٌ مرعب، وبصعوبة سمعت كوجلر يصيح بي:

- إنه قرش قاتل، اهربي من هنا فورًا..

وتكمل الصبية الجريئة قائلة: «ولكنني تمالكت أعصابي وسبحت في اتجاهه، وفجأة رأيت المياه حوله وقد تحولت إلى حمراء كلون الدم، فعرفت أن ألبرت قد أصيب.

جُنَّ جنوني وأسرعت إليه ألفُّه بيدي في وسطه، وأجذبه باتجاه الشاطئ دون أن أعير انتباهًا لتنبيهاته وتحذيراته المستمرة.. حتى إنني نسيت تمامًا أن هذا الوحش المرعب قد يهاجمنا مرة أخرى

ويقتلنا سويا، رغم أننا لانبعد أكثر من بضعة أمتار قليلة من الشاطئ المخيف الذي هرب من جنونه الجميع، وبدا كأنه قطعة صغيرة من صحراء قاحلة لا خير فيها ولا حياة.

ولحسن الحظ هرع إلينا أحد الصيادين الذين شاهدوا الحادث الأليم من قرب، ورمى إلينا بحبل متين كان يتدلى من بين يديه، وساعدنا في الصعود إلى قاربه الصغير، وعاد بنا على الفور إلى الشاطئ المذعور.. قبل أن يعود القرش القاتل من جديد، ولكن بعد فوات الأوان.. فقد توفي كوجلر بعد ثلاث ساعات من الحادث متأثرًا بإصابته».

وتقديرًا لهذه الشجاعة النادرة والبطولة الرائعة التي أبدتها الفتاة لإنقاذ كوجلر من براثن الموت، والتي وصفها أحد الضباط الذين رأوا الحادث من بُعد (بأنها أعظم عرض للشجاعة رآه في حياته)، منحها الرئيس الأمريكي الراحل جون كنيدي وسام الشباب الأمريكي.

الروايات المرعبة

لم تكن هذه الرواية المثيرة الأولى ولا الأخيرة التي تحدثت عن شراسة أسماك القرش وخطورتها؛ تلك الكائنات البحرية المرعبة التي لا يزال اسمها حتى اليوم يبث الذعر والهلع في قلوب الصيادين والسباحين في عرض المحيط أو على شواطئ البحار والمحيطات على حد سواء. فهناك العشرات، بل المئات من القصص الرهيبة التي جرت وتجري يوميًا في كل مكان وبقعة في العالم المائي الكبير.. حتى إن بعض المؤسسات العلمية قامت بإحصاء الكوارث التي سببتها هذه الأسماك المخيفة، وتحديد عدد الوفيات البشرية التي راحت ضحية شراهتها الزائدة لكتل اللحم، وحساسيتها المفرطة لرائحة الدم، منذ أوائل هذا القرن وحتى أواخر الخمسينيات فقط، فكان هناك أكثر من ألف حادثة، تُوفي على إثرها أكثر من ألفي شخص، وجُرح ما لا يقل عن ألف شخص آخر.

والأمثلة كثيرة.. والروايات متعددة..

ففي أواخر الأربعينيات من هذا القرن هاجمت بعض أسماك القرش، التي اقتحمت نهر الجانج للمرة الأولى في التاريخ، عددًا من الرحالين الهنود أثناء عبورهم النهر، وقتلت العشرات منهم، كما أصيب العشرات غيرهم بجراح خطيرة للغاية وكسور ورضوض شتى.. علمًا بأن أسماك القرش لاتحبذ أبدًا الحياة في الأنهار، ونادرًا جدًا ما تغامر بدخولها والتوغل فيها.

وفي عام ١٩٤٢م أصيبت ناقلة الجند «نوفيا سكوتيا» بطوربيد مائي مدمر وهي تمر على مقربة من سواحل جنوب أفريقيا، انفجرت على إثره وتحولت إلى قطع صغيرة متناثرة، وطار الجنود في الهواء، وتناثروا في الماء بين أحياء وأموات.

وماهي إلا لحظات معدودة حتى اجتمعت أسماك القرش، وتكاثفت حول الجنود المساكين، الأحياء منهم والأموات، وأخذت في التهامهم. وسقط نتيجة لهذا الحادث المروع أكثر من ألف قتيل، شوهدت البقية الباقية من أجسادهم الممزقة صبيحة اليوم التالي طافية على وجه المحيط.

طوربيد حي!!

ومهما تعددت القصص والروايات، واختلفت الآراء والاعتقادات حول سمك القرش، بين مهاجم - يدعو إلى القضاء عليه وتخليص الحياة والبشرية من شروره - ومدافع - يطالب بالحفاظ



أحد أفراد القرش الحوت وإلى جواره تسبح السمكة المرشدة

عليه وحماية أنواعه المختلفة القاتل منها والوديع من الانقراض والفناء، فإن هذا لن يمنعنا أبدًا من الاعتراف بحقيقة لاتكاد تخلو من الصحة، وهي أن القرش - شئنا أم أبينا - يعد واحدًا من أخطر المخلوقات التي يمكن أن يواجهها الإنسان في البحر وأشرسها، إن لم يكن أخطرها وأشرسها على الإطلاق.

والأمر نفسه لن يمنعنا أيضًا من الاعتراف بحقيقة أخرى أكثر أهمية ووضوحًا، هي أن لهذا القاتل المحترف جسمًا انسيابيًا رائعًا تفتقر إليه الكثير من حيوانات البحر واليابسة الأخرى.

ولاشك أن جسمه المتناسق هذا - الذي يشبه إلى حد كبير الطوربيد - يساعده إلى حد كبير في السباحة والغطس في الماء.

فالقرش سباح ماهر، وغطاس من الطراز الممتاز، يساعده في ذلك ذيله القوي وزعانفه الحادة، إذ يمكن للقرش الأزرق مثلاً أن يغوص في الأعماق ويندفع إلى السطح بسرعة عجيبة تفوق أحيانًا حدود الوصف.

ومن جهة أخرى فإن للقرش رأسا متطاولا ومدببا يحتوي على فم مدعم بعدة صفوف متوازية من الأسنان الحادة والقوية، تقوم بدور الإمساك بالفريسة وليس بتقطيعها.. لأن القرش يبتلع فريسته فور صيدها، دون أن يكلف نفسه تقطيعها، بل يترك مهمة تمزيقها إلى جهازه الهضمي العجيب الذي يقوى على تفتيت كل ماقد يبتلعه القرش من أشياء.

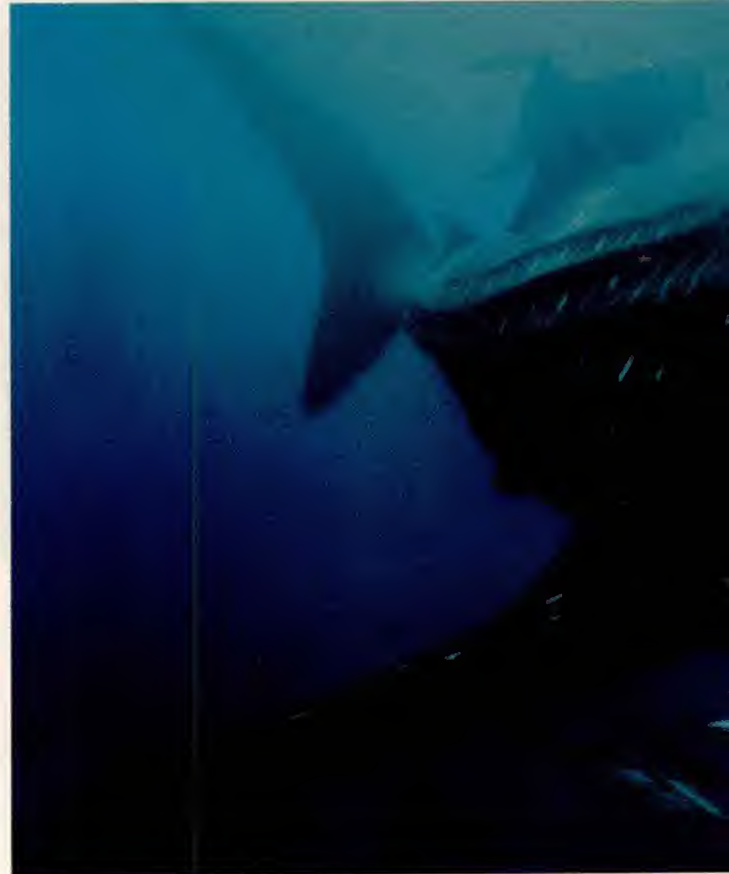
ولا يستعمل القرش سوى الصف الأول من أسنانه، أما الصفوف الداخلية فتحل محل الخارجية عندما تفقد هذه الأخيرة قدرتها على العمل، وتصبح غير صالحة للاستعمال.

أما العيون فهي في طرف الرأس، وهي بيضية الشكل تتميز بجفون متحركة. كما تغطي الزعانف سائر أطراف الجسم تقريبًا، فهناك زعنفتان أماميتان هما الزعنفتان الصدريتان، وعملهما توجيه جسم القرش في الماء، وأما الزعنفتان البطنيتان الموجودتان على مقربة من الذيل، فتقومان بدور أساسي في عملية تلقيح الأنثى، وتؤدي الزعنفة الظهرية دورًا رئيسًا في عملية التوجيه وتوزان الجسم في الماء. وهناك أيضًا زعنفة ظهرية أخرى موجودة قرب الذيل، الذي ينتهي بدوره بزعنفة ذيلية صغيرة، لكنها قوية للغاية.

وفي جانبي الرأس نجد شقوقًا تتصل مباشرة بالحجرات الخيشومية، ويتراوح عددها بين ٤ إلى ٦ حجرات، وأحيانًا أكثر، وذلك تبعًا لنوع القرش.

وللقرش طبقة جلدية خارجية خشنة للغاية تتكون من قشور إبرية تتحول عند الفكين إلى أسنان حادة.

أما بنيته الداخلية فلا تختلف كثيرًا عن باقي الأسماك والكائنات البحرية الأخرى.. فهو يملك أجهزة خاصة للتنفس والنقل والتناسل والهضم...الخ، تشبه إلى حد كبير أخواتها عند الأسماك الأخرى.



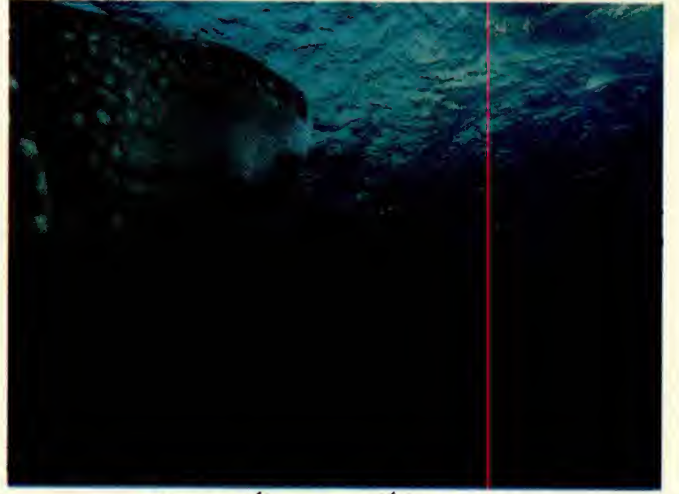


وأكثر مايسترعي انتباهنا عند مراقبتنا هذه السمكة الرهيبة حيويتها ونشاطها غير العاديين، وهي تتنقل من مكان إلى آخر في أعماق المحيط الكبير، فهي لاتمل ولا تتعب من السباحة ساعات اليوم بطوله، بحثًا عن الغذاء والقوت. كما أن رائحة الدماء تجذبها وهي على بعد عشرات بل مئات الأمتار، وهذا يفسر اجتماع عدد كبير من أسماك القرش على ضحية واحدة خلال دقائق معدودة لا تذكر - بعد العضة الأولى منها فقط -، وتحولها خلال لحظات بسيطة أخرى إلى أشلاء.

والعجيب أن أسماك القرش لا تشعر بالألم مطلقًا، فإذا جُرِحَ الواحد منها في ساحة القتال، أو أصيب بضربة أليمة فقد على إثرها عضوا مهما من أعضاء جسمه باستثناء رأسه فإنه يستمر في العراك، ولا يتوقف عن القتال حتى يقتل خصمه، أو يلقى حتفه من شدة التعب. ويقال بأنه إذا جُرِحَ القرش في المعركة وخرجت أحشاؤه من جسمه، فإنه لايتورع عن أكلها!!.

أصدقاء تحت سطح البحر

بالرغم من الرعب الذي تسببه



زوجان من القرش الأزرق يسبحان بعيداً عن عدسة المصور



هذه السمكة بين كائنات البحر المختلفة لدى ظهورها في ساحات نفوذهم، والفوضى التي تنشرها بين صفوف الآدميين والسباحين لدى اقترابها من الشواطئ، أو مهاجمتها سفن الصيادين والمصطافين الصغيرة منها والكبيرة، فقد حافظت لنفسها على بعض الصداقات الخاصة، والعلاقات الاجتماعية الغريبة مع بعض الأسماك الأخرى الأكثر ضعفًا بين مخلوقات الله الكثيرة في البحر.

ورغم أن هذه العلاقات الاجتماعية المتميزة لايمكن اعتبارها أكثر من منفعة متبادلة ومشتركة بين شريكين غريبين غير متكافئين من حيث القوة أو الحجم أو الأهمية.. وهي علاقات سطحية بسيطة تخدم مصالح كلا الطرفين؛ إلا أنه يمكننا اعتبارها ـ في الوقت نفسه ـ نقطة مضيئة لايستهان بها، وعلامة إيجابية تجدر الإشارة إليها في حياة هذا المخلوق المرعب المتسمة بلون الدم.

ولعل السمكة المسماة بالسمكة المرشدة من أكثر مخلوقات الله في البحر قربًا من أسماك القرش، إذ تسير هذه السمكة التي لايتجاوز طولها نصف المتر ـ في أحسن حالاتها ـ أمام القرش لترشده في كثير من الأحيان إلى الفريسة البعيدة منه، وتدله على مكانها ثم تجهز على ما قد يتركه لها صاحبها من فتات قليل من اللحم.

وقد أثارت هذه السمكة الغريبة حولها كثيرًا من الجدل والتساؤل، إذ كيف تحافظ على حياتها وتأمن على نفسها من الموت، وهي تمضي أيامها المعدودة بصحبة ذلك الوحش المرعب الذي لايتورع عن التهام صغاره وأطفاله إذا مااشتد عليه الجوع؟! وكيف تتفاهم معه؟! ولماذا اختارته بالذات دون غيره من كائنات البحر الأخرى الأقل إجرامًا ووحشية لتشاركه أيام حياته وتقاسمه لقمة عيشه، وهي تعلم أنها قد تتحول في يوم من الأيام إلى وجبة شهية له، إذا مادارت عليه الدوائر ولم يجد شيئًا يأكله سواها؟!

أما السمكة المسماة بالسمكة الماصة أو الريمورا، فقد سبقت السمكة المرشدة في علاقاتها الخاصة مع القرش وتجاوزتها جرأة وارتباطًا به؛ إذ تعيش هذه السمكة التي قد يزيد طولها أحيانًا على المتر جل حياتها ملتصقة بالقرش بفضل



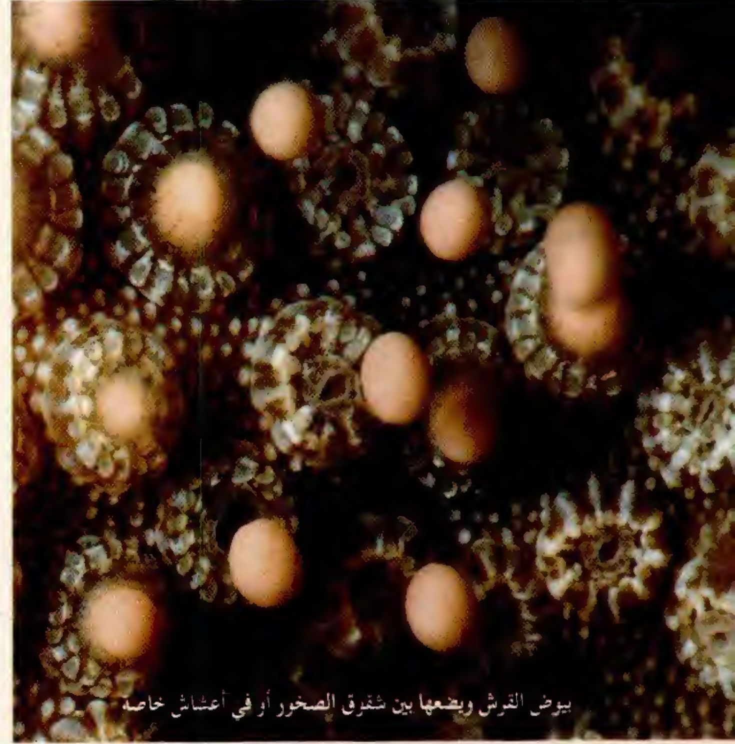
أحد الغامرين بين آلاف أسماك [illegible] الصغيرة جدا

ممصٍّ غريب يقع في الجهة العليا من رأسها، وتبقى معلقة هكذا بجسمه طوال النهار والليل، يحملها معه أينما ذهب.. فإذا ما حان وقت الطعام، واشتد عليها الجوع، تركته للحظات وذهبت تصطاد لنفسها فريسة تلتهمها



وتسد بها جوعها، قبل أن تعود لتلتصق بجسمه من جديد.

وغالبًا ما تفضل هذه السمكة التهام البقية المتبقية من الضحية البريئة التي كان القرش قد أجهز عليها خلال ساعات نهاره، دون أن تكلف نفسها عناء البحث والصيد. ولاشك أن الأسئلة نفسها التي أثيرت عن السمكة المرشدة يمكن أن تثار أيضا عن السمكة الماصة. ولاشك أن هذه الأسئلة ستبقى إجاباتها مجهولة لنا


بيوض القرش ويضعها بين شقوق الصخور أو في أعشاش خاصة

لحكمة لايعلمها إلا الخالق الجبار. وما أكثرهذه الأسئلة، وما أغربها، وما أبعدها من إدراكنا المحدود.

أنواع القرش

وللقرش أنواع كثيرة، وأشكال متعددة، منها الكبير، ومنها الصغير، منها القاتل، ومنها الوديع.

غير أن أكثر أنواعه شراسة وخطورة تلك التي تعيش في أعماق المياه الاستوائية، ويتزعمها - دون منازع - كل من القرش الأبيض الكبير والقرش ذو المطرقة والقرش النمر والقرش الأزرق.

أما القرش الأبيض الكبير فينتشر غالبًا في عرض المحيط، ونادرًا مايغامر بالاقتراب من الشواطئ أو الموانئ المزدحمة بالناس.

ويزيد طوله في أغلب الأحيان على أحد عشر مترًا.. وهو كثيرًا ما يهاجم قوارب الصيادين الصغيرة ويقلبها رأسًا على عقب بواسطة جسمه الضخم، ويلتهمهم الواحد بعد الآخر. حتى إن أحد الرحالين الإنجليز وصف هذا القرش المرعب ذات يوم بقوله: «إن لهذا القرش الضخم نهمًا شديدًا لِلَّحم البشري».

بينما ينتشر القرش النمر غالبًا على مقربة من الشواطئ الاستوائية الحارة؛ حيث يفضل التغلغل بين السباحين والمصطافين عَلَّهُ يُمسك بأحد التائهين أو المغامرين، الذين يفضلون السباحة بعيدًا قليلاً من الشاطئ المزدحم بالناس، ليجهز عليه.

ويعيش هذا النوع من القرش الذي قد يزيد طوله على تسعة أمتار، على أكل الأسماك الكبيرة والدلافين، والإنسان أيضا إذا سنحت له الفرصة.

ورغم أن القرش ذا المطرقة لايزيد طوله على ٤ أمتار، ولا يعيش إلا في مياه المحيطات الاستوائية، إلا أنه يعد أيضًا من أخطر أنواع القرش القاتلة للإنسان. وهو إذا أصيب أو جُرِحَ في المعركة وأحسّ بدنو أجله تحول إلى مارد جبار، وبدأ في تمزيق كل شيء يقع عليه بصره وقتله وتدميره، حتى يسقط ميتًا من التعب.

والقرش الحوت هو أكبر أنواع القرش خاصة والأسماك عامة؛ إذ يصل طوله إلى أكثر من سبعة عشر مترًا، ويزن نحو ستة أطنان. وبالرغم من ضخامة هذا القرش، فهو يعيش على أكل النباتات والأحياء البحرية الدقيقة، ولايتعرض أبدًا للإنسان.

بينما يعد القرش الأزرق - الذي يزيد طوله في كثير من الأحيان على ثمانية أمتار وسرعته في الماء على ٤٨ كيلو مترًا في الساعة - من أشرس أنواع القرش القاتلة للإنسان وأخطرها، إن لم يكن أشرسها وأخطرها على الإطلاق. إذ يقضي هذا القرش جل وقته وهو يلاحق السفن والقوارب العابرة للمحيط منتظرًا فريسة ما من البشر، أو الحيوان، أو حتى أكياس القمامة التي تلقى من سطحها، ليلتهمها دفعة واحدة دون أن يكلف نفسه معرفة محتوياتها.

وليس غريبًا أن نجد في أحشاء هذا القرش بعض الأشياء الغريبة التي لا تؤكل كالسلاسل والأحذية والأحزمة...الخ. فقد وجد بعض الصيادين في إحدى المرات هذه الأشياء العجيبة في أحشاء أحد أنواعه القاتلة، وهي: كلب ضخم أسود مربوط إلى سلسلة كبيرة، ونصف خنزير، وزوج من الأحذية القديمة البالية، وزوج من رؤوس الماعز، وكميات كبيرة من القمامة، وأخشاب صغيرة، وقطع نقدية، وست زجاجات فارغة، بالإضافة إلى أكثر من ١٨٠ رطلا من اللحم.

القرش في خدمة الإنسان

ورغم أن القرش يشكل الخطر الأول والأكبر على الإنسان في البحر، والعدو الأخطر والأشرس له على امتداد المياه الزرقاء الساحرة؛ فإن هذا لم يمنع الإنسان من مطاردته واصطياده للاستفادة



ضحكات فرحة بعد الصيد الثمين الذي حصل عليه كلا الصيادين

من كنوزه ومدخراته الدفينة. وتكمن فوائد القرش أساسًا في زيته، وجلده.

فأما زيته فيستمد أهميته من وجود الفيتامين (A) في بنيته، وهو العنصر الأهم في بنية الكثير من المستحضرات الكيماوية والمراهم الجلدية والأدوية الشائعة والصناعات الخفيفة الأخرى. بينما يستخدم جلده أحيانًا في صناعة الورق والأحزمة والحقائب والأحذية، ولتلميع بعض الخامات المعدنية الصلبة وصقلها.

كما يُصطاد القرش أيضًا للاستفادة من لحمه وبخاصة في استراليا، إذ يتواكب الناس هناك على شرائه بالآلاف.

وأما زعانفه فتعد من الأكلات المحببة لدى الصينيين، وهم يجففونها بواسطة أشعة الشمس، ثم يضيفون إليها بعض المستحضرات الأخرى والتوابل الهندية لتصبح أكثر لذة وفائدة.

ومن أطرف مايُروى عن فوائد القرش، أن سمكة كبيرة من نوع القرش النمر كشفت النقاب عن جريمة خفية وقعت قبل أيام من صيدها عام ١٩٣٥م. فبعد أيام معدودة فقط من اصطياد هذه السمكة، وعرضها في محطة الأحياء المائية بالعاصمة الاسترالية سيدني، عثر العلماء فجأة في أحشائها على ذراع آدمية كاملة لإنسان مات أو قتل حديثًا.

وظن الجميع للوهلة الأولى أن هذه اليد قد تكون البقية الباقية من شخص ما التهمه هذا القرش قبل وقت قريب من اصطياده وترك عظامه يتيمة في الماء.

ولكن معمل البحث الجنائي الاسترالي اكتشف بعد ساعات قليلة فقط من فحص هذه الذراع البشرية أن القرش البريء قد التهم هذه الذراع بعد أن قُطِعَتْ بآلة حادة - لا يمكنه امتلاكها بشكل أو بآخر - وألقيت وحيدة في الماء، فعرفوا أن وراء هذه الحادثة جريمة قتل، وأي جريمة؟

وانكبت الشرطة الساحلية على تفتيش المنطقة التي اصطيد فيها هذا القرش، وَسَبْرِ أغوارها العميقة بغية الوصول إلى إشارة ما، أو دليل ملموس يشير إلى هوية الضحية صاحب الذراع المفقودة، ومن ثم القتلة.

وسرعان ماعثرت الشرطة على القتيل في صندوق مغلق في البحر، وببعض التحريات والمتابعات البوليسية المثيرة توصلت إلى هوية القاتل، أو القتلة.

وقد كان القتيل ملاكمًا في استراليا آنذاك رفض أن يخسر إحدى مبارياته مقابل بعض المال، فكانت النتيجة أنه قُتِلَ وَوُضِعَ في صندوق كبير ليرمى في البحر.

ولكن تعذر على القتلة إدخال ذراع الرجل في الصندوق فقطعوها ورموا بها - لسوء حظهم - في الماء، ليلتهمها هذا القرش الطيب بعد ذلك، ويكشف النقاب عن هذه الجريمة الرهيبة التي كانت ستطويها مياه المحيط العميق إلى الأبد!!.

فنادق للنوم ومقابر خاصة

هل ينام القرش؟! قد يبدو هذا السؤال للوهلة الأولى غريبًا بعض الشيء، فهل هناك كائن حي يعيش على وجه هذه الأرض لايخلد إلى النوم، ولو لفترة قصيرة من الزمان. حتى النباتات ثبت للعلماء أنها تتخذ في الليل وضعيات مختلفة من الراحة والسكينة، تشبه إلى حد ما حالة النوم التي تعرفها الكائنات الأخرى. فكيف إذًا يمكننا أن نطرح مثل هذا السؤال الغريب؟.

القصة بدأت عندما أثارت حركة أسماك القرش المستمرة في حدائق الأسماك العامة والمختبرات العلمية الخاصة فضول العلماء وحيرتهم.. فهذه الأسماك المدهشة لاتعرف أبدًا معنى



النوم.. ولايغمض لها جفن طوال أيام حياتها وساعات ليلها ونهارها..

ولأن مراقبتها في أماكن تواجدها الطبيعية، ومتابعتها ساعات اليوم بطوله وهي تنتقل من مكان إلى آخر في أعماق المحيط الكبير أمر أشبه بالمحال، فقد ظل هذا الموضوع حتى فترة غير بعيدة من الزمان لغزًا عويصًا يتحدى علم الإنسان.

ولكن الرواية المثيرة لم يأذن لها أن تبقى العمر كله في طي الكتمان، والسر الخطير الذي كثيرًا ماحاولت أسماك القرش إخفاءه عن عيون الإنسان، ظهر أخيرًا على يد مجموعة من العلماء والباحثين الذين كانوا يجوبون أعماق المحيط بأجهزتهم العلمية، ومعداتهم التقنية، وعدساتهم التصويرية، بحثًا عن أي شيء جديد، عندما اكتشفوا فجأة عددًا كبيرًا من أسماك القرش الأزرق القاتلة وهي تتمدد دون حراك على رمال القاع الناعمة.

وللوهلة الأولى اعتقد أصحابنا أنهم هالكون لامحالة أمام هذا العدد الكبير من الأسماك المفترسة. ولكن هدوء هذه الكائنات أثار فضول العلماء المتطفلين، ودفع بعشرات الأسئلة الغريبة إلى رؤوسهم الصغيرة.

هل هي ميتة؟! أم أنها لازالت على قيد الحياة؟! وإذا كانت حية لمَ لم تبادر بمهاجمتهم وقد عُرِفَ عنها منذ الأزل حساسيتها المفرطة لرائحة الإنسان؟!.. الخ. ولم ينتظر رفاقنا طويلاً ليعرفوا الإجابة الحقيقية عن تساؤلاتهم المتعددة، بل اقتربوا منها وأخذوا يمرون بها الواحدة تلو الأخرى، دون أن تحرك هذه الأسماك القاتلة ساكنا، أو تعير هؤلاء الرجال الفضوليين انتباهها. وعندما لمسوا إحداها، تحركت من أمامهم وانتقلت إلى مكان آخر جديد لتواصل استلقاءها العجيب. فعرفوا أخيرًا أنها لا زالت على قيد الحياة، ولكنها تغط في سبات عميق.. وسرعان ماااكتشفوا أنها، خلال نومها العجيب هذا، تفقد كل قدراتها الدفاعية والهجومية، ولا تستجيب لأي حركة من حولها، إلا إذا حاول أحد ما لمسها أو ضربها. عندئذ تفر هاربة إلى مكان آخر جديد، وتواصل نومها الطويل دون أن تفكر بمهاجمة المعتدين أو الدفاع عن نفسها.

كانت هذه المنطقة العجيبة هي الاستراحة الأولى التي اكتشفها العلماء خلال بحثهم الطويل في أعماق المحيط بين مرابط هذه الأسماك القاتلة وملاجئها الخفية.. ولكنها لم تكن أبدًا الأخيرة أو الوحيدة من نوعها. فقد اكتشف العلماء بعد ذلك عشرات الفنادق الخاصة التي ترتادها أسماك القرش فقط دون غيرها من كائنات البحر المختلفة.

كما اكتشف العلماء أيضًا مقابر خاصة لايُسمح لغير القرش بالدخول إليها.. ذلك أن القرش عندما تدركه أخيرًا شيخوخة العمر ويشعر أنه على وشك الموت، بل إنه هالك لا محالة، يأخذ طريقه نحو إحدى هذه المقابر العجيبة، ويلقي جسده المتعب فوق صخورها ورمالها البسيطة، حتى تحين ساعته الموعودة، ويلقى حتفه بين أقربائه وأبناء جنسه، إلى الأبد.

إنها مشيئة الخالق الجبار عز وجل، أن جعل لهذه الكائنات الرهيبة فنادق للنوم، ومقابر للموت، لتكون آية عظيمة من آياته الكثيرة. سبحانه وتعالى.



نظرة فضولية
إلى المصور ولكنها
قد تكون خطرة

جميع الصور مأخوذة من مجلة:
NATIONAL GEOGRAPHIC MAGAZINE,
VOL.182,N6,DECEMBER 1992.

مُهمّة يُولسيز العِلميّة

م. سليمان القرطاس



المركبة يولسيز أثناء الفحص (المصدر DORNIER)

حققت المركبة الفضائية الأوربية (يولسيز) إنجازاً فريداً بتحليقها فوق القطب الجنوبي للشمس في الثالث عشر من سبتمبر/ أيلول الماضي، بعد رحلة استمرت حوالي أربع سنوات.

وتعود بدايات مشروع يولسيز إلى أكثر من ١٦ عاماً مضت، حين تم - في فبراير ١٩٧٨م - الإعلان عن الاتفاق بين وكالة الفضاء الأمريكية ووكالة الفضاء الأوربية على تبني مهمة علمية فضائية لدراسة الشمس، تتضمن التحليق فوق القطبين الشمالي والجنوبي للشمس، وتم الاتفاق على تفاصيل إنجاز مشروع تطوير المركبة، ومعدات التحكم الأرضية المرتبطة بها.

وتولت وكالة الفضاء الأوربية تطوير المركبة وتصنيعها، بينما ساهمت عدة جهات علمية في تصميم الأجهزة العلمية للمركبة، التي أصبحت جاهزة للإطلاق في نهاية عام ١٩٨٣م وبداية عام ١٩٨٤م، وأُطلق عليها اسم: يولسيز.

وتحملت ناسا إطلاق المركبة بواسطة مكوك الفضاء، بالإضافة إلى تكاليف صاروخ كبير، هو IUE، وصاروخ آخر يركب في قمة الصاروخ الكبير، لدفع المركبة بعد انفصال الصاروخ الكبير، وهو من نوع PAM-S ، ويعمل بالوقود الصلب، بالإضافة إلى المشاركة في التحكم الأرضي، والمتابعة، واستقبال المعلومات، وتحملت بذلك نصف تكاليف المشروع.

وتم شحن المركبة إلى مركز كنيدي الفضائي في فلوريدا في عام ١٩٨٥م، لتكون جاهزة للإطلاق في بداية عام ١٩٨٦م، وأدى انفجار مكوك الفضاء تشالنجر إلى تأخير الرحلة إلى عام ١٩٩٠م.

وأخيراً تم إطلاق المركبة يولسيز بواسطة مكوك الفضاء ديسكفري في ٦ أكتوبر١٩٩٠م، وقد رُكِّبَتْ على محرك صاروخي، رُكِّبَ بدوره على صاروخ ضخم، وقد احتاجت المركبة الصغيرة نسبياً (٣٦٠ كيلو جراماً) إلى هذا الصاروخ الضخم، لأن عليها الإفلات من جاذبية الأرض أولاً، لذلك فإنها تحتاج هذا النوع من الصواريخ.

وبعد إفلات المركبة من مجال الجاذبية الأرضية انفصلت عن قمة الصاروخ الدافع، وبدأت تقطع المسافة في مسار دقيق بسرعة ١٦ كيلو متراً في الثانية، لتلتقي بكوكب المشتري بعد رحلة استمرت ١٦ شهراً.

وفي ٨ فبراير ١٩٩٢م كان المختصون في وكالة الفضاء الأوربية يراقبون بصورة آنية مراحل التفاف المركبة حول كوكب المشتري، التي اقتربت إلى حوالي ٤٥٠ ألف كيلو متر فقط من مركز الكوكب للاستفادة من جاذبيته، والتخلص من مستوى الخسوف باتجاه القطب الجنوبي للشمس.

وفي يناير من العام قبل الماضي حققت المركبة يولسيز رقمها القياسي الأول في ابتعادها بزاوية ٣٣ درجة جنوب مستوى الخسوف (وكانت المركبة فويجر - ١ قد حققت ابتعاداً قدره ٣٢ درجة، شمال مستوى الخسوف، اعتماداً على جاذبية كوكب زحل عام ١٩٨٠م).

ويُذكر أن جميع الكواكب السيارة في المجموعة الشمسية تدور في مستوى يمر في خط الاستواء للشمس، يسمى بمستوى الخسوف، وإفلات المركبة من هذا المستوى في مدار الأرض يحتاج إلى طاقة دفع كبيرة. لذلك كان تصميم مسار الرحلة يعتمد على

الأهداف والنتائج

إطالة رحلة المركبة إلى المشتري، للاستفادة من جاذبيته، وكون جاذبية الشمس أضعف كلما بعدنا من الشمس.

واستمرت المركبة في سيرها، ووصلت إلى زاوية ٧٠ درجة في يونيو الماضي، وحققت أدنى نقطة لها جنوبًا في ١٣ سبتمبر الماضي بزاوية ٨٠.٢ درجة جنوبًا.

المهمة العلمية

تحمل المركبة تسعة أجهزة علمية هي:

١- أربعة أجهزة علمية لدراسة الرياح الشمسية، وهي جسيمات ذرية مشحونة تتدفق من الشمس، وتؤثر في الطبقات العليا للغلاف الجوي للأرض والكواكب السيارة.

٢- جهاز لقياس الإشعاعات الكونية.

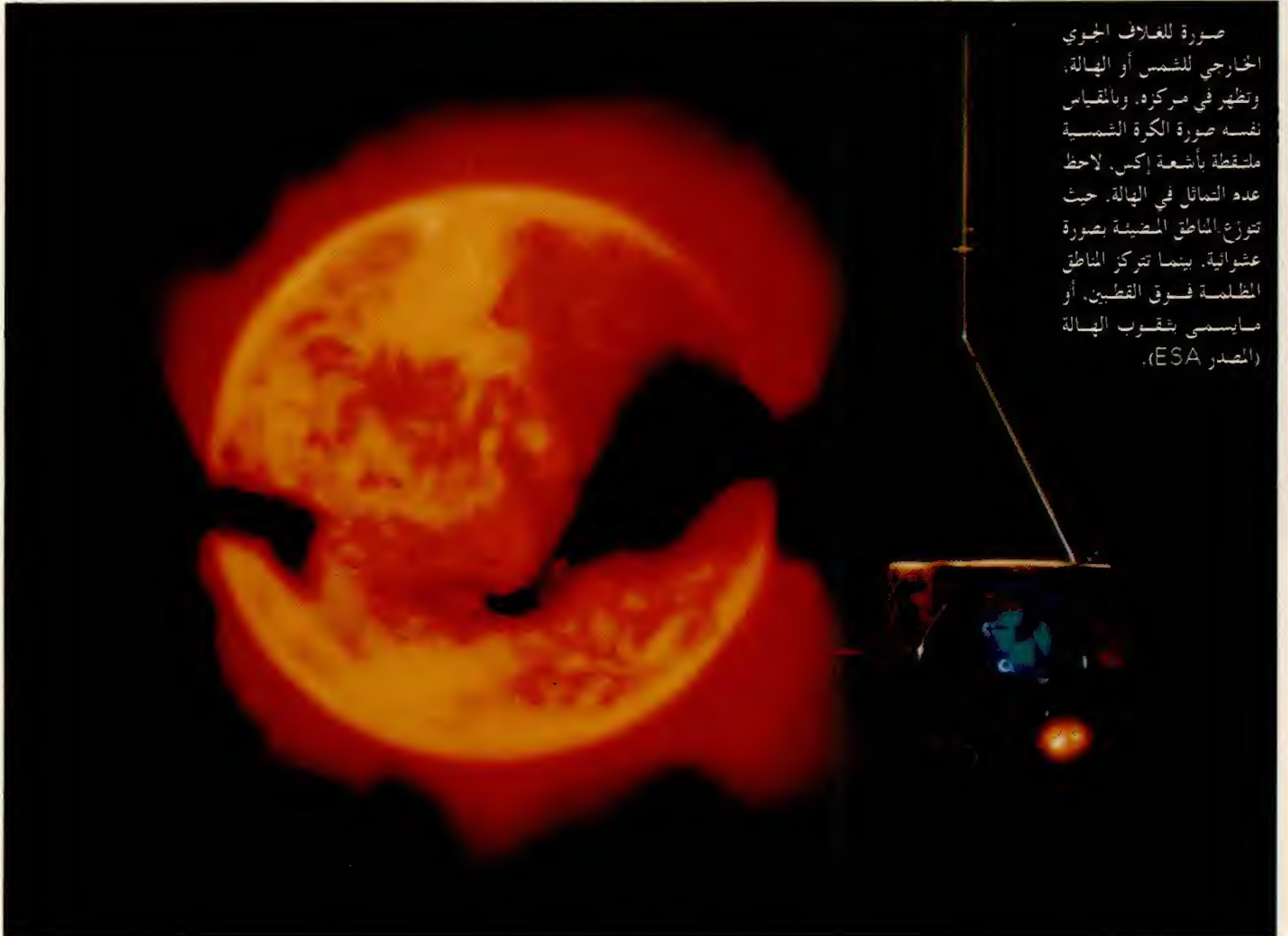
٣- جهاز لقياس مكونات الغبار الكوني.

٤- جهاز لقياس البلازما والموجات اللاسلكية.

٥- جهاز لقياس المجال المغناطيسي للشمس.

والمركبة عبارة عن صندوق من الألمنيوم، يحوي معظم الأجهزة العلمية. ونظام الدفع مزود بذراع وهوائيات.

ولاتحمل المركبة يولسيز خلايا شمسية تستمد منها الطاقة، لسببين: الأول أن طاقة الشمس تكون ضعيفة في مدار كوكب بعيد مثل المشتري، ولاتساوي إلا ٤٪ من الطاقة الشمسية في مدار



صورة للغلاف الجوي الخارجي للشمس أو الهالة. وتظهر في مركزه. وبالمقياس نفسه صورة الكرة الشمسية ملتقطة بأشعة إكس. لاحظ عدم التماثل في الهالة. حيث تتوزع المناطق المضيئة بصورة عشوائية. بينما تتركز المناطق المظلمة فوق القطبين. أو مايسمى بثقوب الهالة (المصدر ESA).

حول الأرض، إضافة إلى أن جهاز قياس المجال المغناطيسي على درجة من الحساسية بحيث يتطلب أن لايزيد التغير في الجهد بين طرفي المركبة على ٥ من المليون من الفولت، وهو أمر لايمكن تحقيقه عند استخدام الخلايا الشمسية.

لذلك زودت المركبة بمصدر آخر للطاقه هو مفاعل إشعاعي صغير، ولايمكن تسميته بالمفاعل النووي؛ فالمفاعل النووي يستخدم انشطار اليورانيوم في توليد الحرارة التي تُحَوَّل بدورها إلى طاقة كهربائية، أما هذا المفاعل فهو يحوي مادة نشطة إشعاعية، تنحلّ تدريجيا، وتشع طاقة، تُحَوَّل إلى طاقة كهربائية - من خلال مبدأ الازدواج الحراري الذي يعتمد جعل وصلتين من معدنين مختلفين في درجتي حرارة مختلفتين ينشأ عنهما جهد كهربائي - تمد المركبة بطاقة ٢٩٠ واتا.

النتائج العلمية

بالرغم من أن المهمة الأساسية ليولسيز هي دراسة الشمس، فإن اقتراب المركبة من المشتري قد أضاف الكثير من المعلومات، ومنها:

١- كما كان معروفًا من المعلومات العلمية المرسلة من المركبة المدارية الأمريكية فويجر، أو من خلال الدراسات النظرية أن طبقة الماكنتوسفير للمشتري أوسع بكثير من طبقة الماكنتوسفير للأرض نتيجة ضعف الرياح الشمسية، إلا أن ماسجلته يولسيز عن حدود طبقة الماكنتوسفير يصل إلى ٨ ملايين كيلو متر، وهو ضعف ماسجلته المركبة فويجر عام ١٩٧٩م، ولا يعرف سبب ذلك على وجه الدقة.

٢- معرفة الدور الذي يؤديه التابع (أيو)، وتأثيره في طبقة الماكنتوسفير، فقد حددت يولسيز نسبة أيونات الأكسجين والكبريت على ارتفاعات كبيرة.

٣- أن كثافة الغمامة الحلقية المتولدة عبر مدار التابع أيو مقاربة لما تم قياسه من قِبَلِ فويجر، إلا أنها أكثر تقطعًا، بسبب تغير الفعالية البركانية لهذا التابع.

٤- أن طبقة الماكنتوسفير للمشتري أكثر تعقيدًا من تلك التي للأرض، فهي ذات غازات متأينة من ثلاثة أو أربعة مصادر، فمن خلال عبور المركبة هذه الطبقة فقد حددت ذرات ذات مصدر شمسي، وأخرى من المشتري، وأخرى من التابع أيو، وربما يكون بعضها من التوابع الأخرى الكبيرة، التي تدور حول المشتري مثل يوربا وغانيميدي وكاليستو.

٥- يبدو أن الحزام الشعاعي للمشتري المحيط بكوكب المشتري أقل امتداداً من الحزام المحيط بالأرض، فهو لايغطي سوى ٤٠ درجة من أي جانب من جوانب خط الاستواء لكوكب المشتري، بينما يقترب حزام «فان ألن» في الأرض من القطبين، ويعد حزام فان ألن الحامي للأرض من الجسيمات عالية الطاقة، ويقع في الطبقات الداخلية للماكنتوسفير.

أما الاحتمال الآخر فهو أن الحزام المحيط بالمشتري لم يكن بالارتفاع الذي دخلته يولسيز، وهو شيء غريب يناقض المعلومات النظرية الحالية، ويجعل من الصعب تفسيره.


صورة تخيلية لتحليق المركبة يولسيز فوق القطب الجنوبي، ووصولها أدنى نقطة في مسارها بتاريخ ١٣ سبتمبر أيلول ١٩٩٤م (المصدر ESA)

أما المعلومات العلمية المكتسبة قبل التحليق فوق القطب الجنوبي فكانت:

١- أول كشف لأيونات ثقيلة ذات مصدر نجمي، فقد استشعرت أجهزة المركبة أيونات أكسجين ونيتروجين ونيون من خارج المجموعة الشمسية، وسبق للمركبات السابقة تحسس أيونات نيون فقط.

٢- أول كشف لذرات هيليوم ذات مصدر نجمي من خلال قياس سرعة هذه الجسيمات، وحددت أجهزة المركبة من خلالها سرعة دوران المجموعة الشمسية داخل المجرة بأنها ٩٥,٠٠٠ كيلو متر ساعة، وليس ٧٠,٠٠٠ كما تم قياسه سابقًا.

الهدف الأساس للرحلة

إن الشمس في الحقيقة ليست محددة كما نشاهدها في الصور الضوئية الاعتيادية؛ فالسطح الساطع الشديد السخونة الذي نراه يخفي خلفه جوًا أسخن بـ (٢٠٠) مرة، وذا كثافة أقل بلايين المرات، وأقل سطوعًا ملايين المرات، فالهالة وهي الطبقة الأكثر خارجية من

الغلاف الجوي للشمس - التي يمكن مشاهدتها في الصور الملتقطة للشمس بالأشعة السينية والموجات الراديوية أو الضوء الأبيض في حال الخسوف - هي في الحقيقة غير مستقرة.

وكان من المعروف - من رحلات سابقة - أن هناك منطقتين في الهالة ذاتيْ تركيز منخفض تتركزان في القطبين الشمالي والجنوبي تسميان ثقوب الهالة.

ومن خلال الدراسات السابقة لسرعة الرياح الشمسية في مستوى الخسوف كانت القياسات تشير إلى أن سرعتها تبلغ ١.٥ مليون كيلو متر/ ساعة. إلا أن المركبة يولسيز - منذ منتصف عام ١٩٩٢م - كانت تسجل سرعات أكبر للرياح الشمسية، وازدادت السرعة باتجاه المركبة نحو القطب الجنوبي، حتى وصلت إلى ٣ ملايين كيلو متر/ساعة؛ أي ضعف سرعة الرياح الشمسية في مستوى الخسوف.



ولوحظ من دراسات المركبات السابقة للشمس أن هناك دورة انعكاس لقطبية الشمس، مع دورانها حول نفسها.

ومع ذلك فقد سجلت المركبة يولسيز اختفاء هذه الظاهرة في مايو من العام الماضي، وانعدام الانقلاب في القطبية المغناطيسية، ومنذ ذلك الحين استمرت المركبة في تسجيل قطبية منتظمة هي قطبية القطب الجنوبي، أو كما قال الباحث المختص في وكالة الفضاء الأوربية: «إن المركبة دخلت المجال المغناطيسي الجنوبي للكرة الشمسية».

وتفسير ذلك أن منطقتي القطبين المغناطيسيين الشمالي والجنوبي لا يمثلان بالضرورة نصفي كرة جغرافيتين يحدهما خط استواء الشمس.

فالخط الواصل بين القطبين المغناطيسيين للشمس يمكن تشبيهه بالدوامة في نهاية حركتها وتأرجحها واهتزازها، لذلك يكون المستوى العمودي على منتصف العمود الواصل بين القطبين متأرجحًا، والمسار الفضائي في مستوى الخسوف يمر هذا المستوى فوقه وتحته بصورة متناوبة، لذلك فمن السهولة معرفة أنه متأثر بمجال مغناطيسي سالب ثم موجب.

فيولسيز، منذ مايو ١٩٩٣م، تقع تحت هذا المستوى المتأرجح، لذلك فهي تحت تأثير قطب مغناطيسي واحد.

يولسيز والبيت الزجاجي

بالرغم من النظريات التي راجت مؤخرًا، ومنها نظرية البيت الزجاجي التي ترجع زيادة درجة حرارة الأرض في السنوات الأخيرة - وخاصة في الثمانينيات - إلى حرق مصادر الوقود الحفرية من فحم حجري ونفط وغاز طبيعي، الأمر الذي أدى إلى زيادة تركيز ثاني أكسيد الكربون في



جو الأرض - حسب هذا الافتراض - ، وأن ذلك بدأ منذ منتصف القرن الماضي، فإن الشروخ تغلغلت في هذه النظرية، ومنها أن الفترة بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٧٠م كانت أبرد من سابقتها، مما يناقض هذه النظرية.

ويقدم باحثان من برنامج يولسيز تفسيرًا آخر يشير إلى العلاقة بين التسخين وفعالية البقع الشمسية، التي ترتبط بالفعالية المغناطيسية للشمس، والتي تصل إلى الذروة كل حوالى ١١عامًا، ولوحظ أن الدورة تقصر من ١١.٧ إلى ٩.٧ أعوام خلال الفترة من عام ١٩٤٠ و ١٩٧٠م.

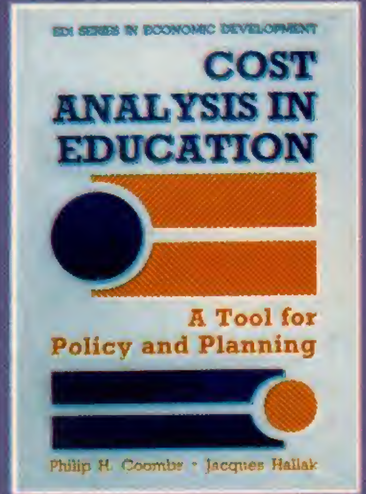
وقد جاءت دراسات باحثين أمريكيين في مراقبة نجوم مشابهة لشمسنا مؤيدة لهذه النظرية، حيث لوحظ أن هناك دورات مماثلة من الانخفاض في الفعالية المغناطيسية لتلك النجوم.

وأخيراً غادرت المركبة المنطقة المواجهة للقطب الجنوبي للشمس في ٥ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٤م باتجاه خط الاستواء للشمس، لتقطعه في اتجاه القطب الشمالي الذي من المؤمل أن تصله في منتصف العام المقبل.

المراجع:

١- نشرات متعددة صادرة عن وكالة الفضاء الأوربية ESA بتواريخ مختلفة ١٩٩٣ و ١٩٩٤م.
٢- نشرة بعنوان ULYSSES TO VENTURE DISTANCES صادرة عن DORNIER (غير مؤرخة).

تحليل التكاليف أداة في السياسة والتخطيط التربوي



تأليف:
فيليب كومبس وجاكز هالاك
عرض وتحليل: ياسر الفهد

التساؤل الكبير المطروح اليوم في الأوساط التربوية العالمية هو: كيف تستطيع الدول، ولاسيما دول العالم الثالث، أن توفر تعليما أكثر ملاءمة وأفضل نوعا للحشود المتزايدة من المتعلمين الزاحفين إلى مدارسها، ضمن الموارد المالية المحدودة المتاحة لها؟

ويحاول كتاب جديد صدر باللغة الإنجليزية - برعاية البنك الدولي - في أواخر الثمانينيات بعنوان: Cost analysis in education أن يقبل التحدي ويجيب عن هذا التساؤل. وعلى الرغم من أن الكتاب يحمل عنوانا اقتصاديا تربويا، فإن مضمونه تربوي بحت، وهو غير مخصص لرجال المال أو الاقتصاد، بل لأولئك المعنيين بالعملية التربوية في شتى مجالاتها، التي تشمل البحث والتخطيط والتعليم والإدارة والتدريب والاختبار واتخاذ القرار وغيرها. وفحواه أن تحليل التكاليف التربوية تحليلا واسعا ودقيقا، هو أداة مهمة لايمكن الاستغناء عنها لمساعدة أصحاب القرار والمخططين والممارسين التربويين، في كل مستوى، وفي أي قطر، على مواجهة المشكلات التعليمية بفعالية. ويعود الكتاب قليلا إلى الوراء، وبالتحديد إلى الخمسينيات الميلادية، مبينا أن المشكلة آنذاك كانت تكمن في كيفية توزيع المخصصات المالية الوفيرة على المستويات التعليمية والاستعمالات المختلفة.

ولكن الأمور بعد ذلك انقلبت رأسا على عقب، وأصبح السؤال منذ أن بدأت الأزمة الاقتصادية العالمية تكشر عن أنيابها في السبعينيات معكوسا، فبتنا نتساءل: في أي مجال من المجالات التربوية علينا أن نجري الحسم المالي؟!

وبالإضافة إلى المعضلة المالية، تطورت خلال السبعينيات والثمانينيات مشكلات تربوية حساسة أخرى، منها:

١- تدني نوعية التعليم إلى درجة جعلت دوره بالنسبة لتلبية حاجات الفرد والتنمية القومية مشكوكا فيه.

٢- تزايد أعداد المتعلمين العاطلين عن العمل، والتعارض المتعاظم بين عالم التربية وعالم العمل.

٣- عدم المساواة في التعليم، والتمييز لغير صالح الفقراء والإناث والأقليات العرقية.

٤- تدني مكانة التعليم، وتراجع جاذبيته، بوصفه مهنة.

٥- تدهور التعاون التربوي الدولي.

٦- اضمحلال الثقة الجماهيرية بالتعليم.

وعلى الرغم من أن الدول النامية ذات الدخل المنخفض هي الضحية الأولى لهذه المشكلات، فإن الدول الغنية أيضا، لم تسلم من عواقبها.

تحليل التكاليف وحل المشكلات التربوية

يوقن المؤلفان بأن تحليل التكاليف وسيلة لمواجهة التحديات التربوية المختلفة، وتتجلى أدواره في أشكال عديدة، منها:

١- مساعدة المختصين التربويين على رؤية الخيارات المتعددة، وتقويم إيجابياتها وسلبياتها، وإمكانات تطبيقها عمليا.

٢- توزيع الموارد المحدودة على مستويات التعليم، وأشكاله المختلفة.

٣- كشف الهدر، وعدم الكفاية، ورسم الطرق الممكنة لمواجهة ذلك.

٤- اقتراح الوسائل لزيادة إنتاجية التعليم.

٥- إظهار فوائد الاستثمار المباشر في الحقل التربوي.

٦- فحص الإمكانات الاقتصاديه للخطط القوميه والتجديدات التربوية بشكل يساعد المخططين على اقتناص الفرص التربوية، وتجنب السير في الدروب التي تبدو جذابه ظاهريا، ولكنها تؤدي عمليا إلى الخسارة.

وهكذا يتبين أن لتحليل التكاليف، ومايتمخض عنه من معلومات وبيانات، تطبيقات تربوية واسعة، وتأثيرا قويا في التعليم.

محلل التكاليف

ولكن من هو المؤهل للقيام بمهمة التحليل؟ يجيب الكتاب عن ذلك بأن محلل التكاليف يجب أن يتحلى بعقل محب للاستطلاع، وأن يهتم بالتربية والاقتصاد في آن واحد، ولكن لاحاجة لكونه حامل دكتوراه في علم الاقتصاد، بل يكفي أن يحوز مهارات إحصائية وتحليلية، وقدرة أصيلة على المثابرة والصبر والانهماك المتواصل، لا في قياس الجوانب الكمية من التعليم فحسب،. وإنما أيضا ملاحظة النواحي الكيفية الحيوية التي لاتخضع للقياس. ويشير المؤلفان بسخرية إلى أن بعض المحللين يعدون كل عنصر لايستطيعون قياسه عنصرا ثانويا!

ويحذر الكتاب من أن على المحلل ألايبحث في أية خطة لزيادة فاعلية التعليم وإنتاجيته دون التأكد من إمكان تنفيذها ماليا وإداريا وحتى سياسيا، ذلك لأن كثيرا من المشاريع التربوية آلت إلى الإخفاق، وكان مصيرها الإخفاق الكامل، لأن مصمميها لم يعوا مستلزماتها العملية والضوابط التي تحول دون تطبيقها على أرض الواقع. ومن جهة ثانية، فإن على المحلل، عندما يشرع في التحليل، أن ينظر إلى النظام التربوي بوصفه كُلاً مؤلفا من أجزاء مترابطة ونظم فرعية، وأن كل تغيير في جزء منه يؤثر في الأجزاء الأخرى بما فيها الكفايات والتكاليف. كما يتعين عليه أن يدقق في جميع عناصر النظام التي تشمل:

١- أهداف النظام العامة؛ أي التي تتعلق بالقطر وإعداد المواطن الصالح والتطوير القومي. والخاصة أي المتعلقة بالنواحي التربوية والتعليمية.

٢- مدخلات التعليم، بما فيها الموارد والطلاب والأساتذة والجهاز الإداري والوسائل التعليمية والأجهزة وغيرها.

٣- مخرجات التعليم، أي ماتم إحرازه واكتسابه من معارف ومهارات ومواقف وطرق تفكير.

٤- نهج العمل، وهذا يشمل التقانات، والطرق التربوية (البيداغوجية)، والاجراءات المتبعة، وسبل الإدارة، والتنظيم. ومن الأمور التي يجب أن يطلع عليها محلل التكاليف، نتائج الإحصاءات المتعلقة بالعملية التعليمية مثل: عدد المسجلين في جميع المدارس، وعدد الذين يكملون التعليم، وعدد المتسربين والراسبين، وعدد الأساتذة، ومجموع النفقات السنوية، في كل مستوى تربوي، ومقدار الموارد المخصصة للإنفاق على التعليم. كما أن على المحلل أن يحصل على معلومات عن الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية، وعلى بيانات حول بنية ونمو الدخل القومي، وكذلك حول المداخل العامة في الدولة والنمو السكاني والهجرة والتوزع الجغرافي ومستلزمات اليد العاملة والأسعار والأجور، واتجاهات التوظيف والتغيرات في بنية الاقتصاد، وغير ذلك.

وبعد اطلاع المحلل على الإحصاءات التربوية، يتوجب عليه أن يقوم بنفسه ببعض العمليات الإحصائية والحسابية، مثل استخراج معدل الإنفاق على التعليم بالنسبة للإنفاق العام، وبالنسبة للناتج القومي العام GNP ، وكذلك حساب كلفة كل طالب في كل مرحلة دراسية، وفي جميع أنواع المدارس والمعاهد. وبالطبع فإن الاحصاءات



ليست جميعها على درجة واحدة من الأهمية، فمنها الأساسي ومنها الفرعي، وفيها ماهو مهم جدا، وفيها ماهو مهم، والمحلل وحده الذي يختار من الإحصاءات ويستخرج من النسب مايراه مناسبًا لعمله.

الموارد والنفقات

ويخصص المؤلفان فصلا خاصا لكشف العوامل التي تؤثر في الموارد والمصروفات التربوية، فبالنسبة للموارد هناك ستة عوامل تتحكم في تقريرها، وهي:

١- نسبة التضخم المالي.

٢- حاجات الخدمات والقطاعات العامة الأخرى.

٣- طبيعة نظام الضرائب.

٤- نسبة نمو الاقتصاد القومي.

٥- حركة التجارة الخارجية صعودا وهبوطا.

٦- مدى توافر المعونة الخارجية (بالنسبة للدول النامية فقط).

أما بخصوص النفقات التربوية، فيذكر الكتاب أيضا ستة عوامل تؤثر فيها، وهي:

١- الطلب على التعليم، الذي يعد اشتداده من أهم عوامل ارتفاع النفقات التربوية.

٢- التقانات التربوية: فعندما ترتقي هذه التقانات، يصبح في الإمكان تحسين نوعية التعليم دون زيادة عدد المدرسين بالنسبة إلى عدد الطلاب، ومن ثمّ تنتفي الحاجة إلى تخصيص نفقات جديدة. وفي الوقت الذي أحرزت فيه تقانات الزراعة والصناعة والنقل والصحة وغيرها تقدما كبيرا، فإن المؤلفَيْن يأسفان لأن تقانات التربية لم تحقق تقدما مماثلا، ولاسيما في الدول النامية، حيث مازالت هذه التقانات قاصرة ومتأخرة، مما يعني الحاجة إلى زيادة أعداد الأساتذة، وبالتالي إلي ارتفاع تكاليف التعليم. وقد أثبتت الدراسات أن تحسين مستوى التعليم بتطوير التقانات، أوفر ماليا من تحسينه بزيادة عدد الأساتذة بالنسبة إلى عدد الطلاب.

٣- بنية نظام صرف رواتب الأساتذة: ففي بعض الدول ترتفع رواتب المعلمين بقدر تحسن كفاية الأستاذ، وفي بعضها الآخر ترتفع حسب ازدياد سنوات الخدمة، بصرف النظر عن الكفاية. ومن الدول من تعتمد على مقدار الإنتاج الفعلي للأستاذ. وتختلف تكاليف رواتب الأساتذة وفقا للطريقة المتبعة في صرف هذه الرواتب.

وقد ثبت أن التكاليف تنخفض في الدول التي تدفع الرواتب وفقا للإنتاج الفعلي. ولكن عدد هذه الدول قليل نسبيا.

٤- نسب الرسوب والتسرب: فارتفاع هذه النسب ولاسيما في الصفوف الأربعة الأولى يزيد من كلفة تعليم كل طالب يكمل دراسته، ويشكل هدرا قويا للموارد التربوية النادرة أصلا.

٥- مقدار الإفادة من الأساتذة والتسهيلات التعليمية والمعدات المختلفة: فعندما يكون هناك أساتذة لايعملون، أو أمكنة مدرسية لاتُستثمر، أو معدات لاتُستعمل، فإن هذا يعني نفقات تربوية دون أي مردود.

٦- قوى السوق: إن قطاع التربية، كأي قطاع آخر يشتري سلعا وخدمات. لذلك فإن النفقات التي يدفعها هذا القطاع تتأثر بأسعار السوق وتقلباتها. فالأسعار كثيرا ماترتفع أو تنخفض فجأة تبعا للعرض والطلب، وعوامل أخرى، والتربية عندما تكون تاجرا ذكيا ومفاوضا محنكا تستطيع أن تشتري أشياء أكثر بأموال أقل.

بين الماضي والمستقبل

يحاول الكتاب أن يستشف آفاق التطورات المستقبلية، مبينا أن معرفة المستقبل بطريقة دقيقة غير ممكنة، لأن هناك دائما تطورات ومفاجآت غير منظورة لايمكن التكهن بها. ومع ذلك فإن رجوع المحللين والمخططين إلى الماضي لمعرفة السياسات والقوى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي أسهمت في صياغة الهيكل الحالي للنظام التربوي، هو أمر ضروري ومفيد. أما اتجاهات الماضي التربوية كما يبينها المؤلفان، فتتجلى في التوسع الكمي الهائل في التعليم خلال الفترة الواقعة بين الستينيات والثمانينيات في جميع أنحاء العالم، وذلك وفقا لإحصاءات اليونسكو. ومما يدعو للتشجيع أن هذا التوسع كان أكبر في الدول النامية منه في الدول المتقدمة. وقد ازدادت الأموال التي أُنفقت على التعليم خلال هذه الفترة بمقدار عشرة أضعاف. ولكن ميزانيات التعليم بدأت في التراجع والتقلص قبيل الثمانينيات. وعلى الرغم من وضوح الاتجاهات والأدلة الكمية فإن الغموض يكتنف النواحي الكيفية، إذ ماذا كان يتعلم الطلاب؟ وإلى أي حد كانوا يتعلمون؟ ومافائدة ماتعلموه بالنسبة لحياتهم المستقبلية؟ كلها أمور يصعب تحديدها بدقة، وإن كانت جميع الدلائل تشير إلى تدهور مستوى التعليم في أمكنة عديدة من العالم.

تساؤلات ودروس

ويقدم لنا المؤلفان في نهاية

COST
ANALYSIS IN
EDUCATION
A Tool for
Policy and Planning
Philip H. Coombs · Jacques Hallak

تحليل التكاليف أداة في السياسة والتخطيط التربوي

الكتاب فصلا مهمًا يتضمن ملاحظات ختامية تبين أهمية استعمال تحليل التكاليف لزيادة كفاية وفاعلية أية عملية تربوية، وللمساعدة على حل مشكلات النظام التعليمي، علما بأن التحليل ليس هو العامل الوحيد في هذا المجال، إذ إن هناك عوامل أخرى مثل طريقة التخطيط وأسلوب الإدارة وعملية اتخاذ القرار وغير ذلك. وينتقد المؤلفان الطرق القديمة في التخطيط، التي كانت تركز على النواحي الكمية وعلى المركزية، متجاهلة التغيرات البيئية، واختلاف الحاجات التعليمية، تبعا للمناطق المحلية المختلفة، ومُوليةً الظهر للمستلزمات العملية اللازمة للانتقال من التخطيط إلى التنفيذ، ومتأثرة بمصالح الأفراد والسياسيين وبالأمزجة المتغيرة. وفي ضوء هذه السلبيات التي تكتنف التخطيط القديم يصبح من الضروري اللجوء إلى طرق جديدة في التخطيط التربوي لمواجهة التطورات المعاصرة التي تجتاح عالم التربية والتعليم. ويطرح الكتاب عدة تساؤلات مهمة، مقرًا بعدم وجود أجوبة سهلة عنها، وهي:

١- ماذا نستطيع أن نفعل لوقف تدهور المستوى التعليمي وعدم ملاءمته، ولقلب هذا الوضع في اتجاه إيجابي معاكس؟

٢- كيف يمكننا أن نجعل التعليم يجاري عالم العمل، ويساير



تحليل التكاليف
أداة في السياسة
والتخطيط التربوي

الحاجات المتغيرة للفرد وللتنمية القومية؟

٣- ماأفضل الوسائل وأكثرها فعالية في تقليص الفروق التعليمية الخطيرة وعدم المساواة التي تضر بمصالح الفئات المحرومة؟

٤- ماذا يسعنا أن نفعل للتغلب على الأزمة الحالية في الموارد التربوية التي تؤثر في النظام التعليمي وتعوق حل مشكلاته؟

ويعترف المؤلفان أنه لاتوجد وصفة سحرية أو حلول جاهزة للمشكلات التي تتضمنها التساؤلات السابقة، إلا أن هناك دروسا تربوية مهمة أفرزتها الخبرة الطويلة، ولابد لنا من أن نعي هذه الدروس ونضعها في الحسبان:

الدرس الأول: هو أن النظم التعليمية يجب أن تتغير باستمرار، تكيفا مع التطورات الأساسية التي تجري في البيئة الاقتصادية والتقنية (التكنولوجية) والاجتماعية والثقافية والسياسية، وخدمة لحاجات التعلم المتزايدة والمتشعبة. وهذا التغير يستدعي نوعا جديدا من التخطيط.

الدرس الثاني: هو أن التغير التدريجي خطوة فخطوة، وشيئا فشيئا، لم يعد يجدي فتيلا، فالأمر بات يتطلب طريقة نشطة شاملة تتعامل مع النظام التربوي بوصفه كُلاً متكاملا.

الدرس الثالث: أن النظم التعليمية أصبحت ـ خلافا للنظام الإداري المركزي (البيروقراطي) القائم حاليا في معظم الدول ـ تتطلب طرقا أكثر مرونه وانفتاحا، وأعظم قدرة على الاستجابة للتغيرات الملحوظة في حاجات التعلم والظروف المحلية.

الدراس الرابع: يتلخص في أن البحث التربوي هو أداة فعالة في قيادة التغيرات التربوية وتحسين أداء أي نظام أو نشاط تعليمي. والبحث التربوي الحديث يجب أن يتوجه -خلافا لمعظم البحوث التقليدية- نحو المشكلات الحساسه، وأن يعتمد على تحليل التكاليف، وعلى المُدخلات والمخرجات التربوية، وأن يتم إجراؤه بالاتفاق مع الممارسين في الميدان.

كلمة أخيرة

وهكذا يتبين أن لتحليل الكلفة ودراسة جدواها وفعاليتها في الحقل التربوي، أهمية قصوى وتطبيقات تفوق توقعات كثيرين من المعنيين برسم السياسة التعليمية والتخطيط لها. ويكتسب التحليل المالي قيمة خاصة في الأقطار العربية التي تجثم على كواهلها ضغوط اقتصادية شديدة، تجعل من الصعب عليها توظيف مبالغ مالية كبيرة في مجال التربية والتعليم.

فعلى هذه الدول أن تفيد إلى أقصى حد من دراسة الكلفة التربوية منعا للهدر المالي، وتحقيقا للترشيد، ووصولا إلى تقدم تربوي لايترتب عليه نفقات إضافيه لايمكن أصلا لهذه الدول أن توفرها.

ومن جهة ثانية، فمادام أي مشروع تربوي لايستند إلى تحليل علمي واسع ودقيق للكلفة المالية، يتعرض للفشل بسبب افتقاره إلى الأساس العملي والتطبيقي، فإن من الجدير بالسلطات التربوية في الأقطار العربية أن تستجيب لهذه الحقيقة بالعمل على إعداد أطر كافية من محللي الكلفة المختصين وتأهيلها وتدريبها.

فالنقص الشديد الحالي في عدد المحللين يقود إلى نقص مشابه في المعلومات والبيانات المتعلقة بتكاليف التعليم، مما يؤدي إلى إعاقة عملية رسم السياسات واتخاذ القرارات التربوية بشكل سليم.

إن كتاب «تحليل التكاليف: أداة في السياسة والتخطيط التربوي» كتاب مهم، لأنه يضع عملية قياس الكلفة التربوية وتقديرها في مكانها الصحيح، وضمن إطارها الواسع الحقيقي، فيتعامل معها بوصفها طريقة مستقلة كاملة في حل المشكلات التربوية وتحسين المردود التعليمي، بعد أن كان يُنظر إليها في الماضي بمنظار ضيق، بوصفها طريقة فرعية وثانوية. ومن جهة ثانية، فإن الكتاب يتضمن جوانب عملية عديدة قلما نجدها في كتب أخرى، فهناك تمارين حول حساب الكلفة، ولاسيما كلفة الأساتذة ومصادر تمويلها، وتوجد جداول إحصائية دقيقة تتعلق بالمصروفات التربوية في مختلف دول العالم الثالث. ويروي لنا المؤلفان أيضا قصصا وحوادث وقعت في بعض الأقطار مُبيِّنَيْن الأخطار والعواقب التي نجمت عن إهمال قياس الكلفة التربوية، وماقاد إليه هذا الاهمال من خسائرجسيمة. ويزودنا الكتاب أخيرا بقائمة مهمة من الكتب والمراجع العالمية حول الموضوع نفسه، أي الجانب الاقتصادي والمالي في التربية.



من نوادر التصنيف

حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه. فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة. كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

جَنَّة الرضا في التسليم لما قدَّر الله وقضى

يُعدُّ هذا الكتاب من الآثار الأندلسية النفيسة، لما يقدمه من معلومات تاريخية نادرة عن مملكة غرناطة النصرية، وهي آخر ممالك الأندلس، لأن مؤلف الكتاب كان شاهد عيان للأحداث التي تصفها هذه المعلومات، وكانت له مشاركة فاعلة في تلك الأحداث بسبب مكانته السياسية المرموقة.

وهذا الكتاب يتناول موضوع «المحنة والابتلاء»، وهو ماكانت تمر به الأندلس في ذلك الوقت، ويرمي مؤلفه إلى تقديم العظة والعبرة والتنبيه من الغفلة لأهل عصره، فيقول في مقدمته: «أما بعد، فإن في حوادث الأيام لأولي الأفهام اعتباراً، وفي طوارق الليالي لأرباب الهمم العوالي اختباراً، وفي مجاري الأقدار للذوات الشريفة الأقدار استبصاراً»، وكأنه وضعه وهو في ضيق ومعاناة، ليكون الكتاب مرشداً له ولمن هو في مثل حاله للصبر على مضض الحوادث، ولذلك يقول في وصف الكتاب: «أورد منه أنا ومن يكون في مثل حالي الوقتية روضاً يُجتنى منه ثمراً، ويُقتطف منه زهراً، ويسرح منه ناظره في حدائق ذات بهجة، ويشي منه على حُسن طوية وصدق لهجة، يرشده للصبر على مضض الحوادث، والرضا بما يأتي به القضاء من الخطوب والكوارث، والتفويض لله في مواقع أقداره، والتسليم له في إيراد كل أمر وإصداره».

ومؤلف الكتاب أبو يحيى محمد بن عاصم الغرناطي الأندلسي، قاضي الجماعة، ولد في أواخر القرن الثامن الهجري، وتوفي ذبيحاً في أواخر سنة ٨٥٧هـ، وكان كاتباً ورئيساً للكتاب وخطيباً ووزيراً وشاعراً وناثراً وإماماً ومفتياً وقاضياً للجماعة وعالماً وفقيهاً، وكان من أكابر فقهاء غرناطة وعلمائها الجلة ورؤسائها.

وقد جعل المؤلف كتابه في ست صور هي: «أن يكون الابتلاء متوقعاً في المقتنيات العزيزة على النفوس كالمال والجاه، ويكون مع ذلك واقعاً في الحال، وهو مأمول الجبر مرجوّ الزوال، أو غير مأمول الجبر مرجوّ الزوال، أو أن يكون الابتلاء في النفوس أو ما لحق بها من أعضاء وقوى متوقعاً في الاستقبال وليس بواقع في الحال، أو واقعاً في الحال وهو مرجوّ الزوال، أو غير مرجوّ الارتفاع والزوال».

وقد حقق الكتاب الدكتور صلاح جرار وقدم له بمقدمة ضافية.

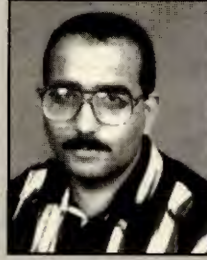
ومن القصص التي أوردها ابن عاصم الغرناطي:

١ـ كان بمدينة السلام رجل من أهل اليسار، فبينا هو ذات يوم في مجلسه، وقد جلس يأكل مع زوجته، وبين أيديهما دجاجة مشوية أو سكباجة قد فاحت رائحتها، إذ دنا سائل من الباب، وغشاه، ممن امتُحن بنكبة بعد نعمة، فقال: أطعموني من فضل مارزقكم الله، فقامت المرأة وغرفت له من القدر، وأخذت رغيفين لتناوله، فلما رأى الزوج ذلك حلف عليها ألا تدفع إليه شيئاً، ومضى السائل جائعاً حزيناً، فاستوفى الرجل شأنه وطعامه، واشتغل بشأنه، وقعد فوق السطح لبعض حاله، فعثر بشيء وتنكّس، فوقع إلى أسفل، فاندقت عنقه، فمات من ساعته، وحازت المرأة ميراثه وتصرفت فيه، وضرب الدهر ضربانه، وأتى لهذا الحديث مُدّة، وكان السائل الذي قد دنا من باب الدار وانصرف خائباً كئيباً لما لقي من قُبح الرد، وماهاج به من شهوة الطعام الذي شمّ رائحته، عاد إلى منزله من وقته ولم يملك إلا مُضَرَّبة معلّقة، وكان اشتراها من الحاج متسخة قذرة، وحملته شهوة الطعام على المضربة أن يبيعها، ويصرف ثمنها في نفقة طعام مثل الذي شمّ، وأراد أن يفتقها فيغسلها ثم يبيعها، ففتشها فإذا فيها ألف دينار وسط الحشو، فأخذها الرجل، وغيّر بعضها حاله، وشغل بعضها في التجارة، وحسنت حاله. وطلب امرأة يتزوجها، فقالت له بعض الدلالات: إن هاهنا امرأة جميلة موسرة، قد ورثت عن زوجها مالاً كثيراً، فهل لك فيها؟ قال: نعم. فخطبها والتأم الأمر بينهما، وبنى بها. وحمد كل واحد صاحبه، واتفقا أحسن الاتفاق، فبينما هما يوماً من الأيام يتحدثان، وقد وصف الرجل لها مادُفع إليه في بعض الأيام من المحنة العظيمة، إذ سألته المرأة أن يحدثها بأمرٍ شيء جرى عليه، وأصعب مادُفع إليه، فقال الرجل: ما مرّ عليّ أصعب من وقت دُفعت فيه إلى شدة شديدة، حتى اضطررت إلى السؤال، فدنوت يوماً من باب دار، وشممت من الدار رائحة سكباجة طيبة، كدت أجنّ حرصاً عليها وشهوة لها، وقامت المرأة لتعطيني منها، فمنعها الزوج، وحلف بطلاقها أنها لاتعطيني منها، فانصرفتُ وأنا قلق حزين، إذ كنت بعقب علة شديدة، وقد أبللت منها، وكنت أشتهي كل شيء كما يعتري الناقه، فتبسمت المرأة تعجباً، وقالت: فهذه هي الدار، وأنا هي تلك المرأة، وإن زوجي صعد في ذلك اليوم الذي ردّك فيه الرد القبيح، هذا السطح، فتنكّس فيه، ووقع واندقت عنقه، ومات من حينه، وقد أورثك الله ماله ومسكنه وزوجته، قال: فسجد الرجل شكراً لله عزّ وجل، واستأنف نية جميلة في طلب مرضاة الله تعالى، وبقي طول عمره في نعمة شاملة.

٢ـ يُحكى أن رجلاً قال لحاتم الأصم: بلغني أنك تجوز المفاوز من غير زاد، فقال حاتم: بل أجوزها بالزاد: وإنما زادي فيها أربعة أشياء، قال: ماهي؟ قال: أرى الدنيا كلها ملكاً لله، وأرى قضاء الله نافذاً في كل أرض، وأرى الخلق كلهم عبيداً لله ـ عز وجل ـ وعياله، وأرى الأسباب والأرزاق كلها بيد الله عز وجل، فقال له الرجل: نعم الزاد زادك ياحاتم، أنت تجوز مفاوز الآخرة فكيف مفاوز الدنيا.

علي أحمد باكثير

رائد الشعر التفعيلي



أحمد فضل شبلول

يعد الشاعر الكبير علي أحمد باكثير (١٩١٠ - ١٩٦٩م) واحداً من أوائل الذين فتحوا الطريق أمام الشعراء الجدد؛ لاستخدام الشعر المرسل عن طريق مسرحيته «روميو وجولييت»، ثم شعر التفعيلة، أو الشعر الحر، عن طريق مسرحيته «أخناتون ونفرتيتي» التي كتبها عام ١٩٣٨م.

شرارة الشعر الحر

وقد بدأت شرارة هذا الشعر في الانطلاق عندما تَحَدّى باكثير أستاذه الإنجليزي الذي كان يدرسه مادة الأدب الإنجليزي بكلية الآداب في جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة فيما بعد)، فكان هذا الأستاذ يرى أن اللغة الإنجليزية اختُصَّت بالبراعة في الشعر المرسل، وأن الفرنسيين حاولوا محاكاته في لغتهم، فكان نجاحهم محدوداً، وأن اللغة العربية لايمكن أن ينجح فيها هذا اللون من الشعر، فماكان من باكثير إلا أن قال له: «أمّا كونه لاوجود له في أدبنا العربي فهذا صحيح؛ لأن لكل أمة تقاليدها الفنية، وكان من تقاليد الشعر العربي التزام القافية، ولكن ليس هناك مايحول دون إيجاده في اللغة العربية، فهي لغة طيعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر. فنهره أستاذه وقال له: كلام فارغ». ثم لجأ باكثير إلى النسخة الإنجليزية من مسرحية «روميو وجولييت» لشكسبير، فتخيَّر منها مشهداً عالجه بالشعر المرسل، ثم ترجم المسرحية كلها، وتبين له أنه اختار البحور المتحدة التفاعيل التي تستوي تفعيلاتها كالكامل والمتدارك والمتقارب، أما البحور التي اختلفت تفعيلاتها فلم يخترها تلقائيا، وكانت هذه أول تجربة له في الشعر المرسل(١).

اكتشاف سر البناء بالتفعيلة

ولقد وجد باكثير أن هذا اللون من الشعر يصلح أكثر للشعر المسرحي أو المسرح الشعري، فكان اكتشافه لسر البناء بالتفعيلة؛ بمعنى أن تكون وحدة نغمية تتلاحق بتدفق دون نظر إلى الحيز الذي تشغله(٢)، ومن ثم فقد خضعت له تفعيلة المتقارب (فعولن فعولن فعولن فعولن) أثناء الترجمة(٣). لذا فإن س. موريه صاحب كتاب «حركات التجديد في موسيقى الشعر الحديث» (ترجمة سعد مصلوح)، يرى أن قصيدة باكثير التي نشرها في مجلة الرسالة عام ١٩٤٥م بعنوان «نموذج من الشعر المرسل الحر» تعد إحدى تجربتين مهمتين لايمكن إغفالهما، لأنهما دفعتا الشعر الحر خطوة إلى أمام.

يافرنسا اسمعي

ولعل القصيدة التي يقصدها س. موريه هي قصيدة «يافرنسا اسمعي» المنشورة في ٢٥ حزيران/ يونيو عام ١٩٤٥م بمجلة الرسالة، التي يقول باكثير في مقطعها الأول(٤):

عجبا كيف لم تعصف بالدنى زلزلة؟
كيف لم تهوِ فوق الورى شهبٌ مرسلة؟
يا لها مهزلةْ
يا لها سوْءة مخجلة
مثلت دورها أمة تدّعي - ضِلّةً - أنها من كبار الدولْ
سلَّمت للمغيرين أوطانها لتواري في سوريا وفي لبنان الخجل
أمة ولت من وجه العدو فرارا
من ضربته الأولى انهارت ككثيب الرمل انهيارا
خاست بمواثيق أحلافها الباسلين
الذين توافوا إلى أرضها منجدين
ثم خرّتْ ساجدةً تحت أقدام أعدائها المعتدين

محاولات وتجارب سابقة

ويعلن باكثير أنه ليس له فضل ريادة هذا اللون من الشعر، وإنما سبقته محاولات وتجارب في ذلك، ففي اللقاء الذي أجراه فاروق شوشة مع علي أحمد باكثير لتلفزيون الكويت قبيل وفاة باكثير، يقول الرجل: «هناك محاولات من جميل صدقي الزهاوي الشاعر العراقي، اقتصر فيها على إرسال البيت من القافية، فالأبيات كما هي في الشعر العربي القديم، إلا أنه أطلقها من القافية، وسمّاها بالشعر المرسل، ثم جاء بعد ذلك الأستاذ محمد فريد أبو حديد، ونظم نظما مختلفا عن هذا لأنه أرسل البيت من القافية، وزاد على ذلك بأن اعتبر الشطر بيتا»(٥).

كان بودي لو أتابع

وعلى الرغم من ريادة باكثير لهذا الشكل من الشعر أو اختراعه له كما يقول كمال النجمي، فإنه لم يتابع نمو التجربة وتطورها على أيدي الشعراء اللاحقين، فعندما سأله فاروق شوشه - في اللقاء السابق ذكره - عن مستقبل هذا الشعر من خلال دواوين بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وصلاح عبدالصبور، أجاب بقوله: «الواقع أنا قليل القراءة لمثل هؤلاء - مع الأسف - لأنني شُغلت بأشياء كثيرة، وأنت تعرف أن الوقت ضيق، وكان بودي لو أتابع».

اعتراف السياب

ولقد حاول عدد كبير من النقاد والأدباء المحدثين أن ينسبوا ريادة الكتابة في هذا الشكل الجديد لكل من بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبدالوهاب البياتي.. وغيرهم، ولكن السيّاب يعترف صراحة بريادة باكثير للشعر الحر فيقول: «إذا تحرينا الواقع وجدنا أن الأستاذ علي أحمد باكثير هو أول من كتب على طريقة الشعر الحر في ترجمته لرواية شكسبير «روميو وجولييت»، التي صدرت في كانون الثاني/ يناير عام ١٩٤٧م بعد أن ظلت تنتظر النشر عشر سنوات» (٦).

تخليه عن الشعر

ولكن باكثير انشغل بعد ذلك عن الشعر

بعـامة، ولعل من الأشـياء التي انشـغل بها اتجاهه لكتابة المسرحية النثرية، فهو يرى أن النثر هو اللغة المثالية للمسرحيـة ، فبعد تجاربه الطويلة في المسرح رأى أن النثر هو الأصلح لأن يكون لغة للمسرحية مهمـا كان موضوعها شـعريا(٧). وهو بهذا يعلن عن تخليه تماما عن الشعر، ومن ثم فإنه لم يشتهر لدى الأجيـال التـاليـة له على أنه شـاعـر، ولكن اشتهـر بكونه كاتبا مسـرحيا ومؤلفـا روائيا، الأمر الذي دعا كـلا من الشاعـر الدكتور عـبده بدوي والدكتور محمـد أبي بكر حميد إلى الحديث عن علي أحمد بـاكثير بوصفـه شاعرًا، فقـدم د. عبده بدوي كتـابه «علي أحمـد باكثير شاعـرًا غنائيا»، وصـدر عن حـوليـات كليـة الآداب ـ جـامعـة الكويت عام ١٩٨١م (١٤٠٠هـ). أما د. محمد أبو بكر حميد الأستاذ في جامعة الملك سعود فيعد من أكثر الناس حـرصا على تراث باكثيـر الشعري والنثـري، ولديه مخطوطات كـثيـرة لم تر النور بعـد، ولكن يـدفعـهـا للنشـر كلمـا سنحت الفـرصة لذلك، وهو على اتصـال دائم بعـائلـة باكـثيـر للحـصـول على أية مـخطوطات أو رسـائل أو معلومـات عن الرجل وعصره، وهو يرى أن باكثير ظُلِم كثيـرا في أخريات حياته وبعـد مماته. يقول د. أبو بكر حميد بعد أن تحدث عن جهود باكـثيـر الأدبية ونجاحـه الأدبي الكبيـر: «ورغم هذا النجـاح والجـرأة والجـد إلا أن أديبنا قد لقي فـي السنوات العشر الأخـيرة من حـياته الكثيـر من الجحـود والنكران، حين وجـد قـومـا يشنون حـربا طـاحنة عليـه، ويصـرون على إطفـاء نوره من خـلال إبعـاده عن خشبة المسرح، وإغـلاق أبواب النشر في وجـهه، وسحب الأضواء عنه، ثم مهاجمة حفنة من النقاد المأجـورين له، إلى جـانب تجـاهـل دوره البنّاء في تاريخ المسـرح العـربي، ونكـران دوره الريادي التجـديدي في المسرح الشعري العربي، وأثره في تطوير الرواية العربية التاريخية» (٨).

إحياء دور باكثير الأدبي وبخاصة الشعري

وفي إطار إحيـاء دور باكثير الأدبي، وبخـاصة الشـعري، قام د. أبو بكر حـميد بتـحقـيق وتقديم ديوان باكـثيـر: «أزهار الربى في شعـر الصبـا»، وصـدرت طبعـتـه الأولى عن الدار اليمنية للنشـر والتـوزيع عـام ١٤٠٨هـ (١٩٨٧م)، ووقع في حـوالي ثلاثمـائة صـفـحـة من القـطع المتـوسط، واشـتـمل على ١٣٨ قـصيـدة من القـصـائد التي كـتـبـهـا الشـاعـر في صـبـاه وأثـناء وجـوده في حـضرمـوت وأندونيسـيا. وقـد قسَّم المحقق هذه القـصـائد إلى الأبواب التـاليـة: باب الأدب، باب الوصف، باب النسيب، باب الإخـوانيـات، باب الاجـتـمـاعيـات، باب الرثـاء، باب الاسـتيـحـاء والتـشـطيـر. ولدى مـحـمـد أبي بكر حـمـيـد أيضامجموعة ضـخمة من القصـائد المصورة التي نشـرها باكـثير في الـصحف والمجلات العربيـة والإسلامية في كل من حـضرمـوت وأندونيسيا وسنغافورة والحجاز ومصر.. وغيرها.

وقد قـام بترتيبـهـا حسب تاريخ الـنشر تمهـيدا لطباعتها في كتاب مـستقل. ويرى أبو بكر حميد أن شعـر باكثير المنشـور لايشكِّل إلاّ حوالي ٣٠٪ من مـجـمـوع شعـره كله الذي لايزال مـعظمـه مخطـوطا، باستـثناء ديوان شعـره في حضـرموت الذي طبـع تحت عنوان «أزهار الـربى في شـعـــر الصبا»(٩).. ويضيف: «إن شعر باكثير كاملا من الممكن أن يصنف في دواوين ثلاثة تضم شعره في حضـرموت والـحـجاز ومـصر، وبدون هذا العـمل لايمكن الحكم على باكثير شاعرًا»(١٠).



علي أحمد باكثير

الحكم النقدي على شعر باكثير

وعلى الرغم من مقولة د. حميـد السابقة، فقد حكم د. عبـده بدوي على شعر باكـثير ووصـفه: «بصـرامة الـقالب الشـعري، والحضـور الشـديد للتـراث العـربي والمواريث الإسلامـيـة، وشـدة الانفـعال ـ لا الـفعل ـ بالأحـداث التي كـانت تمر بأمته وبه، وعدم المعـاودة والصقل الفني لكثير من الشعـر الذي قـاله، وعـدم التـعـامـل مع العناصـر الدرامية في القصـيدة. ولكن يبقى له ـ على الرغم من الصمت المضـروب عليه ـ أنه في بعض شعـره تجاوز الطريقة الشطرية الخليلية، وتجديد الموشحات وطريقـة مااصطلح عليه في عصـره باسم «الشـعر المرسل»، واسم «مـجـمـع البـحـور»، وذلك حين تعامل بنضج واقـتدار مع تفعيلة بحـر المتقارب من غير تقيد بعدد من التفعيلات في كل بيت»(١١).

عدة محاور في شعر باكثير

وقـد تحدث د. عـبده بـدوي في كتـابه «علي أحمـد باكثيـر شاعرًا غنـائيا» عن عدة مـحاور في شعـر باكثير، منها: الحب (حـيث تختلط قضـية الحب عنده بقضية الموت)، ومصر (ويلاحظ عبده بدوي أن باكـثيـر كان يقـوم بعـمليـة توفـيق بين المصرية والعـروبة، وقد كانت عملية الـتوفيق هذه وراء أول مسرحية ألفها فـي مصر وهي مسرحية «أخناتون ونفرتيتي»). وعـلى الرغم من أنه غنى غناءً مُشجيا لـلثورة فـإنه لاتوجـد له مـواقف حـاسمـة في العـديد من القـضـايا السياسـية الداخلية في مصر، كـما أنه كان على علاقـة قوية ووطيدة بأشهـر أدباء مصر في عـصـره، وقـد رثى الكثيـر مـنهم عند وفاتهم، فقد رثى ـ على سبيل المثال ـ العقاد بقصيدة يقول في مطلعها:

كيف نرثيك يا أبا الشعراء
أنت فوق الرثاء، فوق العزاءِ

كـمـا أنه رثى المازني ومـحـمـود سـامي البـارودي وحـافظ إبراهيم وأحـمد شـوقي، وكـتب قـصائد يجـامل بهـا أصـدقاءه: عـزيز أباظة وصـالح جودت وزكي طليمات والمثّال أنور عبدالله. وله أكثر من قصيدة في نجيب محفوظ يقول في واحدة منها:

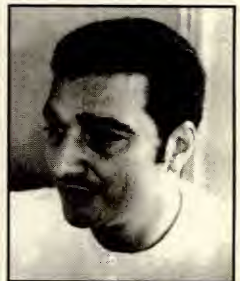
صديقي ياصديق الروح والغاية والعمر
وعدت الله أن تبقى هدى في أمة العرب
فأنت الحجة الكبرى لها في الفن والأدب
فليتك يا نجيب تعيش ما سيعيشه أدبك
إذن خُلِّدتَ في الدنيا كما خُلّدت في كتبك

الشكل الشعري عند باكثير

ومن المحاور التي كتب عنها عبده بدوي أيضا: باكثير والعرب (وقـد ركز على قضية فلسطين في شعره) وباكـثير والإسلام، والأناشيد عند باكـثير، وأخيـرًا قـضـيـة الشكل عـنده، ولعل هذا المحـور الأخيــر يعـد من أهم المحـاور التي كـتب عـنهـا

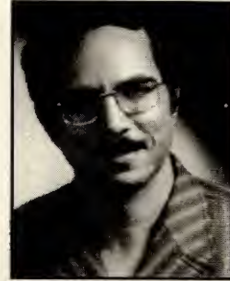
علي أحمد باكثير
رائد الشعر التفعيلي

المؤلف؛ فالشعر عند باكثير يركز على الجانب السمعي أكثر من الجانب البصري، وهو يعد بهذا امتداداً لمواريث القصيدة العربية، كما يتحقق في هذا الشعر ائتلاف اللفظ مع الوزن؛ بمعنى أن تكون الأسماء والأفعال تامة، وأن يكون كلٌ في مكانه الصحيح في غير اضطرار إلى نقص أو زيادة أو تقديم ما يجب أن يؤخر وتأخير ما يجب أن يقدم... وماإلى ذلك. ويميل شعر باكثير بعامة إلى البحور القصيرة، وإلى القافية الجزلة، وإلى المواريث الخاصة بالقصيدة المحكمة، وإن إضافته الحقيقية داخل هذا الشكل تكمن في شعره الذي تسود فيه روح الدراما، واكتشافه أن البحور التي


فاروق شوشة


محمد فريد أبو حديد


د. محمد أبو بكر حميد


د. عبده بدوي

تصلح للشعر الجديد هي التي تتكون من تفعيلة واحدة مكرّرة كالكامل والرجز والمتقارب والمتدارك والرمل. وبالإضافة إلى هذا فقد أدرك باكثير أن بحر المتدارك يعد أصلح البحور كلها لهذا الضرب من الشعر.

ألف بيت من الكامل

إنه لم يفعل ذلك عن عجز في الكتابة في البحور الأخرى، ولكن عن قوة واقتدار وتمكّن، وإذا ألقينا نظرة على قصائد ديوان «أزهار الربى في شعر الصبا» فسنجد أنه يحتوي على ١٣٨ قصيدة، وقعت في حوالي ٢٧٥٠ بيتًا شعريًا موزونا مقفى، توزعت على ١٢بحرا شعريا، كانت النسبة الغالبة فيها للبحر الكامل (التام والمجزوء) الذي جاء منه أكثر من ألف بيت، يليه البحر الطويل الذي جاء منه حوالي ٤٥٠ بيتا، ثم الخفيف (التام والمجزوء) حوالي ٣٧٥ بيتا، فالوافر ٣٤٥ بيتا، فالرمل (التام والمجزوء) ١٨٥ بيتا، فالبسيط ١١٠ أبيات (منها أربعة أبيات من مخلع البسيط)، فالمتقارب حوالي مئة بيت، فالسريع ٤٥ بيتًا، فالرجز (التام والمجزوم) ٤٠ بيتًا، فالمجتث ٤٠ بيتًا، فالهزج أربعة أبيات، فالمنسرح بيتان.

أربعة بحور في سبعة أبيات

وقد احتوى عدد قليل من القصائد أو المقطوعات على أكثر من بحر واحد. مثال ذلك مقطوعة «حكمة مبتكرة» المكونة من سبعة أبيات، وجمعت بين أربعة بحور شعرية هي: البسيط ومجزوء الرمل والكامل والمجتث. يقول الشاعر في هذه القصيدة:

لاتخفِ سرك من يرجو إذاعته
فربّ سرٍ إذا أخفيته ظهرا
حسب بطن المرء ماقد
قاله خيرُ الخيارْ
كوز ماء ورغيف
وعلى الدنيا البوارْ
عَبَدَ الأنامُ المالَ حتى إنهم
في كسبه ارتكبوا الحرام وجاروا
ومَحَوْا من الدينار نقطة ذاله
حبًا لذاك وأصله ذي نارُ
أن يصبر المرء خير
من أن يكون جزوعا
فلاتكن من قضاءِ
قضاه ربي هلوعا

وهناك أيضا مقطوعة بعنوان «انظر» مكوّنة من ستة أبيات، وجمعت بين ثلاثة بحور شعرية هي: الكامل والسريع والمنسرح، يقول فيها الشاعر:

انظر إلى بدر السما متألقا
حَفّتْ به شُهُبُ النجوم السطّعُ
فكأنها وزراؤه وكأنه
ملك على كرسيِّه متربعُ
ورحبة لي كاعب ناهد
لاتبرح العقربُ في صدغها
خفت عليها فإذا هي قد
سلمها الرحمن من لدغها
انظر إلى ذا الهلال منتصفا
ودونه النيّران تأتلق
يشبه كفًا من فضة صنعت
تلتقط الدرَّ وهو مفترق

الرغبة الكامنة لتجاوز الإطار العروضي التقليدي

ولعل هذا التنوع في استخدام البحور الشعرية في أكثر من مقطوعة في فترة مبكرة من عمر الشاعر، يشي بالرغبة الكامنة لديه لتجاوز الإطار العروضي التقليدي إلى آفاق أكثر رحابة وسعة، وهو ماوجده في الشعر المسرحي أو المسرح الشعري. ولعل مسرحيات أحمد شوقي الشعرية التي عرفها الشاعر علي أحمد باكثير أثناء وجوده في الحجاز عام ١٩٣٢م، قد ألهبت حماسته للاتجاه إلى كتابة هذا اللون الأدبي الذي أخذ يصب فيه همومه الشخصية والوطنية الإسلامية بعد ذلك.

الهوامش:

١ـ انظر: لقاء فاروق شوشه مع علي أحمد باكثير في التلفزيون الكويتي عام ١٩٦٩م، الذي أعيد نشره في مجلة «اليمن الجديد». وانظر أيضا: د. عبده بدوي: «علي أحمد باكثير شاعراً غنائيا»، الكويت: حوليات كلية الآداب ـ الحولية الثانية ١٩٨١م (١٤٠٠هـ) ص٣٦. وانظر أيضا: د. محمد عبدالمنعم خاطر: باكثير والشعر المرسل، باكثير وبداية الشعر الحر، القاهرة: مجلة الكاتب، العددان ٢٠١، ٢٠٦، ديسمبر ١٩٧٧م، مايو ١٩٧٨م.

٢، ٣ـ عبده بدوي، مرجع سابق، ص٣٩.

٤ـ د. محمد أبو بكر حميد: شعر علي أحمد باكثير المنشور في الصحف والمجلات من ١٩٢٩ إلى ١٩٦٩م (معد للطباعة). ولعل س. موريه يقصد هنا شكل القصيدة المفردة، وليس الشكل المسرحي الذي كتبه باكثير قبل هذا التاريخ.

٥ـ لقاء فاروق شوشه السابق مع باكثير. وانظر أيضا: د. عبدالمنعم خاطر، المرجع السابق وفيه يقول: «وإنصافا للحقيقة يجب أن نفرق بين ترجمة «روميو وجولييت» التي لم تبعد كثيرا عن تجارب أبي حديد في «ميسون الغجرية» و«خسرو وشيرين» و«ماكبث»، وبين هذه المسرحية التي اعتمدت على التفعيلة الواحدة من بحر الرمل (فاعلاتن)، ثم أخذت تدور بها في البيت الواحد ست مرات، وقد تنقص عنها ولاتزيد عليها إلا في النادر، وإن كانت هذه التفعيلة الواحدة قد تعرضت كثيرا لعيوب الخبن والخبل، واضطربت اضطرابا صار فيما بعد ـ وياللأسف ـ سمة من سمات الشعر الحر».

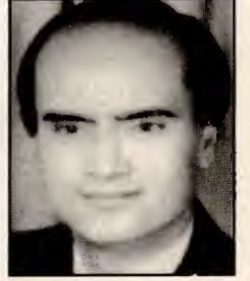
٦ـ مجلة الآداب، عدد رقم ٦ حزيران/ يونيو ١٩٥٤م، السنة الثانية، باب مناقشات ص٦٩.

٧ـ لقاء فاروق شوشه السابق.

٨ـ محمد أبو بكر حميد: ديوان علي أحمد باكثير: «أزهار الربى في شعر الصبا»، الداراليمنية للنشر والتوزيع، ط١. ١٤٠٨هـ (١٩٨٧م) ص١٠.

٩، ١٠ـ انظر مقدمة محمد أبي بكر حميد لشعر علي أحمد باكثير

العيد وجهك



شعر:
رفعت عبدالوهاب محمد
«المرصفي»



«إلى "أبها" الفاتنة التي مارأيتها إلا بعيونِ من تغنَّوا بها من الشعراء فصارت في الفكر أغنيةً وفي القلب أمنيات».

العيدُ وجهُكِ - "ياأبْها" الأغَاريدِ
كَمْ غرّد الشعرُ في رُباك مقتطفا
واسترْسَلَ النثْرُ فازدادت عذوبتهُ
وأشْرقَتْ ريشةُ الرّسام وابتهجتْ
يانفحةً من جنَان الخُلد صافيةً
سُمِّيتِ "أبْها" - فما أبهاكِ رائعةً
عشقتُ فيك الروابي النُّضر أغنيةً
كم شدّني الشوق كي ألقاكِ فاتنتي
قلبي لديكِ - برغْم البُعد منتشيا

يامُنيةَ النفس - يافوّاحَة العُودِ
من كل رابيةِ أحلى الأناشيدِ
كأنّ في كُمِّهِ ألفًا من الغيدِ
وأصبحَ الرسمُ في زَهْوٍ وتَمْجيدِ
بُثّتْ تُعطِّرُ في أسطورةِ البيدِ
ضمّتَ فصوصَ السّنا - أشْهى العَناقيدِ
تعانقُ القلبَ في شَدوٍ وتَرْديدِ
ليمرحَ القلبُ في عِطْرِ المَواعيدِ
يازهرَةَ "الفَهْدِ" - يارَوْضَ المَحاميدِ

إميل زولا
رائد الرواية الطبيعية

أحمد الحسين

في الثاني عشر من نيسان/ أبريل سنة ١٨٤٠م، ولد إميل زولا. كان أبوه مهندسًا إيطاليًا. وأمه فرنسية، وفي سنة ١٨٤٧م أصبح يتيمًا ترعاه أمه الشابة.

درس في مدينة إكس، ثم عاد إلى باريس مع أمه، فألحقته بكلية القديس لويس، ولكنَّ النجاح لم يحالفه مرتين، فترك مقاعد الدراسة، وبات لزامًا عليه أن يسلك في الحياة طريقًا آخر، ويبحث عن عمل يكون مورد عيش له ولأمه.

عامل في الجمارك

كانت المحطة الأولى في حياة زولا تعيينه موظفًا في الجمارك سنة ١٨٦٠م، براتب شهري متواضع قدره ٦٠ فرنكًا. ولم يكن هذا العمل ليرضي طموحه، لا من حيث المكانة الاجتماعية، ولا من حيث الأجر، وقد كشف عن ضجره، وباح بآلامه النفسية إلى صديقه باي قائلاً: "كنت أخبرتك في رسالتي الأخيرة عن عزمي على الالتحاق بإدارة من الإدارات كعامل في أقرب فرصة ممكنة. وقد كان هذا التصميم يائسًا غير معقول. لقد تحطّم مستقبلي، وقُدِّر لي أن أتعفّن فوق قش كرسي، وأن أعذّب نفسي، وأبقى مربوطًا بعجلة الروتين"(١).

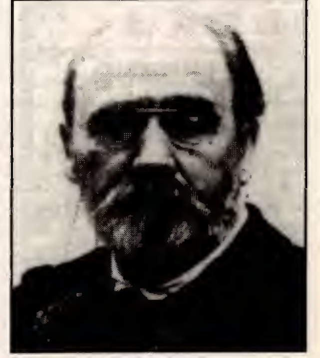
كل شيء أو العدم

وسرعان ماترك زولا العمل غير نادم على شيء، وانصرف إلى القراءة ، والرحلات، وأخذ يكتب إلى الصحافة، تراوده أحلام المجد الأدبي. وكانت روايته "غانيات بروفانس" باكورة مؤلفاته، وثمرة رحلاته الريفية. صحيح أنها لم تحقّق له شهرة كما كان يأمل، ولكنها وضعت قدمه على دروب الإبداع. وجعلته يفكّر جديًا بامتهان الكتابة، واحتراف الأدب، فكتب ثانية إلى صديقه باي سنة ١٨٦٠م قائلا: "فيما يتعلق بالمستقبل فلست أدري ماإذا كنت سأمتهن المهنة الأدبية بصورة نهائية. إنني متمسّك بشعاري: كل شيء أو العدم. ومن ثم لاأريد أن أسير على آثار أحد، لا لأنني أطمع في لقب زعيم مدرسة، ولكنني أرغب في إيجاد طريق مجهول، وفي الخروج على جمهور كتّاب زماننا"(٢).

والواقع أن زولا كان كثير الانتقال، كبير الطموح، نشيطًا، ذا أفكار جريئة وعملية، فقد عرض على باي ، وسيزين، وفلوبير، والأخوين جونكور، ودوديه، تأسيس رابطة أدبية. وأدرك أهمية الصحافة في تعميم اسمه وتوسيع دائرة شهرته، فكتب لها بغزارة، وآثر العمل في مؤسسة هاشيت المختصة بترويج الكتب، ليستفيد من خبرة أدباء عصره، ويلتقي المشاهير منهم آنذاك كجيزو، ولامارتين، وسانت بوف، وتين وغيرهم. ولايعني هذا أن الطريق أصبحت أمامه ممهدة ومفتوحة؛ فكم واجه زولا من إخفاقات، وكم لاقى من صعوبات، ولكنه دائمًا يظل مصرًا على المقاومة، ويرفض اليأس والاستسلام. وكان يعرف كيف يحوّل إخفاقاته إلى دروس، ومحطات تدفعه للمضي إلى الأمام باستمرار.

بين الرومانسية والواقعية

عاد زولا من جديد يلحّ على فكرة التميّز والاختلاف عمّا هو سائد في عصره، فهاجم الرومانسية بعنف، وانتقد الواقعية، وشرع يدعو إلى مذهب روائي يجعله إمام مدرسة وزعيم تيار. فكان يأخذ على الرومانسية إغراقها في العواطف والمثاليات التي تحجب الواقع، وتزيّف الحقائق(٣). أمّا الواقعية -وإن لم ينتقدها بقوة- فهي لاتنفذ - في رأية - إلى أعماق الحياة، وأسرار المجتمع. بل تكتفي بالوصف الظاهري، والتصوير الخارجي، والواقعيون يظلون سابحين على وجه الحياة، ولايغوصون في أعماقها. ومن ثم فإن الواقعية - كمذهب - لاتستطيع أن تدّعي أنها تعبّر عن الواقع كما هو، إنها تغيّر، وتبدّل حسب الستّارة الواقعية ذاتها، وقد وضّح ذلك بقوله مخاطبًا الروائيين الواقعيين: "إنّ الستارة الواقعية هي زجاجة بسيطة، رقيقة جدًا، وهي تزعم أنها من كمال الشفافية بحيث إن الصور تخترقُها، وتتحقّق بعد ذلك بكامل حقيقتها الواقعية.



إميل زولا

وهكذا فلاتغيّر أبدًا في الخطوط، وفي الألوان. ومهما تقلُّ هذه الستارةُ فهي موجودة، وهي لاتستطيع من بعد أن تفخر بأنها قد جعلت لنا الإبداع في جمال الحقيقة الرائع، ومهما تكن صافية رقيقة، زجاجية، فهي لاتَعْرى من لون خاص بها، وسماكة خاصة، إنها تصبغ الأشياء، وتعكسها كأيّ شيء آخر"(٤).

وهكذا مضى زولا ومن خلال مفهوم "الستار" يهاجم المذاهب الأدبية، فكما أنّ "زجاجات ذات ألوان مختلفة تعطي الأشياء ألوانًا مختلفة"(٥)، كذلك المذاهب الأدبية تغيّر أشكال الظواهر بطريقة تشوه الواقع، خاصة إذا كانت عاجزة عن تجديد أدواتها المعرفية، بعيدة من منجزات العلوم، ونتائج الأبحاث العلمية.

ماذا يريد زولا أن يقول من خلال هذه المقدمات النظرية؟ وإلامَ يرمي من زعزعة بناء تلك التيارات السائدة في عصره؟

مايريد أن يصل إليه بات واضحًا، وهو المطالبة بهجر تلك المذاهب المتكلّسة، والتبشير بمذهب جديد في الرواية، يكون قادرًا على حل، واستيعاب كل الإشكاليات التي أثارها بانتقاداته، وهذا المذهب هو «الرواية الطبيعية».

الرواية عمل اجتماعي – علمي

وزولا كما يعلن، لاينطلق من فراغ، ولايبني دون مقدمات، فالرواية الطبيعية هي تأسيس قام به على أرضية من أعمال ديدرو، وستاندال، وبلزاك، وفلوبير، ولكنه كمنظّر لهذا الاتجاه أرسى الملامح الأساسية، والنقدية للمدرسة الطبيعية، ومن خلال آرائه اكتسبت هذه المدرسة وهجًا وألقًا ساحرين(٦). فماالأفكار التي تحدّد هُوية الرواية الطبيعية، كما ساقها زولا، ودافع عنها بحماسة منقطعة النظير؟

ينظر زولا إلى الرواية على أنها «عمل اجتماعي– وعلمي في آن واحد، والروائي ليس واصفًا لظواهر المجتمع، بل يجب أن تكشف أعماله قوانين الحياة الاجتماعية»(٧)، وهذه الرؤية تتجاوز البناء الفني إلى المحتوى والهدف اللذين يجب أن تنطلق منهما مهمة الروائي، ووظيفة الرواية، وهي رؤية مشحونة بتيارات العلوم التجريبية، ومناهجها التي تحتّم على الروائي -كالعالِم- أن يأخذ بالملاحظة، والاستقصاء، والتحليل، والتصنيف.

ويبدو أنّ الاندفاع إلى العلم، والبحوث العلمية قد غمر زولا بقوة، فأقبل على قراءة مصادر الفكر التجريبي، وأبرزها كتاب: «بحث في الوراثة» للوكاس، و «أصول الأجناس» لداروين، و «المدخل إلى الطب التجريبي» لكلود برنارد.

وكان برنارد، من خلال أبحاثه، قد أثبت إمكان الاستفادة من الطرق والمناهج العلمية المطبقة على المواد الخام، في دراسة الأجسام الحيّة.

أمّا زولا فقد مضى في هذه الفكرة إلى أبعد من ذلك بكثير إذ دعا إلى تطبيق تلك المناهج والاستفادة منها في ميادين الحياة العاطفية، والفكرية مؤكدًا على الروائي أن «يدخل في الطرق العلمية الخاصة بالطبيعة، ثم البراهين القاطعة التي تقدمها هذه العلوم»(٨).

وبلغ من تأثره بالمنهج العلمي حدًا جعله يوائم بين «العالِم» والراوئي، وبين التجربة العلمية والتجربة الروائية، وفي ذلك قال زولا بوضوح: "إن الرواية الطبيعية هي تجربة حقيقية، يجريها الروائي على الإنسان مستعينًا بالملاحظة»(٩).

ويشرح لنا زولا الطريقة التجريبية لدى الروائي، وماتقوم عليه من «تحريك الأشخاص في تاريخ خاص لتدل على أن تتابع الحوادث يكون كما تفرضه حتمية الظواهر المعروضة للدرس، ويجب أخذ الحوادث من الطبيعة. ثم درس آلية الحوادث بالعمل فيها، وتبديل المناسبات، والبيئات دون الابتعاد أبدًا من قوانين الطبيعة»(١٠).

روجون – ماكار

وقد انتقل زولا من التنظير إلي التطبيق، فبدأ تفكيره في عمل أدبي ضخم، يعبِّر عن تصوراته الأدبية، يكون الخيط الأساس فيه منطق الوراثة، أما الإطار التاريخي له فهو مجتمع الإمبراطورية الثانية، وإذا تحرينا الدّقة أكثر نقول: فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر كله.

فاستقر رأيه على كتابة رواية «روجون – ماكار»، أو مايعرف بالتاريخ الطبيعي لعائلة في عهد الإمبراطورية الثانية.

كان زولا قد أنهى مخطط هذه الرواية سنة ١٨٦٩م. ثم بدأ يتردد على المكتبات يجمع الوثائق، والبيانات، والإحصائيات، والتقارير التي تصف الحياة العامة، كما شرع في دراسة شجرة النسب لعائلة روجون - ماكار، وتتبّع سير أفرادها وحيواتهم. ولم ينسَ العودة إلي مصادر الفكر التجريبي مرة أخرى لينهل منها جرعة فكرية، وفلسفية، تسعفه في تمثّل هذا المنهج، والاستفادة منه في مشروعه الروائي الكبير. وقد كتب حول ذلك قائلاً: «إنني أريد أن أكتب التاريخ الطبيعي والاجتماعي لعائلة في عهد الإمبراطورية الثانية. أمّا المرحلة الأولى من هذا التاريخ، التي هي ثروة روجون، فهي تقصُّ قصة الانقلاب، والانتهاك الوحشي لحُرمة فرنسا، وأما المراحل الأخرى، فستكون لوحات، وعادات مأخوذة من كلّ العوالم التي تقصُّ: سياسة العهد، ماليته، محاكمه، ثكناته، كنائسه. لقد جمعت خلال ثلاث سنوات، وثائق مختلفة. ولكن ماكنت أجده دائمًا أمامي هو أحداث وسخة، ومغامرات لاتكاد تُصدّق»(١١).

وفي هذا المشروع شرَّح زولا المجتمع الفرنسي في مختبر الرواية الطبيعية، وكانت النتائج التي كشف عنها مرعبة، قاسية، قاتمة، مزرية، فقد نبش من الأحداث واستحضر من الشخصيات، وحلّل من الطباع الكثير ممّا لايجسر أحد على الاقتراب منه، وإثارته كموضوع روائي– أدبي.

إميل زولا

رائد الرواية الطبيعية

وكلما صدرت رواية من سلسلة روجون، ازدادت حملة العداء ضده بين أوساط المحافظين، واتسعت دائرة الدهشة في عيون القراء الذين لم يتصوروا من قبلُ أنّ أحداثًا ومغامرات كهذه جرت من حولهم، وفي مجتمعهم، في الظل والخفاء.

وعلى مدى عشرين عاماً ونيف (١٨٧١-١٨٩٣م) أصدر زولا عشرين جزءاً من روجون ـ ماكار، يعدُّ كل جزء منها عملاً منفصلاً عما سواه، ولكنه في الوقت ذاته يشكل لبنة أساسية في البناء الروائي الشامل حيث «يتكرر ظهور الشخصيات في حكايات منفصلة لكل منها نهايتها الخاصة، لكنها مرتبطة فيما بينها برباط قوي يجعل منها كّلاً واحداً واسعًا»(١٢).

ومن أشهرها: ثروة آل روجون، الوليمة، بطن باريس، غزوة بلاسان، خطأ الأب مورا، صاحب السعادة أوجين - روجون، الحانة، نانا، جرمينال، الأرض، الحلم ، وسواها .

في هذه الروايات مزيج مدهش بين العام والخاص، المكشوف والمستور، السامي والوضيع، وفيها حشد هائل من الأسماء، والشخصيات، كما أنها -وبجرأة غير معهودة- رسمت صورة المؤسسات العامة، وماكانت عليه من انحطاط، في القيم والعلاقات والقوانين. لقد أودع زولا كل ذلك في رواية روجون ـ ماكار التي «ضمّت عشرين جزءاً في واحد وثلاثين مجلداً، وحوت ألفًا ومائتين من الشخصيات المختلفة»(١٣).

لقد أنهى زولا هذه التجربة الاجتماعية العلمية سنة ١٨٩٢م وكتب مخاطبا شاربنتيه: «هاأنذا تأخذني رغبة ثائرة في الانتهاء من سلسلة روجون - ماكار في أقرب فرصة ممكنة، إنني أريد أن أتخلّص منها، وهذا ممكن، ولكن يجب أن أعمل بحزم وقوة.. آه ياصديقي لو لم يكن لي غير الثلاثين ربيعًا لرأيت ماأصنع، كنت أدهش العالم»(١٤).

عاصفة من غبار

على أنّ هذه الدهشة التي صنعتها أعمال زولا، جلبت له ـ في الوقت نفسه ـ عاصفة من نقد التقليديين المحافظين الذين ثاروا في وجه الجديد، منددين بطريقة زولا، وبالنتائج التي كشفتها رواياته، ولاسيما رواية روجون - ماكار، فاتهموه بالفضائحيه، والانتقائية، والولع بالنادر، وبما لايجوز أن يبرزه الأديب في أعماله، بل يظل مدفونًا، مطموراً. وقد رأى فيه بعضهم كاتباً تعمّد الإساءة إلى الشعب، والحياة، والتاريخ، فطالبوا بنزع لقب الأستاذية عنه كما جاء في بيان الخمسة(١٥) : روسني، دوكاف، بونتان، بول مرغريت، غوستاف جيش.

أنا روائي فقط

أمّا زولا فقد ظلّ على موقفه النابع من الالتزام بالصدق، والموضوعية، والحقيقة، فكتب إلى خصومه في مقدمة رواية جرمينال: «ليس هدفي أنْ أقوّم أو أدافع عن سياسة أو عقيدة، فإني مجرد ملاحظ، ومحلّل. وإذا كان واجب روايتي جرمينال أن يكون لها نتيجة، هذه هي النتيجة: قول الحقيقة الإنسانية، والحرية متروكة بعد ذلك لمن يريد استخلاص النتائج من عملي»(١٦).

ويقول عن رواية الحانة التي أثارت سخط خصومه، إنها «أول رواية لاتكذب عن الشعب، وفيها رائحة الشعب، ولايجب الاستنتاج أن الشعب بكامله رديء، لأن الأشخاص ليسوا رديئين، فهم ليسوا سوى جهلة، أفسدهم محيط العمل القاسي، والشقاء حيث يعيشون»(١٧).

ويرد على ألبيرميلو مفنّدًا اتهاماته قائلاً: «إنك تعتبرني كاتبًا ديمقراطيًا، ثم اشتراكيًا إلى حدّ ما، وتدهش من أنني أرسم طبقة من العمال بألوان حقيقية محزنة. إنني أرفض العنوان الذي تلصقه على ظهري، فأنا أفهم أن أكون روائيًا فقط دون صفة خاصة، فإذا أبيت إلاّ أن تنعتني، فقل: إنني روائي طبيعي، فلا دخل لآرائي السياسية في هذا الموضوع»(١٨). ثم يضيف في دفاعه عن نفسه: «إنني أقول ماأرى، وأكتفي بالتعبير ببساطة تامة، وأترك للأخلاقيين أمر استخراج الدرس. لقد كشفت الجراح العليا، ولذلك لن أغطّي الجراح السفلى، ومؤلّفي ليس مؤلّفًا حزبيًا، ودعاويًا، إنه مُؤلَّف الحقيقة»(١٩).

في سنة ١٩٠٢م مات إميل زولا، وكان قد همس في أذن صديقه ألفريد برونو أنَّ رأسه «بحاجة إلى الراحة»(٢٠)، فكان الموت تلك الراحة المنشودة من عناء الخصومات وضجيج الصراعات.

وبصرف النظر عمّا أثير حول زولا من عواصف الحسد، وزوابع الضغينة والكراهية، فإنه كان روائيًا عبقريًا، وإنسانا مؤمنًا بالعدالة الاجتماعية، كارهًا الظلم، والكذب والرياء. منافحًا عن الحقيقة، ملتزمًا الصدق. ولعلّ أبلغ مايعبّر عن هذا ماقاله أناتول فرانس في تأبينه: «لنقلع عن الإشفاق عليه لأنه قاسى، وتألم. ولنغبطه على ماأصابه. لقد بلغ مجده ارتفاعاً لاسبيل إلى بلوغه، قائمًا فوق ركام هائل من الإهانات التي رفعتها الرعونة، والجهل والخبث. لنغبطه، فلقد شرّف وطنه والعالم بإنتاج عظيم، وعمل كبير. لنغبطه فإنّ مصيره وقلبه قد صنعا له أعظم مصير. لقد كان فترة من الضمير البشري»(٢١).

الهوامش:

١- انظر كتاب: «إميل زولا» تأليف مارك برنارد، ترجمة رمضان لاوند، نشر دار بيروت للطباعة، ص ٧.

٢- المصدر نفسه، ص ١٢.

٣- الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال، دار العودة، ص ٣٩٦.

٤- «إميل زولا»، ص ٢٢.

٥- المصدر السابق، ص ٢١.

٦- المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، تأليف فيليب فان تيغيم، ترجمة فريد أنطونيوس، نشر دار عويدات، ص ٢٥٠.

٧- المصدر السابق، ص ٢٥٢.

٨- المصدر السابق، ص ٢٥١.

٩- المصدر السابق، ص ٢٥٢.

١٠- المصدر السابق، ص ٢٥٢.

١١- «إميل زولا»، ص ٤٢.

١٢- رواية «جرمينال» لإميل زولا، ترجمة زكريا ميرزا، نشر المكتبة الحديثة، سورية، ص ٧.

١٣- «إميل زولا»، ص ١٠٨.

١٤- المصدر السابق، ص ١٠٠.

١٥- المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، ص٢٥٣.

١٦- رواية «جرمينال»، ص ٦ .

١٧- رواية «الحانة» لزولا، ترجمة بهيج شعبان، نشر دار عويدات، ص ٦.

١٨- «إميل زول»،ا ص ٤٧.

١٩- المصدر السابق، ص ٤٨ .

٢٠- المصدر السابق، ص ١٢٢.

٢١- المصدر السابق، ص ١٢٥.

دور الأسرة في وقاية أبنائها من التعاطي غير المشروع للمخدرات (٢)

إعداد : د. تماضر حسون

بنية العائلة، وتعاطي المراهقين غير المشروع للمخدرات:

تعتبر الأسرة أفضل جماعة وأحسنها لوقاية المراهق من تعاطي المخدرات، إذ كلما استطاعت تأخير إمكانية التعاطي لأبنائها، كان احتمال البدء بتعاطيها أقل، وكلما تمكنت من تثبيط همة أبنائها ونشاطهم للخوض في تجربة التعاطي، قلّت فرص الانزلاق في طرق الإدمان أمام المراهقين. وغالبا مايُكتَشَفُ تعاطي المراهقين للمخدرات من قبل الأسرة أولاً، وفي الوقت نفسه فإن كثيراً من الدوافع الأولية والأكثر خطورة للتعاطي تنبع من الأسرة، ومن ثمّ فإن الأسرة هي مفتاح الوقاية لإبعاد المراهقين عن شبح تعاطي المخدرات.

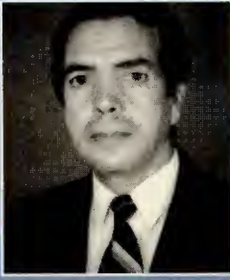
ومن المعروف أن العائلة العربية التقليدية كانت تحرص خلال عملية التنشئة الاجتماعية على تدريب أبنائها على احترام العادات والتقاليد والأنظمة والقوانين السائدة في المجتمع والعمل بموجبها. كما كانت تزرع في نفوسهم حب التعاون والإيثار والتضحية تجاه العائلة، والابتعاد من الفردية والأنانية وحب الذات، بحيث يشعر الفرد أن دوره في المجتمع ومركزه وقيمته، مستمدة من قيمة العائلة ودورها ومركزها. والعائلة حين تلبي حاجات أفرادها ـ وبخاصة صغار السن منهم ـ، فإنها تعزز فيهم سلوكًا معينًا مرسومًا وفق معايير وقواعد وقوانين اجتماعية، تتجسد من خلالها ثقافة المجتمع وحضارته ككل، وترسخ في عقول صغارها النموذج الاجتماعي المرغوب فيه للعائلة، فتحرص على تنشئة أفرادها وفق قواعد سلوكية صارمة منطلقة من قيم المجتمع وقوانينه. لذا استطاعت العائلة التقليدية من خلال تماسك أفرادها أن تؤدي دورًا رائدًا في عملية الضبط الاجتماعي لأفرادها، ومن ثمّ قلما استطاع مراهق أو حتى شاب كسر الطوق ورفض قيم المجتمع ومعاييره، أو حتى الاستخفاف بها، لأن العقاب والنبذ الاجتماعي الذي سيلاقيه يجعلانه لايتردد في العودة ثانية لحضن العائلة وقيمها وقوانينها. وتحت هذه القيم والمعاييرالفاعلة استطاع المجتمع بفضل العائلة وقاية صغاره ومراهقيه من طرق الانحراف بعامة، والتعاطي غير المشروع للمخدرات بخاصة.

إلا أن بنية العائلة وأسلوب حياتها بدأ بالتغير تحت تأثير التغيرات السريعة والمتلاحقة للعوامل المادية والثقافية والاجتماعية، وظهرت معطيات جديدة عملت على إيجاد ظروف أصابت قيم العائلة وتقاليدها وتماسكها، إذ طغت المصلحة الفردية على الأفراد وحتى صغار السن والمراهقين منهم، وازدادت شبكة اتصالات وعلاقات البالغين والصغار ـ على حد سواء ـ تعقيدًا وتشابكًا، كما ازدادت اتساعًا وانتشاراً خارج نطاق الأسرة وحدود القرابة. كذلك تسارعت حدة وسرعة الحراك الاجتماعي الرأسي والأفقي، وخفت سلطة العائلة وهيبتها، وبالتالي خفت معها عملية الضبط الاجتماعي، وطغى الطابع المادي على أسلوب حياة العائلة وأفرادها، وأفرز هذا الوضع مجموعة من المشكلات الاجتماعية للعائلة، كان على رأسها مشكلة تعاطي المراهقين غير المشروع للمخدرات.

هذا، وقد أشارت نتائج الدراسات الاجتماعية التي قامت بها مجموعة من المختصين، بأن تعاطي المراهقين للمخدرات، يبدأ عادة في سن مابين الثانية والرابعة عشر. وإذا استطاعت العائلة من خلال تماسكها، وتخفيف المسحة المادية التي تطغى على حياتها، وإيلاء عمليتي الضبط والتنشئة الاجتماعية اهتمامًا وحرصًا أكبر، فإنها تتمكن من أن تساعد صغارها منذ طفولتهم الأولى على أن يمروا خلال فترة المراهقة بسلام ودون انحرافات، ومن ثمّ تتمكن إلى حد كبير جدًا من تقليل احتمالات تعاطي المخدرات لمراهقيها مستقبلاً.

قصة قصيرة

العقد المنفلت



د. محمد مرتاض

"أخاك أخاك إنّ من لا أخا لهُ
كَساعٍ إلى الهَيْجَا بغَيْرِ سلاحِ"

وأنا طفل صغير أُهجّي الحروف، وأفكّ لغز الكلمات، تناهى إلى مسمعي أنّ أخًا قتل أخاه.. تلقّيت الأمر بعجب عُجاب. ماكنت أعتقد أن نار الغلّ وقذارة الحسة تصلان بالمرء إلى أن يزهق روح أخيه!، ثم وأنا شاب علمت بقصة قابيل وهابيل واطلعت على أسطورة (روموس ورامولوس).. تضاعف عجبي وظللت أجد تقززًا من سماع مثل هذه الحكاية، وأنفر منها ومن الشبيهة بها.. كنت وشقيقي صِنْوَيْن لم يجُدْ رَحِمُ الوالدة بأكثر منا نحن الاثنين، وبعد جفاف طال سنوات، اهتزّ هذا الرحم وربا فأنبت صبيّة بهيّة الطّلعة، طويلة الشّعر، سوداء العينين، كانت لأمي سلوتها، ولأبي الحبيبة الأثيرة حتى علينا. ظللت وشقيقي نهزأ بها، نضحك من أعماق نفوسنا كلما سهت فأخطأت أو أتت شيئًا ما. وكنّا نتحيّن الفرصة لنشنّع بها حين تلج المدرسة، لكنّها كانت ذكيّة جدًا مما فوّت علينا الفرصة المرتقبة!.. وعلى الرغم من صغر سنها، كانت ترتّب السّرر وتنظّف المنزل، وتغسل الصّحون أحيانًا، ونحن متشاغلون عنها لكوننا رجالا ولسنا نساءً!!..

كانت تحتدّ علينا ثم سرعان مايصفو حالها وتقبل علينا لتشاركنا أنسنا وبهجتنا، ولم يكن غير اسمها يتردد:

- ياسمينة: أعدّي صينيّة القهوة.
- هيئي الحمّام.
- نظّفي الطاولة.
- اغسلي هذا المنديل أو ذاك القميص أو ... أو..

وكنّا نجد رغبة سادية في إتعابها وتشغيلها دون أن نفكّر يوما في إزاحة جبل التّعب عنها أو إراحتها من مثل هذه الأشغال التي كانت تقبل عليها بنفس كريمة، واستجابة أريحيّة!

كنا في ضلالنا نَعْمَهُ، وكان قدر الله سابقًا فقُطفت هذه الزهرة الجميلة المتفتّحة الأكمام، وبقيت في قلوبنا حسرة محرقة، وغصّة خانقة لم نقدر على التخلص منها بسهولة.. مضت سنتان ونحن مضربان عن الضّحك، وما سهت شفاهنا فافترت عن ابتسام إلا وذكرنا تلك البسمة العسليّة لياسمينة.. كيف كانت تضفي علينا بهجة وحبورا، وتبعث من فيها سحرا يعطر الجوّ ويملأ الأفق بهاء ولذاذة منعشة.

بيد أن طبيعة الحياة تفترض أن يعود الماء إلى مجراه ولو بعد لأي مضْن، فقد شغلتنا المشكلات اليومية عن ياسمينة بما كانت تتمخّض عنه كل يوم من هموم جديدة متجدّدة.. عدنا إلى أنفسنا.. شقيقي (صالح) تاجر ناجح، لايكاد يمسّ شيئًا حتى يطاوعه ويلين لهُ، اتّسعت ثروته وكثرت أرباحه..أولاده يتمرّغون في الخير ويعافون الثّراء.. أما زوجه فقد أدركت ماأرادت.. حقّقت مطامحها البعيدة والقريبة.. إنّها من النّساء اللّواتي يطبقّن الدّين في الحديث بالنّعمة وإظهار زينة الدّنيا وبهجتها على ثنايا جسمها.. جيدها مزيّن بالياقوت والمرجان.. معصمها قد أثقلته الأساور والسلاسل المشبّكة، كشحها يحفه نطاق ذهبي متلألىء يكاد يخطف الأبصار!.. لكنّي أنا؟! أنا قد حُرمت هذا كله.. فلا أنا هو، ولاامرأتي لها مثل مالزوجته.. وكيف أكون أنا هو، وما أنا إلا موظّف بسيط في شركة لموادّ البناء!.. كنت من قبل أهزأ به لأنه أخفق في تعلّمه من حيث فزت أنا.. وأيّ فوز؟! حصلت على الليسانس!!.. بينما قبع هو في دهليز القسم النهائي.. كان أصغر مني.. تزوجت أنا موظّفة مثلي، عرفت معها كلّ المطاعم تقريبًا ولُقنت أسماء المأكولات الخفيفة لدى المشتغلين بذلك.. ظلّ ولداي يُقذفان مثل كرة لاخير فيها بين الجارات والخدم.. نشآ على قساوة حادة، ومُرّنا على أخلاق سافلة طبعتهما بميسمها.. ثرثرتهما

تقلقني إذا عدت أو قل إنْ عادا.. كلامهما الفضوليّ يدفع بأعصابي إلى الاحتراق.. أحدهما يمسك خيط الحديث من حيث انتهى الثاني كما لو كانا يعملان بقوة كهربائيّة لا بخلايا إنسانيّة!.. اعتبرت ذلك حذقًا ومهارة وذكاء، ثم ثبت إلي رشدي مستيقنا أن تلك خطيئة لاتغتفر، وأنّ الأبناء أهم منّي ومن وظيفة زوجتي.. لكن ماذا أصنع؟.. أمرتها أن تضع حدًّا للوظيفة ولو لفترة تتفرغ فيها لولدينا.. هزّت كتفيها كبغلة أصابها المهماز، ولم تنبس ببنت شفة، ثم رحت أنزل في درجات طلباتي حتى وصلت إلى الالتماس، مما أثقل عليها وجعلها تنطق خلْفًا إذ قالت:

- وهل عثرت على فئران في فراشك، أو وحل في أرض غرفتك؟..

أسقط في يدي وأنا أسمع غرابة الجواب.. فسّرت ذلك الصمت الناتج من الذّهول على أنّه رضا.. وصفقت الباب خلفها لتذرني في حيرة.. ماعساي أصنع؟ وشرد تفكيري بعيدًا.. حتى يوم راحتي تشتغل هي.. أية مصيبة هذه؟.. جرس الهاتف يرنّ..

- مرحبا أحمد.. أين أنت ياهذا؟.. ألا تخطئ مرّة وتأتي لزيارة شقيقك؟

- كيف الحال ياصالح؟ كيف حال حرمك وأولادك؟

- كلهم مشتاقون إليك.
- نطمع في زيارتكم هذه الأمسية.
- إن شاء الله.

أنزلت السّماعة على عجل، طار بي الخيال وطوّح بعيدًا.. الحياة حظوظ، اقترن شقيقي بعائشة الغنيّة، ورثت كلّ شيء من والدها.. آل إليه ذلكم المال.. المال.. المال.. المال.. إنه أساس السعادة.. سرّ وجودنا.. جوهر حياتنا.. إنّ أخي هذا له منزل فخم بل قصر أشمّ، وحديقة غنّاء، ومتجر يتقيأ مختلف السلع.. ليس هناك زاوية فارغة دون اكتظاظ!.. لماذا

هذا التناقض العجيب في الحياة؟!.. أخوان من أب واحد وأم واحدة، وهو سعيد في كل شيء، وأنا؟.. أنا.. أنا شقي في كل شيء!.. له الثروة والجاه والرّفعة، وليس لي إلا الفاقة والضنك والمَتْرَبَة، وكل اشتقاقات الخزي والحرمان.. في بيته السِّحر والجمال والنعيم.. زوجه حورية مقصورة في قصرها، وهو؟.. منذ صغره، وهو يحاول أن يتفوّق عليّ، أن يسقطني.. هكذا هو إذاً؟.. أبدًا يحالفه التّوفيق، ويخالفني بلوغ المرام!..

هذه الهواجس كلّها ظلت تخامرني، والوساوس الشّيطانية تقلقني وتحرضني على الانفصام، وتحضّني على أن أفعل شيئًا ما.. أي شيء لتنصرم حبّات السّخاب، وتنفلت جواهر العقد الذي يصل بيننا. أيّة أخوّة هذه التي جعلت منه عظيمًا واتخذَتْ مني قزما ساقطًا.. لم استسغ مآل إليه حال أسرتي.. لم أهضم مابلغه من شأو.. ازددتُ في نفسي غيظًا.. تلمّظت شفتاي واقشعرّ جلدي وأنا أستعيد مأساة احتضار ياسمينة.. مايبرح خيالها ماثلا إزائي بقامتها المديدة، وعيونها النّجلاء، ووجهها الوردي.. أخي صالح حمّلني ذنب مالحقها من أذى.. أجل .. عليّ أن أكون شهمًا وأعترف بذلك.. أنا صاحب الخطط الجهنمية لتشغيلها.. ياما شوّشت الفرش والأسرّة بغية التعكير عليها.. أسفي على روحها.. ماكنت إخال أنّها ستغادرنا بهذه السرعة.

عدت إلى نفسي وثُبت إلى رشدي.. لابدّ من إصلاح زوايا السقف الذي يظلل أخوّتنا، عليّ أن أسارع إلى لمّ شعث الوصال قبل أن تتراشى الخيوط وتتلاشى.. إنّه أصغر مني وعطفي عليه واجب «ليس منا من لايرحم صغيرنا ولايوقّر كبيرنا» كلمة قالها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم.

دخلت عليّ زوجي تضرب الأرض بكعب حذائها العالي.. سارعت إلى تغيير ثيابها كما لو كانت متلبّسة بجريمة سيماها على أطراف فستانها وقميصها.. التصق محمر الشّفاه بأنفها وبأعلى شفتيها فبدت كما لو كانت حيوانا عائدا لتوّه من مرعى نباته غُثاء أحْوى!.. أنبأتها دعوة صالح.. ببرود أجابتني دون التفات نحوي:

ـ أنا ميتة من الإجهاد والكدّ.

ـ ماذا تقولين؟ .. عيب .. لابدّ أن نلبي الدعوة.

ـ لابدّا!.. أعتبر هذا أمرًا من سيادتك؟!

ـ سمّيه كما تشائين.. ولكن لابدّ..

ـ آه لابدّ من الذّهاب.. اطمئنّ.

بمجرد ماأدرت مفتاح الباب عائدًا من ضيافة أخي، وزوجي تتْرع كأس فكري.. لم يطرق النّوم صفحتي عينيها.. ألفتْها فرصة لمضاعفة ثرثرتها.. كانت تضرب على أوتار قلبي بحديدة ساخنة حتّى كادت تقطع الوتين.. وظلّ زعيق حديثها ينزل على طبلتي أُذني كما لو كانت مطرقة تضرب على سندان.. لم تنم.. ولّيتها ظهري فما أفلحت.. وجّهتها وجهي فما خرست.. قلت لها:

ـ زعمت أنك ميتة من التعب. فماذا دهاك؟

ـ كنت.. ثم أيقظني النعيم الذي تتقلب فيه زوج أخيك، وأرّقتني الصّبايا الحسان اللّواتي يأتمرن في توزيع الخيرات بأمر أخيك.. كأنك لاتحسّ مثلي ولاتهتزّ، ولاتفقه.. مالك ؟ جماد لاتحركك هذه المنبهات ولاتوقظك، غافل عمّا يمرع فيه غيرك وأنت على حالك التي وُلدت عليها.. أجبني: من رحمك؟ من رثى لحالك التي أنت عليها؟.. عمل دائب، وربح قليل ضئيل!..

لقسَتْ نفسي فطرحت تساؤلا ذاتيًا: أيّ سرّ في بلوغه كلّ تلك الثّروة، بينما..

ـ لايهم.. إنّه أخي.

ـ هه .. أخوك.. الأخوّة من جانب واحد فحسب.. منك أنت فقط «إذا من عنْدي ومن عندك انتطبعْ، وإذا من عنْدي فقط انتقْطعْ». لماذا هو لم يتحرّق شوقًا إلى إعانتك، ولم يتلظّ نارًا من أجلك.. من أجل ماتشقى فيه أنت وتَضْحَى طوال النّهار.. لو كان أخاك حقًا لأشركك في الربح معه، فإن وجد هذا كثيرًا ففي التّجرْ معه على الأقل..

رمت أن أتكلم، فأغلقت بيدها فمي:

ـ أعرف.. أنت لاتريد أن تتجر.. ياهذا كن واقعيًا.. التجارة لأصحابها.. بماذا تتاجر؟.. كان من الواجب أن يزوّدك بمقدار من المال تستعين به على الافتتاح. فإن أبيت، فإنّه يكون قد أعذر..

ولعلّها تكون ساحرة، أو شيطانة، لأنّي سرعان ماتجاوبت مع حديثها، وجنحت إلى كفّها ورحت أعرّض معها وأشهّر به، بل بنفسي، إنه جزء مني، وأنا بضعة منه.

قالت بحرارة:

ـ هكذا أريدك.. عظيمًا لاتذيبك شمس العواطف. انتشيت لهذا الإطراء، وأنا أعلم أن هذه البخترة إنْ هي إلا أعواد توت هشّة سرعان ماتتهشّم.. أعماني ذلكم الغرور والشّنآن والضّعف إلى أن غدَوت أفرّ من لقائه.. طالما أمّلت ألا يكون موجودًا في السوق أو في الشّارع، بل تمنّيت له الانتقال إلى العالم الآخر حتى لاأظلّ شقيًا بوجوده.. إنّه سرّ همومي، ألفيت رضا وطمأنينة من حليلتي.. أسرّها انقطاع الرشاء الذي يربط بيننا.. قالت:

ـ هو قبّاع عنيد.

ماعدت أسمع له ركزًا ولا همسًا.. منزله لايبعد مني إلا بأمتار قليلة، أمرّ عليه غدوًا ورواحا.. لكن.. لاداعي لتجشّمي زيارته.. الحقّ أنه ظل يزورني.. كنت أقابله ببرود وقحة.. زوجي تعُدّ له رشفات الشّاي أو لُقَم الطّعام، أو جرعات الماء، وتتابع فمه بعينيها غامزة إياي عنه!.. ياماحمل إليّ من هدايا ومأكولات!.. لكنني ماأزال أرى ذلك قليلاً جدًا.. أنا.. أنا.. أريد ماله كلّه، بل أريد أن أكون أنا هو.. وعندئذ أحدبُ عليه كما يفعل هو الآن، مما يشعرني بأني شحّاذ عائل أضناه الإملاق.. حتى الهاتف يزور كلّ المنازل إلا منزله.. الهاتف؟.. الهاتف هذا هو الذي نقل إليّ الخبر المروع:

ـ أحمد؟ .. هنا المستشفى.. أخوك صالح..

أُغْمي عليّ، ماعدت في حاجة إلى ماتبقّى من النعي.. صحت بأعلى صوتي بعد الاستفاقة: لا .. لا.. لم يمت.. أخي مايبرح شجرة مخضرّة الأفنان، طيّبة الفاكهة.. ماتزال قامته المديدة تظلّل المارة.. مايزال وجهه المشرق يطلّ على الأصحاب والأصدقاء.. مايزال صوته المجلجل يملأ الفضاء، ويهزّ أعماقي كلّها.. إنّه معي في كلّ مكان.. تذكّرت كلّ المراثي التي قيلت في الإخوّة فاستظهرتها، ولكنّها لم تُجد فتيلاً.. أنبت إلى اللّه بقلب خاشع وصوت مجهش دامع.. غفرانك ربّي!.. كم كنت أحدّث نفسي: ماينبغي أن يتفوق عليّ أحد حتى لو كان أخي.. لماذا؟.. هكذا نزغ الشّيطان بيني وبين أخويّ.. اخترمتهما المنون واحدًا بعد الآخر، بالأمس ياسمينة واليوم.. صالح.

نظرت إلى زوجي وهي تسيل دمعات متحجّرات مصطنعات أو متفشيات في زوج أخي، في مال أخي، في أخي نفسه، فيّ أنا.. لاأدري.. ثم نظرت إلى حالي فإذا أنا برجْل واحدة، ويد واحدة، وصرت كشجرة زيتون بري، تضربني الرياح العاتية، فأعوي وأولول، والضّربات تترى على جسدي، وتتوالى، وتتوالى..

البَعيدةُ القريبةُ (*)



شعر: زكي قنصل

تُعاتبني غلواءُ أني سَلَوْتُها ... فأحلفُ أني ما سلوتُ ولن أسْلُو

وأين لمثلي أن يُشاغلَ قلبَه ... وقد ملأتْ دنياه أعيُنُها النُجلُ

تعلّقتُها والشيبُ رقَّطَ مفرقي ... فعادت صَبَاباتي وعاودني الجهلُ

تناءى حِمَاهَا وَهي مني قريبةٌ ... وهل ينتأي مَنْ بيتُهُ القلبُ والعَقْلُ

وَحَامَت على خَطْوِي العيونُ، وخطوها ... فإنْ سَارَقَتْني نظرةً فلنا الويلُ

تَبَايَنَ أهلونا اعتقادًا ومشْرَبًا ... فما ذنبُ قَلْبَيْنَا إذا اختلفَ الأهْلُ؟

تراني - فدتْها النفسُ - نَسْرًا محلّقًا ... وفي ملكوت الحُبِّ يُعذَرُ مَنْ يَغْلُو

بذلتُ لَهَا روحي وما مَلَكتْ يدي ... ويحلو لعينيْها - ولا منّة - البذلُ

أذاكرُها شعري فتهتزّ نشوةً ... وتحسبُه حلوًا وإنْ هُوَ لم يَحْلُ

ولولا هوى غلواءَ لم تَعْلُ شهرتي ... ولا قيلَ إني الشاعرُ المُلْهَمُ الفحلُ

لكَم قطعتْ دَرْبي إليها مليحةٌ ... فلم يُغْرِني منها جمالٌ ولا دلُّ

فمنها المعاني المترفاتُ، وليس لي ... سوى الشكل.. إنَّ الشعر أيْسَرَهُ الشكلُ

وإن أنعشتْ حقلي دموعُ سحابة ... فشكريَ تجنيه السحابةُ لا الحقْلُ

ذرتْنا رياحُ البَيْن شرقًا ومَغْرِبًا ... فهل يصلُ الحبلَ الذي بيننا حبلُ؟

تقولُ لَوْ ان «الفكر» ألف بيننا ... لَمَا هَمَّني واشٍ ولا غمَّني عَذْلُ

ولكن لَعَلَّ الدَّهْرَ يجمعنا غدًا ... فَبالصبر والإيمان ينكسر الغلُ

فأخفضُ أبصاري، و في الصدر غُصَّةٌ ... أداورها كي لا يساورها غَلُّ

وأعجب للإنسان هل هو آلةٌ ... يعرِّفه أصلٌ ويغمره فصلُ

وأقلبُ موضوعَ الحديثِ، لأنَّني ... أخافُ يَسُوءُ القَوْلُ إن أحْسَنَ الفعْلُ

هل الدينُ إلاّ أن تؤاسيَ باكيًا ... وتهدي إلى درب المحبة من ضَلُّوا

وتُغمضَ عمّنْ لايودُّكَ مقلةً ... وتحزنَ للجَار الَّذي عَضَّهُ الذلُّ؟

ولَمَّا التقينا بعد ألفٍ وَجَدتُها ... كما الفلّ بَلْ أحْلَى، فلا يشمخ الفلُّ

مَدَدْتُ لها كَفِّي فأدْنتْ قطوفها ... فيا حقلُ ما أزكى مجانيكَ يا حقلُ

تحوَّلْتُ شحرورًا وحالتْ حمامةً ... أغنِّي فَيَسْبي عَقْلَهَا شَدْوِيَ الجذلُ

وعُدْنا إلى العُشِّ الذي كان قد خَلا ... فرحَّبَ مُصْفَرٌ وهلَّلَ مَخضَلُ

ومهما تباعَدْنَا سَتَبْقَى قَرِيبةً ... وَمَهْمَا افْتَرَقْنَا سوفَ يَجْتَمعُ الشَّمْلُ

(*) من قصائد الشاعر الراحل التي أرسلها إلى «الفيصل» في وقت سابق، ولم تنشر من قبل.

دائرة المعارف

أهم مصطلحات علم النفس ٢

إعداد: وفيق صفوت مختار

(ض)

الضبط الاجتماعي SOCIAL CONTROL

كناية عن التأثيرات التي تمارسها الجماعة ومختلف المؤسسات والمنظمات والهيئات، مثل المدرسة، في سلوك الأفراد داخل الجماعة. فالضبط هو وسيلة من وسائل الضغط لحمل الفرد على اعتناق التقاليد والقيم والمثل والمعايير السائدة في مجتمعه، وهو محاولة منظّمة للسيطرة على أفراد الجماعة، مثلما أنه يشير إلى التحكّم في العلاقات الاجتماعية والإشراف على أنماط السلوك.

الضمير CONSCIENCE

كناية عن المبادئ الأخلاقية المقبولة والمسلّم بها التي تنظّم حياة الفرد، وتشكل قواعد السلوك والتصرّف. وينطوي الضمير على عوامل عاطفية وفكرية، ويتهدّد بانتهاك المبادئ وخرقها. إن مفهوم «الأنا الأعلى» SUPER EGO في نظرية فرويد هو محاولة سيكولوجية لتفسير نشأة الضمير وطبيعته، وتعليل تطوره وكيفية عمله.

و«الأنا الأعلى» اصطلاح يستخدمه علماء التحليل النفسي مجاراة «لفرويد». حيث يشير إلى تكوين في العقل الباطن، يقوم بوظيفة الضمير بالنسبة لكل من الأنا (الذات) EGO ومخزون البواعث اللاّواعية (ID) التي تتسم في معظمها بطبيعة جنسية (LIBIDO. و«الأنا الأعلى» يختزن الأخلاق الاجتماعية، وينتقد أفكار الأنا وأفعالها، جامعًا بين الوعي واللاّوعي.

(ط)

الطبع والتطبُّع NATURE - NURTURE

اصطلاح شائع الاستعمال في علم الوراثة ودراسة البيئة، يشير إلى المحاولة التي يقوم بها الباحثون للوقوف على دور كلّ من العوامل الوراثية والبيئية في تكوين شخصية الكائن الحيّ وتكاملها. فيطرح السؤال عمّا إذا كان الطبع أسبق من التطبّع، أم التطبّع أسبق من الطبع. وتظهر هذه المشكلة بجلاء في دراسة الفروق المتعلّقة بذكاء الشخص والعوامل المؤثرة في تعيين مستوى هذا الذكاء وطبيعته.

الطوبوغرافيا العقلية MENTAL TOPOGRAPHY

يستخدم المحلّلون النفسانيّون، في خُطَى فرويد، هذا الاصطلاح «طبوغرافي» بالنسبة إلى تمركز العمليّات العقليّة في الجهاز العقلي وتعيين مواقعها هناك.

وتعني الطوبوغرافيا العقليّة في نظرهم تخطيطة تمركزية للعقل، يجري استخدامها لأغراض الوصف والتفسير، بحيث يقسمون الجهاز العقلي إلى الأجزاء التالية: الأنا (الذات) والأنا الأعلى (ممثل الضمير) والهو أو الهيَ (الجانب اللاشعوري من النفس وهو مصدر الطاقة الغريزية لدى المرء).

(ظ)

ظاهرة التغيّر المفاجئ BREAK PHENOMENON

التبدّل أو التعديل المفاجئ الذي يطرأ على السلوك. ويظهر في اختبارات التعب والإنهاك وفي المباريات الرياضيّة، وذلك عندما يقوم أحد المنبّهين المتنافسَيْن اللّذَيْن يؤثران في المرء بالتغلب على المنبّه الآخر بشكل مفاجئ.

(ع)

عاطفة SENTIMENT

استعداد أو مَيْلٌ عاطفي يدور حول فكرة شيء ما، ويختلف عن الهيجان أو الانفعال من جهة كونه أقلّ انفعالية منه وأشد بقاءً. فهو ليس ثمرة خبرة، بل يؤلف جزءًا من تكوين الفرد. تأتي «العاطفة الإدراكية» مصحوبة في غالب الأحيان بعامل عقلي أو بتعلّق من جانب المرء بمثلٍ أعلى. فالحب والخوف والغضب هي انفعالات، بينما حبّ الوطن وروح المودّة هي عواطف.

العدوانية AGGRESSIVENESS

العدوان هو مهاجمة طرف آخر، ويكون عادةً - وليس بالضرورة - على سبيل الرد ضد معارضة من جانب الطرف المعتدى عليه. ولايزال تعريف العدوان موضع خلاف وجدل في المحافل الدوليّة، أما في نطاق علم النفس، فالمدارس التحليلية تعتبره مظهرًا تتجلى من خلاله «إرادة القوّة» والسيطرة على الغير، أو بمثابة«إسقاط» لـ (غريزة الموت) لدى الإنسان.

العقل اللاواعي THE UN-CONSCIOUS

أو اللاّشعور (العقل الباطن)، مفهوم يشير إلى مجموعة العناصر المحركة (الدينامية) التي تتألّف منها الشخصية، بعضها قد يعيه الفرد كجزء من تكوينه، والبعض الآخر يبقى بمنأى كلّي عن الوعي. جميع هذه العناصر بنيويّة، وليست قائمة على سياق العملية الإجرائية. هناك اختلاف بين المدارس الفكريّة بشأن تحديد هذا المفهوم. فالعقل اللأّواعي كناية عن مخزن للاختبارات المترسّبة بفعل القمع النفسي، وهي لاتصل إلى الذاكرة. يحتوي على المحركات الداخلية للسلوك، كما أنه مقرّ الطاقة الغريزية الجنسية والنفسية بالإضافة إلى الخبرات المكبوتة.

(غ)

غريزة الموت DEATH INSTINCT

أو رغبة الموت (DEATH WISH)، حسب نظرية «فرويد»، هي الدافع الذي يستهدف الهدم والموت أو الهرب من الإثارة من جانب الفرد. تقابلها «غرائز الحياة» (LIFE INSTINCT)وتظهر في الدرجة الأولى بمثابة الدفاع نحو التكرار القسري، يسعى الفرد من جرّائها نحو الموت، وذلك فقط من خلال تكرار دورة الحياة السويّة. وقد شرح «فرويد» نظريته هذه في كتابه «مافوق مبدأ اللذة».

(ف)

الفروق الفردية INDIVIDUAL DIF-FERENCES

هي التنوعات أو الانحرافات عن المعدّل أو المستوى المتوسط للجماعة، وذلك بالنسبة لكلّ من الصفات والمزايا العقليّة أو الجسميّة التي تتجلّى لدى الأفراد من أعضاء الجماعة نفسها. إنها فروق بين أفراد ينتمون إلى جماعة واحدة، تشير إلى التباين أو التفاوت بينهم على صعيد القدرات والاستجابات والقابليّات العقليّة، وتؤدي دورها في التعلم والتذكر والذكاء.

الفطام النفسي WEANING

لفظة «الفطام» يقابلها SEURATION أصلاً، لكن هذا المصطلح يستخدم على سبيل الاستعارة في كتابات التحليل النفساني وفي الكتابات السيكولوجية العامة، للدلالة على تحطيم استغراق ما (FIXATION) أو القضاء على وضع تحويلي بمعنى -TRANS-FERENSE. وتستعمل هذه اللفظة هنا بنوع خاص للإشارة إلى الخروج من السيطرة الأبويّة من جانب الولد البالغ أو المراهق.

(ق)

قابلية التكيف ADAPTABILITY

أو القدرة على التكيف، وهي استعداد الفرد للانسجام مع سائر أفراد مجتمعه، وتقبّل العادات الاجتماعية السائدة، ومجاراة الظروف المحيطة به، أوالتغيّر وفقًا لضرورات التفاعل الاجتماعي، ومتطلبّات البيئة الحياتيّة. وقد تشير إلى تغيير عضوي في إحدى وظائف الجسم بحيث يؤدي ذلك إلى تعزيز قوّة البقاء والاستمرار.

قانون الاستعداد LAW OF READINESS

دائرة المعارف

يشير إلى مبدأ قال به عالم النفس ثورندايك، ومؤداه أن قيام الفرد بعمل ما يؤدي إلى بعث السرور في النفس متى كان الفرد على استعداد لهذا العمل، بينما يسفر عدم كونه مستعدًا عن إزعاج لدى الفرد، مثلما يكون الإقلاع عن ذلك العمل مبعثًا للقلق والإزعاج أيضًا.

القدرات الأولية PRIMARY ABILITIES

هي قدرات أساسية ومستقلة نسبيًا الواحدة عن الأخرى، يعتبرها ترستون بمثابة العوامل الخاصّة في تكوين الذكاء، منها: (العلاقات المكانيّة SPETIAL RELATIONS)، و(سرعة الإدراك PRECEPTUAL SPEED)، و(العمليات الحسابية NUMERICAL)، و(العلاقات اللفظية VERBAL RELATIONS)، و(الطلاقة اللغويّة WORD FLUENCY)، بالإضافة إلى مدى التذكر المباشرة IMMEDIATE MEMORY SPAN)، ومنها الاستقراء والقياس والاستدلال.

القسر COMPULSION

كناية عن قوّة داخلية غير قابلة للمقاومة، ترغم الفرد، وتجبره على تأدية عملٍ ما دون أن يكون لإرادته دور في ذلك، أو حتى ضد هذه الإرادة ورغمًا عنها. كما أن العمل المذكور يمكن تأديته بناء على طلب يصدره شخص آخر، إذ يملك هذا الشخص قوّة وسلطانًا يكفيان لإرغام الآخرين على إطاعة أوامره والإذعان لمشيئته.

(ك)

الكبت REPRESSION

هو عمليّة نفسيّة لا شعورية تتمّ في نطاق اللاوعي. وتحول دون خروج الأفكار الخائبة والرغبات المؤلمة أو المحرّمة إلى مجال الشعور والوعي، رغم بقائها على قيد الحياة والفعل في نطاق اللاّشعور.

الكف INHIBITION

حالة تقوم خلالها وظيفة ما أو بعض الظروف بالحيلولة دون تأدية وظيفة أخرى أو استكمال نشاط معيّن أو ظهور صيغة من صيغ التعبير. قد تكون ظاهرة الكف هامشية كما يحدث في العضلات أو الغدد، وقد تكون مركزيّة في المناطق اللحائية أو تحت اللحائية. وهي جسميّة المنشأ أو نفسيّة.

(ل)

الليبيدو LIBIDO

لفظة لاتينية الأصل تفيد معنى الشهوة. استخدمها فرويد معتبرًا إيّاها بمثابة طاقة حيوية، شبقيّة في جوهرها (EROTIC)، تتمثل فيها غريزة الحياة. تستثمر هذه الطاقة في الأنا أو في الأشياء. والبرهان على ذلك هو انتقال الليبيدو من الأنا إلى الموضوعات وبالعكس. ويؤلّف مجموع الاهتمام المستثمر في الموضوعات وفي الأنا مقدارًا ثابتًا. فكلّما ازداد حبّ المرء لذاته قلت محبته للموضوعات، والعكس بالعكس. ومن الملاحظ أن ليبيدو الأنا وليبيدو الموضوع متماثلان في الطبيعة والأصل.

(م)

محرّمات (اجتماعية) TABOOS (SOCIAL)

«تابو» (TABOO) لفظة ترجع نشأتها إلى عادات الأقوام البدائية ومعتقداتها، وهي كلمة من أصل «بولينيزي»، وتستخدم في كلّ من صيغة الاسم والصفة والفعل. وتشير بمعناها العام إلى المنع والحظر والتحريم، أو القواعد السلبيّة بالنسبة للأشياء والزي والأشخاص والألفاظ والأفعال. وتأتي مرتبطة مع كلّ ما هو سحريّ أو مقدّس، وعليه فهو ينطوي على خطورة ويمتدّ إلى مجال المدنّس. يطلقها المحلّلون النفسانيون على التحريمات الصادرة من خارج المرء والمفروضة لتخفيف الرغبات القويّة ذات الطبيعة الجنسيّة.

المسافة الاجتماعية SOCIAL DISTANCE

الفارق بين فئتين اجتماعيتين أو جماعتين من الجماعات لجهة درجة التطور والنمو الثقافي. ويطلق هذا الاصطلاح أيضًا للدلالة على درجة النفور الذي يتجلّى لدى أفراد ينتمون إلى جماعة ما، ويكنّونه نحو الأفراد المنتمين إلى الجماعة الأخرى.

الموضوعية OBJECTIVITY

تجرّد الباحث عن الانقياد وراء آرائه

الشخصيّة، وابتعاده من التحيّز والهوى، واعتماده على الأدلة والحقائق القابلة للإثبات والبرهان. والموضوعية معيار للمعرفة التي تتصف باليقين، وتقوم على أدلة يمكن للغير أن يتثبتوا من صحّتها. وتنبغي مراعاتها في العلوم الدقيقة كما في العلوم الاجتماعيّة والنفسيّة ، حيث تؤدي القيم والرغبات والأغراض دوراً رئيساً، وعليه يجب تبيان الأسس التي يستند إليها تفضيلها أو الأخذ بها دون سواها.

(ن)

النرجسية NARCISSISM

العشق المفرط للذّات، سُمِّيت هذه النزعة نسبة إلى شخصيّة نرجس أو نرسيس في الأسطورة الإغريقية القديمة، إذ وقع في حبّ خياله الذي تراءَى له على صفحة الماء. يعتبرها المحلّلون النفسانيون مرحلة مبكرة من التّطور النفسي الجنسي، حيث تكون الذات هي موضع الاهتمام الجنسي من جانب المرء. فالهيام بالذات وعشقها هو الطابع الجوهري المميّز لهذه النزعة.

النسيان FORGETTING

هو الإخفاق والتقصير من جانب المرء في أية لحظة في أن يستعيد تجربة ما، أويتذكر خبرة ماضية عندما يحاول القيام بذلك. كما يشير النسيان إلى فشل المرء في تأدية أو تنفيذ عمل سبق له أن تعلّمه واكتسبه.

(هـ)

هاجس PREMONITION

التفكير المشوب بالقلق عادة في حادث يُنتظر وقوعه، وهو تفكير مستمدّ من إحدى خبرات الإيحاء، وقد يكون غير وثيق الصلة بالموضوع تمامًا، ولكنّه يُعتبر بمثابة تحذير ممّا سيحدث. وفي البحوث النفسية تنطوي هذه اللفظة على وحي نابع من مصادر خارقة للمألوف. على أن الحسّ الداخلي يشير إلى استباق للأحداث تخالطه هواجس القلق وعناصر التحذير.

(و)

الوجدان الجماعي CONSCINCE COLLECTIVE

اصطلاح استخدمه عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم DURKHEIM، لكنّه لم يحظَ أبدًا بتحديد واضح، ممّا ترك الافتراض ينشأ بوجود نوع من المبدأ الروحي الذي يتجاوز الأفراد ويعلو عليهم، وعن وجود روح للجماعات والمجتمعات. لكن المدلول يمكنه الرجوع على نحو إيجابي إلى القول بوجود مضمون اجتماعي المنشأ في الحياة النفسية للأفراد، لاسيما التمثّلات التي ترجع إلى أصل جماعي ومشترك بين جميع أعضاء الهيئة الاجتماعيّة.

(ى)

اليقين CERTAINTY

اقتناع المرء بأن قضيّة ما هي راسخة في الصدق والصحّة على نحوٍ لايحتمل الشك والتردّد حيالها. فاليقين يشير إلى كون إحدى المسائل أو القضايا أو أحد المعتقدات ينمّ عن رسوخ إلى درجة لايرقى إليها الشك، وليست عرضة للتساؤل أو متقلبّة مع الميول والأهواء.

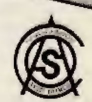
المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

(١) د. فريد جبرائيل نجار وآخرون: «قاموس التربية وعلم النفس التربوي»، منشورات دائرة التربية، بيروت: ١٩٦٠م.
(٢) د. أسعد رزوق: «موسوعة علم النفس»، مراجعة: د. عبدالله عبدالدايم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت:١٩٧٧م.
(٣) منير وهيبه: «معجم مصطلحات علم النفس»، دار النشر للجامعيين، بيروت: ١٩٥٧م.
(٤) محمد مصطفى زيدان و د. أحمد محمد عمر: «معجم مصطلحات علم النفس»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
(٥) د. يوسف مراد: «مبادئ علم النفس العام»، منشورات جماعة علم النفس التكاملي، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م.
(٦) د. مصطفى سويف: «الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي»، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م.
(٧) سيجموند فرويد: «تفسير الأحلام»، ترجمة: مصطفى صفوان، مراجعة: د.مصطفى زيور، دار المعارف بمصر.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

(8) DREVER, JAMES - A DICTIONARY OF PSYCHOLOGY [PENGUINE REFERENCE BOOKS(R5)] REVISED BY: HARVEY WALLERSTEIN,REV. ED. 1964 (REP.1974).
(9) FREUD,S.- DICTIONARY OF PSYCHOANALYSIS. ED. BY: MANDOR FODOR AND FRANK GAYNOR (PREMIER BOOK,T 187), 2ND ED. 1965.
(10) GARRETT, H.E- PSYCHOLOGY. AMERICAN BOOK COMPANY, NEW YORK, 1950.
(11) ROBINSON,S AND CORBETT,T.: THE DREAMER'S DICTIONARY. SOUVENIR PRESS LONDON 1974.
(12) WARREN, H.C - DICTIONARY OF PSYCHOLOGY. HOUGHTON MIFFLIN CO. NEW YORK 1962.





الأمير سلمان يرعى «أسبوع البوسنة والهرسك» الثاني.

المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم وتفسيره.

مؤسسة الملك فيصل الخيرية تعقد مؤتمرًا في القاهرة عن: الإسلام والثقافة العربية

مصر تحتضن أمسية شعرية للأمير خالد الفيصل

مهرجانات للطفولة، ومجلات جديدة

السعودية

إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

جاد الحق (خدمة الإسلام)، السكّوت
وأبو الأنوار وسلمى الحفّار (الأدب العربي)

أعلن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية أن الهيئة قررت رفع قيمة الجائزة المالية في فروعها الخمسة (خدمة الإسلام والدراسات الإسلامية والأدب العربي والطب والعلوم) لتكون قيمة كل جائزة ٧٥٠ ألف ريال بدلا من ٣٥٠ ألف ريال، وذلك اعتبارا من السنة الحالية، وبذلك يكون إجمالي قيمة الجوائز الخمس مليون دولار. وقال سموه في المؤتمر الصحافي الذي عقده بمناسبة الإعلان عن أسماء الفائزين بالجائزة لعام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م: إن هذا القرار اتخذ تقديرا من هيئة الجائزة والمؤسسة للعلم والعلماء، وتشجيعا لهم على مواصلة العطاء ـ كل في مجاله ـ خدمةً للإسلام والمسلمين والبشرية جمعاء.

وكان سمو الأمير خالد الفيصل قد أعرب في بداية المؤتمر الصحافي عن ارتياحه لما بلغته مؤسسة الملك فيصل الخيرية من مكانة مرموقة جعلتها واحدة من أكبر المؤسسات الخيرية في العالم وأهمها، وماتتمتع به الجائزة من سمعة علمية وتقدير من الأوساط العلمية والثقافية في العالم العربي والعالم أجمع، وليس أدل على ذلك من تنامي الترشيحات سنة بعد أخرى، وأهمية الجهات المرشحة.

وقدم سموه التهنئة لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام على إنشاء مؤسسة الأمير سلطان بن عبدالعزيز الخيرية، كما قدم التهنئة لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض على حصوله على جائزة الجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأطفال المعاقين للخدمة الإنسانية.

وبعد أن شكر الأمير خالد الفيصل أعضاء لجان الاختيار على أعمالهم الممتدة من ١٢ إلى ١٤١٥/٩/١٥هـ (١١ ـ ١٩٩٥/٢/١٤م) وهنأ الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية في هذا العام، أعلن الدكتور عبدالله العثيمين الأمين العام للجائزة بيان الأمانة العامة الذي جاء فيه مايلي:

أولاً: قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام منح الجائزة هذا العام لسماحة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق (٧٨سنة) شيخ الأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية، وذلك لتعدد مجالات عمله في خدمة الإسلام والمسلمين؛ خاصة خلال مشيخته للأزهر. ومن أبرز جهوده في تلك المجالات:

١ـ حرصه المستمر على تأكيد الصلة بالمجتمعات الإسلامية في مختلف الأقطار، وبذله الجهد لتحسين أوضاع الأقليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية.

٢ـ ترؤسه مجلس الدعوة الإسلامية العالمية، وعقده العديد من المؤتمرات لتتبُّع أحوال المجتمعات في البلدان الأفريقية والأسيوية، وغير ذلك من الجهود.


سمو رئيس هيئة الجائزة يتحدث في المؤتمر الصحافي

ثانيا: قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية حجب الجائزة هذا العام (وموضوعها الدراسات التي عُنيت بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم). ذلك أن الأعمال المرشحة فيها ـ مع مابُذل فيها من جهد ـ لاترقى إلى المستوى المطلوب لنيل الجائزة.

ثالثا: قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل للأدب العربي منح الجائزة هذا العام (وموضوعها الدراسات التي تناولت أعلام الأدب العربي الحديث) لكل من: الأستاذ الدكتور حمدي سيد أحمد السكّوت، والأستاذ الدكتور محمد أبو الأنوار محمد علي، والأستاذة سلمى لطفي الحفار الكزبري.

أما الدكتور حمدي السكوت (مصري) فقد جاءت دراسته عن «عباس محمود العقاد» متسمة باستقامة المنهج وبالموضوعية والدقة والإحاطة، مما يجعلها كبيرة الفائدة في دراسة عَلَم من أبرز أعلام الأدب العربي الحديث.

وأما الأستاذة سلمى الحفار (سوريّة ٧٥ عاما) فقد جاء كتابها «مي زيادة أو مأساة النبوغ» معتمداً على التوثيق وبخاصة في نشر مجموعة من نصوص أدبية لم تنشر من قبل؛ ويتصف عملها بدقة في الحكم مع الإحاطة بجوانب الموضوع والتعمق في فهم المادة المدروسة.

وأما الدكتور محمد أبو الأنوار (مصري ٦٣ عاما) فقد تناول كتابه «مصطفى لطفي المنفلوطي: حياته وأدبه» شخصية أدبية لها أثرها في الأدب العربي الحديث. فجاء عمله هذا إسهامًا جادًا يتسم بالموضوعية والتقصي والدقة في توثيق النصوص ودراستها.

رابعا: قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل للطب أن تمنح الجائزة هذا العام (وموضوعها المناعة الجزيئية) مشاركة لكل من: الأستاذ الدكتور جريجوري بول ونتر، والأستاذ الدكتور مارك ديفز، والأستاذ الدكتور تاك واه ماك.

والدكتور ونتر (بريطاني ٤٢ عاما) حصل على الدكتوراه من جامعة كمبردج عام ١٩٧٦م، وهو عضو في الجمعية الملكية، وله أكثر من ١٠٠ بحث منشور في مجلات علمية

عالية محكمة. ومن أبرز أعماله نجاحه في إنتاج الأجسام المضادة البشرية مباشرة في أنبوب المختبر دون حاجة إلى استخدام عملية التهجين الخلوي التي تحتم بدورها استخدام الحيوانات المخبرية.

أما الدكتور مارك ديفز (أمريكي ٤٣عاما) فهو حاصل على الدكتوراه في جزئيات علم الأحياء من معهد التقنية في كاليفورنيا عام ١٩٨١م، وهو أستاذ في قسم الطفيليات والمناعة في كلية طب ستانفورد بالولايات المتحدة. وفي عام ١٩٩٣م انتخب لعضوية الأكاديمية الوطنية للعلوم، وله أكثر من ١٢٠ بحثا منشورا في مجالات علمية عالية محكمة.

وأما الدكتور تاك واه ماك (كندي ٤٩ عاما) فقد حصل على الدكتوراه من جامعة ألبيرتا في كندا عام ١٩٧١، ثم عين مديرا لمعهد أمجن للأبحاث بتورنتو. وهو رئيس قسم علم الأحياء الجزيئية والخلوية في معهد أونتاريو للسرطان في كندا، وله أكثر من ٢٣٠ بحثا منشورا في مجالات علمية عالية محكمة.

وفي عام ١٩٨٤م اكتشف كل من الدكتور مارك ديفز والدكتور تاك واه ماك متزامنين كلا على حدة، التركيب الذي يُمكّن خلايا جهاز المناعة البيضاء من التعرف على الفيروسات والبروتينات الغريبة على الجسم وإبطال مفعولها. ولقد وقف عدم معرفة الأسرة الطبية بهذا التركيب قبل عام ١٩٨٤م حجر عثرة في التقدم المرتقب في حقل المناعة لسنوات طويلة. لذا فإن اكتشافهما هذا سيفتح المجال لإنجازات كبرى في إيجاد علاج جديد لأمراض السرطان والفيروسات.

خامسا: قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل للعلوم منح الجائزة هذا العام (وموضوعها الكيمياء) للأستاذ الدكتور باري شاربلس (أمريكي ٥٣ عاما). وقد حصل على الدكتوراه من جامعة ستانفورد عام ١٩٦٨م، وهو أستاذ في معهد بحوث سكريبس وقام باكتشاف طريقتين جديدتين لتركيب الجزئيات غير المتماثلة (أي تركيب جزئيات يمينية فقط أو جزيئات شمالية فقط) بتفاعلات كيميائية حفزية. وقد أصبحت المواد الكيميائية والوسائط الكيميائية التي ركبها مستخدمة في مختبرات كيميائية عديدة في العالم.

ومن المعروف أن بناء جزيئات من نوع واحد (يمينية فقط أو شمالية فقط) أمر ذو شأن عظيم؛ لأن بعض الجزيئات قد تكون ذات خير كبير للأحياء إذا كانت من أحد النوعين، ولكنها قد تصبح ضارة؛ بل قاتلة إذا كانت من النوع الآخر. وقد حدث بسبب ذلك مآس في الماضي عند استخدام بعض الأدوية الحديثة.

موضوعات الجائزة في العام المقبل

وذكر الدكتور العثيمين أن موضوعات الجائزة في السنة القادمة (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) هي كما يلي: الدراسات التي عُنيت بالسيرة النبوية، وأدب الرحلات في التراث العربي تحقيقا أو دراسة، والعناية بالرضيع الخديج (الناقص النمو)، وعلم الحياة (البيولوجيا).

(السير الذاتية للفائزين ستنشر - إن شاء الله - في العدد المقبل مع شرح واف لأعمالهم).



الملك فهد بن عبد العزيز



الملك الحسن الثاني

افتتاح جامعة الأخوين

افتتح العاهل المغربي الملك الحسن الثاني «جامعة الأخوين» في مدينة إفران المغربية في منتصف شهر شعبان الماضي بحضور صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز وعدد من الشخصيات البارزة.

وأقيمت الجامعة بهبة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيزآل سعود، ويرمز اسمها إلى العاهلين السعودي والمغربي، وتعدّ أول جامعة عربية من نوعها، تأخذ بالنظام الإنجلو ساكسوني الحديث، وتدمجه في إطار عربي إسلامي، بحيث تسهم في التقريب بين اتجاهات التفكير في العالم ومداخل النظر في المشكلات والقضايا التي يثيرها الفكر الإنساني في العالم المعاصر، وتأخذ الخصوصيات الدينية مكانة خاصة في رسالة الجامعة.

وشيدت الجامعة من مجمع ضخم يضم ٣٧ بناية مقامة على مساحة ٦٦ ألف متر مربع، فيما تبلغ المساحة الكلية للجامعة ٥٠ هكتارًا، وتكلف إنشاؤها ٥٥ مليون دولار أمريكي، ويديرها مجلس إدارة برئاسة د. عز الدين العراقي، رئيس الوزراء الأسبق، ويضم المجلس ٥٧ عضواً، ويتولى مجلس أكاديمي برئاسة د. أحمد كركور عميد الجامعة تسيير أمورها.

وتضم الجامعة حاليًا ثلاث كليات: العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، العلوم والهندسة، والتسيير وإدارة الأعمال، إضافة إلى مراكز متخصصة في الإعلام والدراسات الإسلامية، والتواصل والديموغرافية، والبيئة، والمناهج الحديثة، والعلاقات الدولية، والاقتصاد. وتمنح الجامعة ثلاثة مستويات من الشهادات هي: الإجازة (البكالوريوس)، والماجستير والدكتوراه، وتعد اللغة الإنجليزية لغة التدريس الرئيسة في جميع التخصصات.

نايف يسلم سلمان جائزة خدمة الإنسانية

رعى صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية الحفل الذي أقامته الجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأطفال المعاقين لتوزيع جائزة الجمعية في الثالث عشر من شهر رمضان الماضي.

وقام سموه بتسليم صاحب السمو

الحركة الثقافية في شهر

الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض جائزة الجمعية للخدمة الإنسانية، التي تم منحها لسموه تقديرًا لما قام ويقوم به من أعمال جليلة للخدمة الإنسانية بعامة والشعوب الإسلامية بخاصة.

أسبوع البوسنة والهرسك الثاني

أقيم تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض رئيس الهيئة العليا لجمع التبرعات للبوسنة والهرسك «أسبوع البوسنة والهرسك الثاني»، وذلك في الأسبوع الأخير من شهر شعبان والأسبوع الأول من شهر رمضان الماضيين.

تضمن الأسبوع نشاطًا ثقافيا مصاحبا شمل عدة محاضرات وندوات وأمسية شعرية، تناولت عددا من المحاور المتعلقة بقضية البوسنة والهرسك: «حق المسلم على المسلم» محاضرة ألقاها الشيخ سعد البريك، و«البوسنة والهرسك في ضمير الشعراء» أمسية شعرية شارك فيها: د. عدنان النحوي وعبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد و د. خالد سعود الحليبي ود. محمد بن سعد الدبل وحبيب بن معلا اللويحق و د. عبدالرحمن بارودي، و«تاريخ الإسلام في البوسنة والهرسك» ندوة شارك فيها سفير البوسنة في المملكة العربية السعودية سناهد بريستيتش ود. فهد بن عبدالله السماري، و«الجهود الإغاثية في البوسنة» ندوة شارك فيها كل من د. مانع الجهني ود. عبدالإله المؤيد والسفير البوسني ، و«حقوق الإنسان وقضية البوسنة والهرسك» ندوة تحدث فيها د. مصطفى سيرتش رئيس العلماء في البوسنة والهرسك و د. كامل الشريف، و«الإنفاق في سبيل الله: مجالاته وفضله» ندوة شارك فيها كل من د. عبدالله المصلح ود. محمد بن عبدالله الفهيد والشيخ سعد البريك.

كما تضمن الأسبوع معرضا للصور حول البوسنة وكفاحها، وسوقا خيريا خُصِّصَ ريعه للبوسنة والهرسك، كما صدرت نشرات وثائقية تعرّف بقضية البوسنة: أبعادها وتطوراتها وتحث علي التبرع لأهلها، وأصدر المكتب التنفيذي للهيئة نشرة يومية طوال فترة الأسبوع حملت اسم «الباذلون»

تأجيل ندوة ظاهرة الضعف اللغوي

قررت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تأجيل ندوة «ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية» إلى الفصل الدراسي الأول من عام ١٤١٦هـ، بحيث تعقد خلال الفترة من ١٩ إلى ٢٢ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ.

جاء القرار لكون الموعد السابق قريبا من موعد اختبارات الفصل الدراسي الأول للعام الحالي، ويتيح التأجيل أيضا فرصة تلقي مزيد من الإسهامات والمشاركات في الندوة.

المسابقة الدولية للقرآن الكريم

تقام في مكة المكرمة المسابقة الدولية السابعة عشرة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره في الثالث عشر من شهر شوال الجاري ولمدة ١٢ يومًا.

تنقسم المسابقة إلى خمسة فروع، الأول: حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التجويد والترتيل وتفسير الجزء الرابع عشر منه، الثاني: حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التلاوة والتجويد، الثالث: حفظ عشرين جزءًا مع التلاوة والتجويد، الرابع: حفظ عشرة أجزاء مع التلاوة والتجويد، الخامس: حفظ خمسة أجزاء مع حسن الصوت والتلاوة.

يشارك في المسابقة متسابقون من مختلف الأقطار والجاليات الإسلامية في العالم.

مهرجانان للربيع في مكة المكرمة وجدة

شهدت مدينتا مكة المكرمة وجدة خلال شهر شعبان الماضي مهرجانين شعبيين تراثيين كبيرين بمناسبة إجازة نصف العام الدراسي التي تُسمى أحيانا على المستوى الشعبي بإجازة الربيع.

ففي مكة المكرمة أشرفت الغرفة التجارية الصناعية فيها على مهرجانها الأول، حيث أقيمت «مدينة تراثية» بمساحة ٣٦٠×١٨٠م٢، تروي تاريخ مكة المكرمة من خلال تجسيد شكلها ومكوناتها قديمًا بدءًا بمركاز العمدة وديوان الدهالوة ومرورًا بحاراتها وانتهاء بالحكواتي.

رافق المهرجان برنامج ثقافي تضمن محاضرات وندوات ومناظرات وعروضًا بالليزر، وأسواقًا رمضانية، ومسرحيات للأطفال.

وقامت أمانة مدينة جدة بتقديم عرض يومي وثائقي تاريخي خلال مهرجانها الذي أسمته «لقاء التاريخ»، ويشرح العرض منجزات الدولة وجهودها للحفاظ على تراث جدة القديمة وتاريخها، وشمل العرض تقديم ثلاث لوحات تراثية تمثل البادية والصيد والزراعة والبحر، من خلال تجسيدها في صورة بيت الشعر والنخلة والسمبوك (القارب).

معرض للكتاب الإسلامي

نظمت عمادة شؤون المكتبات بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة معرضها السنوي الثاني عشر للكتاب الإسلامي خلال النصف

الثاني من شهر شعبان الماضي.

شاركت في المعرض ٥٢ مكتبة ودار نشر، عرضت أكثر من خمسين ألف عنوان في شتى المعارف والعلوم، منها إصدارات حديثة.

كشاف تحليلي للصحف والمجلات السعودية

صدر الكشاف التحليلي للصحف والمجلات السعودية، ويتضمن تحليلاً شاملاً لكل ماتنشره الصحافة السعودية عن الأحداث والشخصيات والأماكن والهيئات والمنظمات خلال شهر.


محمد صلاح الدين

ويقول الأستاذ محمد صلاح الدين الناشر والكاتب الصحفي الذي يرأس شركة تقنية المعلومات والتوثيق المحدودة (إنفووير) التي يصدر عنها الكشاف: «إن الشركة تتبنى رسالة توثيق نتاج الثقافة العربية والإسلامية المعاصرة حتى تتمكن الأجيال القادمة من التواصل مع رصيدها الثقافي».

ويحتوي الكشاف على نحو ستمائة صفحة تضم مابين خمسة عشر إلى عشرين ألف مستخلص للمواد الصحفية بكل أشكالها مثل: الأخبار والمقالات والأعمدة والزوايا والتحليلات والتحقيقات والحوارات وعروض الكتب والتقارير، ويضم الكشاف مجموعة من الفهارس التحليلية مثل: الفهرس التحليلي الموضوعي، وفهرس الكتاب والمؤلفين، وفهرس الزوايا والأعمدة الصحفية، والفهرس الهجائي العام.

والكشاف التحليلي للصحف والمجلات السعودية سوف تتلوه أعمال ببليوجرافية أخرى تتناول الصحافة الخليجية والعربية، وستكون متاحة عبر وسائط مختلفة منها المجلدات الشهرية المطبوعة والمصغرات الفيلمية وأسطوانات الليزر المدمجة.

مسابقات أدبية

أعلن نادي المنطقة الشرقية الأدبي أسماء الفائزين بمسابقته الثقافية الرابعة في مجالات الشعر والقصة القصيرة والبحث الأدبي.

فاز بجائزة الشعر سفير بن خلف القثامي عن قصيدته «رسالة عاجلة إلى اليمن»، تلته وضحى مسفر محمد القحطاني عن قصيدتها «معقل الإحسان»، وحجبت الجائزة الثالثة.

كما حُجبت الجائزتان الأولى والثالثة في مجال القصة القصيرة، ونال الجائزة الثانية خالد عبدالله غازي عن قصته «ومرّ يوم»، وحُجبت الجائزتان الأولى والثالثة في مجال البحث الأدبي، وفاز بالجائزة الثانية عبدالرحمن علي الدوسري عن بحثه «من أعلام الأدب السعودي: الأديب الشاعر محمد حسن العواد».

من ناحية أخرى أعلن نادي الطائف الأدبي عن مسابقته الأدبية الثامنة عشرة في مجالات القصة القصيرة والشعر والبحث والدراسات.

يُشترط في مسابقتي القصة القصيرة والشعر ألايكون العمل قد سبق نشره أو المشاركة به في مسابقة أخرى، وتحدد موضوع الدراسات الأدبية في «دور الأندية الأدبية في إثراء الحركة الأدبية والثقافية في المملكة العربية السعودية»، وتحدد نهاية شهر ذي القعدة المقبل آخر موعد لتلقي المشاركات على عنوان النادي (ص.ب ١٢٠٢ الطائف).

كتب جديدة

القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي: حياته من شعره مع نماذج من شعره المخطوط، قراءة وتعليق حجاب بن يحيى الحازمي، صدر عن نادي مكة المكرمة الأدبي الثقافي.

الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن، تأليف د. محمد بن عبدالرحمن بن صالح الشايع، صدر عن مكتبة العبيكان في الرياض.

المقطعات الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام، تأليف د. مسعد بن عيد العطوي، صدر عن مكتبة التوبة.

الإفصاح ببعض ماجاء من الخطأ في الإيضاح، تأليف أبي الحسن سليمان بن محمد بن الطراوة السبتي المالقي (ت ٥٢٨هـ)، تحقيق وتقديم د. عياد بن عيد الثبيتي، صدر عن دار التراث في مكة المكرمة.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان، تأليف أبي بكر جابر الجزائري، صدر عن مكتبة العلوم والحكم في المدينة المنورة.

للطلاب فقط (آراء ونصائح ومعلومات لطلبة العلم)، تأليف محمد فتحخور الصيدلي، صدر عن دار طويق للنشر والتوزيع.

نظام حماية حقوق المؤلف في المملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية مقارنة، تأليف د. سعد بن عبدالله الضبيعان، صدر عن مركز البحوث في كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض.

وكان حلمًا، مجموعة قصصية لصالحة السروجي، صدرت عن نادي الطائف الأدبي.

الإمارات

هموم المجلات الفكرية في لقاء بالشارقة

نظمت دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة لقاء حول «المجلاّت الفكرية في دولة

الإمارات: التجربة والآفاق» خلال الأسبوع الأخير من شهر شعبان الماضي.

ناقش اللقاء عددًا من الموضوعات المهمة، تأتي في مقدمتها مسألة تمويل هذه المجلات، وقضايا التحكيم بالنسبة للمجلات الأكاديمية، وانتهى اللقاء بإصدار عدة توصيات من أهمها: توصية بأن تقوم جهة رسمية بتمويل طباعة المجلات الفكرية، خاصة تلك ذات النفع العام، أو تأسيس مطبعة أو بنك تعاوني يسهم في تمويلها.

معرض وثائقي



الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

نظمت جامعة الإمارات بالتعاون مع مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر معرضًا وثائقيا لدولة الإمارات، ضم قرابة مائتي صورة من إرشيف جريدة «الاتحاد» عن ماضي الإمارات وإنجازاتها الحضارية المعاصرة.

كما احتوى المعرض عدة أقسام منها: قسم لمقتطفات من أقوال رئيس الدولة سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وآخر عن العملات، وثالث عن الألعاب الشعبية، ورابع عن المرأة تحت عنوان «المرأة في ظل الاتحاد».

مهرجانان للطفل

نظم المجمع الثقافي في أبو ظبي المهرجان الخامس للطفل تحت شعار: «الطفل: ظل الأمس ومظلة الغد» في أواخر شهر شعبان الماضي.

ضم المهرجان عروضًا تراثية وموسيقية ومسرحية وسينمائية ومسابقات ثقافية، إضافة إلى عرض لمسرح عرائس، ومعرض صور فوتوغرافية عن الألعاب الشعبية، وآخر للكتاب، وثالث للكمبيوتر.

من ناحية أخرى تنظم دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة الدورة الحادية عشرة لمهرجان ثقافة الطفل خلال النصف الثاني من شهر شوال الجاري. وتشهد هذه الدورة اعتماد نشاطات جديدة تنمّي الذوق الفني لدى الأطفال.

البحرين

اكتشاف ختم دلموني ومعالم أرضيات سكنية

عثر في أحد مدافن موقع عالي الأثري على نقوش تمثل مشاهد وموضوعات فريدة في نوعها، تتضمن أحد الأختام المتعارف عليها في حضارة الدلمون.

ويعد هذا أول ختم يعثر عليه في الموقع بعد تنقيب ٩٥ تلة أثرية، ويتوسط مركزه مشهد لظبية تقف على ظهر ثور في الأسفل، ويحيط بها رجلان مرتبطان بشكل إنسان خرافي، حيث الجزء الأعلى آدمي، والأسفل لحيوان، ويتحلى رأس الظبية بتاجين يحملان رايات تنتهي بهلال وشمس، وهذا يعكس معتقدات دينية معينة سادت خلال تلك الحقبة.

كما اكتشفت في الموقع نفسه جرة فخارية فريدة في نوعها تعود إلى فترة دلمون المتأخرة (٢٠٠٠- ١٦٠٠ ق.م) يميزها وجود نتوءات بارزة عليها ذات ثقوب نافذة، إضافة إلى أربعة ثقوب مماثلة في القاعدة، مما يشير إلى أن خيطًا قد تم تمريره بين هذه الثقوب لتعليق الجرة التي كانت تستخدم للزينة.

كما عثر في موقع الدراز الأثري بشمال غرب البحرين على معالم أرضيات سكنية، تحتوي على أدوات للطبخ وأحواض من الجص، تأخذ أشكالاً دائرية، يعتقد أنها استخدمت في تخزين المواد الغذائية من حبوب وذرة وغيرها.

ضمت المكتشفات بقايا مطبخ وفرنًا مصنوعًا من الفخار، مغطى من الخارج بالجص، كما كشفت أعمال الحفر عن وجود بئرين للمياه، بُنيتا من الحجارة الكلسية والحجارة الجيرية، ومجموعة من الأوزان المختلفة التي كانت تستخدم في أغراض البيع والشراء.

الكويت

وفاة الشاعر عبدالله العتيبي



الشاعر عبدالله العتيبي

توفي مؤخرا الأديب والشاعر الكويتي عبدالله محمد العتيبي عن عمر يناهز ٥٣ عامًا.

ولد الفقيد عام ١٩٤٢م، وتلقى دراساته الأولى في الكويت، وتخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٦٧م، ومن الجامعة نفسها نال درجتي الماجستير عام ١٩٧٣م، والدكتوراه عام ١٩٧٨م، ومارس التدريس بالمدارس، ثم بالجامعة الكويتية التي وصل فيها إلى منصب عميد كلية الآداب بالوكالة، كما كان عضوًا في مجلس إدارة

معرض القاهرة الدولي السابع والعشرون للكتاب

القاهرة ـ مراسل الفيصل:

شارك ٢٣٠٠ ناشر ينتمون إلى ٧٦ دولة في معرض القاهرة الدولي السابع والعشرين للكتاب، الذي أقيم خلال الفترة من ١٠ ـ ٢٥ شعبان الماضي (١١ ـ ٢٦ يناير ١٩٩٥م). وتضاربت الأنباء حول عدد العناوين والنسخ المعروضة حيث شكك بعض المتخصصين في علوم المكتبات في الإحصاءات الرسمية للمعرض لأنها تتجاوز حجم الإنتاج العالمي للكتب منذ اختراع الطباعة!

افتتح المعرض الرئيس محمد حسني مبارك بلقاء مع المثقفين أكد فيه على اهتمام الدولة بالثقافة، وحرصها على أن تتيح للمبدع الجو الفكري المناسب للعطاء، وقام بتسليم جوائز أحسن كتاب للفائزين بها عن عام ١٩٩٤م.

كما افتتحت قرينة الرئيس السيدة سوزان مبارك معرض كتب الأطفال الذي شارك فيه ٤٥٠ ناشرًا عرضوا إنتاجهم عبر ٣٢٥ جناحًا.

وبالرغم من الارتفاع النسبي في أسعار الكتب نتيجة ارتفاع سعر الورق ومستلزمات الطباعة، إلا أن مبيعات المعرض بلغت ٢٥ مليون جنيه مصري، تضاف إليها عشرة ملايين جنيه أخرى تعاقدات. وحققت الكتب الدينية مركز الصدارة بين المبيعات، التي كان يمكن أن ترتفع أكثر، خاصة أن زوار المعرض فاقوا الأربعة ملايين زائر، لولا جذب النشاط الفكري والثقافي للجمهور.

وتميز النشاط الفكري المصاحب للمعرض بحضور السياسة وغياب الثقافة، فالمحور الرئيس كان عن «تحديات القرن العشرين»، واستضاف المعرض أكثر من عشرة وزراء ومسؤولين ليتحدثوا عن جهودهم وطموحاتهم في مجالاتهم، فتحدث وزير الداخلية اللواء حسن الألفي عن الأمن ودوره في مكافحة الإرهاب، وكيف ندخل القرن ٢١، وتناول وزير التعليم د. حسين كامل بهاء الدين مشروع مصر القومي إلى القرن الحادي والعشرين، وبالمثل كانت معظم الندوات واللقاءات التي كان ضيوفها وزراء أو مسؤولين، فيما كانت الندوات الأخرى أشد حرارة حيث شارك أكثر من ١٥٠ أديبًا وشاعرًا وقاصًا ومفكرًا، في ندوات المعرض وأمسياته ومحاضراته. وبالرغم من حرارة المشاركة إلا أن الخيط الرابط بين الندوات كان واهيا، حيث لم تجتمع في إطار يرسم صورة المستقبل.


الرئيس حسني مبارك

ويعدّ ملتقى الإبداع الحر الذي أقيم للمرة الأولى أكثر النشاطات تميزًا ونجاحًا، حيث أتاح إطلالة على إبداعات الشباب، مقدما وجوهًا جديدة لم تكن تجد فرصتها، كما حظي اللقاء الذي جرى مع صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ـ بصفته شاعراً ـ بحضور مكثف، خاصة أنها كانت المرة الأولى التي يشارك فيها في نشاطات المعرض. وإلى جانب المقهى الثقافي قُدم ١٧ عرضاً فلكلوريا، وعشرة عروض سينمائية، وأقيم سور الأزبكية ليلبي حاجة الطوابير المتلهفة إلى الثقافة، وغير القادرة على اقتناء الكتب الجديدة، كما قامت الهيئة المصرية العامة للكتاب ببيع مجموعات من الكتب المخزنة لديها بواقع ٢٥ كتابا بخمسة جنيهات فقط للمجموعة.

وصدر الجزء الأول من موسوعة الشروق التي شارك في تحريرها ١٨٠ عالمًا في مختلف فنون المعرفة.

ولوحظ تصاعد انتقاد المثقفين المصريين للهيئة المنظمة للمعرض بسبب سوء التنظيم، والمبالغة في إعلان الأرقام، وعدم وجود كتب جديدة تستحق الالتفات إليها. إلا أن المعرض كان فرصة لجمع شمل الأدباء والمثقفين العرب من مختلف الأقطار، وهي فرصة يندر أن تتكرر إلا في معرض القاهرة وحده.

رابطة الأدباء وأمينًا لسرها، وترأس تحرير «المجلة العربية للعلوم الإنسانية»، وعمل نائبًا لرئيس مجلس إدارة وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، وظل في هذا المنصب حتى وفاته.

وللراحل مؤلفات عدة، منها ديواناه «مزار الحلم»، و«أغاني الوطن»، و«شعر السلم في العصر الجاهلي» و«الحرب والسلام في الشعر العربي من صدر الإسلام إلى العهد الأموي» وغيرهما.

كتب جديدة

امرأة بلا سواحل، مجموعة قصصية لسعاد الصباح، صدرت عن دار سعاد الصباح للنشر.

مبادئ وأحكام القانون الإداري، تأليف د. إبراهيم عبدالعزيز شيحا، صدر عن الدار الجامعية.

مصر

وفاة د. خليف

فقدت الحركة الأدبية والنقدية أحد رموزها بوفاة الدكتور يوسف عبدالقادر خليف، عن عمر يناهز ٧٣ عامًا. وقد جاءت وفاته بعد ساعات من تقديم بحثه إلى الندوة التي نظمتها في القاهرة هيئة جائزة الملك فيصل العالمية بالتعاون مع الأزهر، بوصفه أحد الفائزين السابقين بالجائزة.

وُلد د. خليف في الإسكندرية عام ١٩٢٢م، وتخرج في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليا) عام ١٩٤٤م، ونال درجة الدكتوراه من الكلية نفسها عام ١٩٥٦م، وعُيِّن مدرسًا بها، وخلال فترة عمله أستاذًا ورئيسًا لقسم اللغة العربية أشرف على مايقارب مائتي رسالة ماجستير ودكتوراه، كما كان مقررًا للجنة الدراسات الأدبية في المجلس الأعلى للثقافة

بين سنتي ١٩٨٠ و ١٩٨٢م ولجنة الجوائز التشجيعية في فرع الدراسات الأدبية.

وعُرف الفقيد باهتمامه بالتراث العربي منذ ألّف كتابه عن الشعراء الصعاليك في الجاهلية، حيث أثرى المكتبة العربية بأبحاثه حول التراث العربي، إضافة إلى دراساته التي تناولت تاريخ الشعر العربي ومناهجه النقدية، مما أهله للفوز بجائزة الدولة التقديرية، وجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. وللراحل عدة مؤلفات منها: «الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي»، «الحب المثالي عند العرب»، «حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة»، «ذو الرمة شاعر الحب والصحراء»، «دراسات في القرآن والحديث»، «دراسات في الشعر الجاهلي»، «تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي»، «تاريخ الشعر العربي في العصر العباسي»، «مناهج البحث الأدبي»، فضلاً عن ديوان شعر بعنوان «نداء القمم». (راجع العدد ١٤٥ ص١١٤ ستجد نبذة عن حياته العلمية).

هل هي مقبرة الإسكندر حقًا؟

ثار جدل بين علماء الآثار حول المقبرة التي اكتشفتها مؤخرًا بعثة آثارية يونانية في منطقة المراقي بواحة سيوة؛ ففي حين أكدت ليانا سوفا لتزي رئيسة البعثة أن المقبرة تخص الإسكندر الأكبر، مستدلة على صحة قولها بأن إحدى اللوحتين اللتين عُثر عليهما بالمقبرة مؤرخة من سنة ٢٩٠ ـ ٢٨٤ قبل الميلاد، وكتب عليها بطليموس الأول: «من أجل الإسكندر العظيم أقدم القرابين طبقا لأوامر الإله الذي حمل الجسد هنا»، فإن مجموعة من الآثاريين المصريين واليونانيين نفت أن تكون المقبرة للإسكندر الأكبر، مؤكدة أن

الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية

يبحثون في الإسلام والثقافة العربية في العالم الجديد

الأمير خالد الفيصل: أين موقعنا في هذا العالم

قال صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية: إن المسلمين والعرب يقفون اليوم في مفترق طرق في ظل المتغيرات المتلاحقة التي يشهدها العالم اليوم وأمام الهجمة الإعلامية الثقافية التي تُشَنُّ ضدهم. وأضاف: إننا لم نكوِّن لأنفسنا حتى الآن منهجا ولا اتجاها في هذا العالم. مطالبا العرب والمسلمين بأن يتحولوا من موقف المتفرج إلى موقف الفاعل.

جاء ذلك في مؤتمر صحافي عقده سموه في القاهرة بمناسبة تنظيم هيئة الجائزة ـ بالتعاون مع الأزهر ـ لقاء علميا بعنوان «الإسلام والثقافة العربية في العالم الجديد» شارك فيه الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية في مجالات خدمة الإسلام والدراسات الإسلامية والأدب العربي، منذ إنشائها.

وفي معرض إيضاحه لسبب اختيار موضوع اللقاء العلمي قال الأمير خالد الفيصل: انبثق اختيار هذا الموضوع من كون كله يمر بما يسمَّى «النظام العالمي الجديد»، وإلى الآن لم تتضح صورة هذا العالم الجديد ولم تتضح نوايا المسؤولين عنه. ونحن نحس أن الإسلام والعرب والعروبة يقفون اليوم في مفترق طرق؛ فالعالم اختلف وتغير وأصبحت جميع المفاهيم مختلفة عما كانت عليه، حتى الحروب أصبحت تتحول من حروب بالأسلحة إلى حروب اقتصادية وحروب ثقافية. والعالم العربي والإسلامي يقف الآن أمام هجمة إعلامية ثقافية، فكيف نستطيع أن نتصدى لهذه الهجمة؟ وكيف نختار موضع قدمنا في هذا العالم؟ وهل نحن مستعدون؟ وأنهى سموه هذه التساؤلات بالقول: هذا هو السؤال المطروح الآن في العالم العربي والإسلامي.

ثم أردف قائلا: لهذا السبب كان اختيارنا لهذا الموضوع، لعلنا نتحول أو نقفز من موقف المتفرج إلى موقف الفاعل. فنحن إلى الآن لم نكوّن لنا صورة ولم نكوّن لنا منهجا ولم نكوّن لنا اتجاها في هذا العالم، وكل مانفعله ـ للأسف ـ في العالم العربي والإسلامي حتى الآن هو النظرة إلى الأحداث ومتابعتها والانبهار بالدول التي تسيّر هذه الأحداث، بل وبالرجال الذين يحركون هذه الأحداث. وأملنا في المسلمين وفي العرب أن يتحولوا من موقف المتفرج إلى موقف الفاعل.

أساس ثقافي لدور المؤسسة الحضاري

وعن الدور الحضاري لمؤسسة الملك فيصل الخيرية قال سموه: إن الحضارة تعتمد اعتمادا جوهريا على الثقافة، وإن منهج المؤسسة في خدمة الإسلام والمسلمين يعتمد أساسا على الثقافة. وأضاف قائلا: وكلما أعددنا أمتنا إعدادا ثقافيا متميزا استطعنا أن نحتل مكانة مرموقة بين الأمم وأن نسترد مكانتنا الحضارية في هذا العالم.

وبعد أن أوضح سمو الأمير خالد الفيصل للصحافيين الفكرة التي قامت عليها المؤسسة والجائزة، والعمل الذي تقوم به لتقدير أصحاب الدور الريادي من مسلمين وعرب وأجانب أثروا الفكر الإنساني، تحدث عن المشروعات المستقبلية التي تطمح المؤسسة إلى إنجازها، موضحا سموه أن المؤسسة قررت أن تلحق بمشروعاتها الخيرية في العالم أوقافا يتم من خلالها الإنفاق على تلك المشروعات لضمان استمرارها، وأن مصر هي أولى الدول التي سيتم فيها إقامة مشروعات خيرية بهذا الأسلوب الجديد.

وأكد الأمير خالد الفيصل أنه بالرغم من أن للمؤسسة شخصيتها الاعتبارية واستقلاليتها وأن جميع مشروعاتها تموَّل من الأموال التي وهبها ورثة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ ومن الاستثمارات والتبرعات، إلا أن المؤسسة تحظى بمؤازرة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ودعمه وهو الرئيس الأعلى للمؤسسة.

وقد شارك في المؤتمر الصحافي الأمناء العامون المسؤولون عن قطاعات المؤسسة الثلاثة؛ حيث تحدث سمو الأمير بندر بن سعود بن خالد الأمين العام للمؤسسة عن نشاطها وبرامج الإنفاق الخيري فيها. وتحدث الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين الأمين العام للجائزة عن نظام الجائزة وكيفية الترشيح لها وأعمال المحكمين ولجان الاختيار حتى يتم الإعلان عن الفائزين بها في كل عام. وتحدث الدكتور زيد بن عبدالمحسن الحسين الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ورئيس تحرير مجلة «الفيصل» عن نشاطات المركز العلمية والثقافية والخدمات التي يقدمها للباحثين والدارسين والمهتمين.

اللقاء العلمي

أقيم اللقاء العلمي الذي كان عنوانه «الإسلام والثقافة العربية في العالم الجديد» تحت رعاية الرئيس المصري



الأمير خالد الفيصل مع الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام والدراسات الإسلامية والأدب العربي، بحضور شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق

محمد حسني مبارك، يومي ٢٠، ٢١ شعبان الماضي (٢٢،٢١ يناير ١٩٩٥م) في القاهرة بالتعاون مع الأزهر الشريف، وشارك فيه ٤٧ فائزاً من الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية في مجالات خدمة الإسلام والدراسات الإسلامية والأدب العربي، ممن هم على قيد الحياة، وفي مقدمتهم الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش الذي نال جائزة خدمة الإسلام في العام قبل الماضي.

تحدث في الجلسة الأولى (الافتتاحية) كل من شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق نيابة عن الرئيس مبارك راعي اللقاء، والرئيس البوسني نيابة عن الفائزين، والأمير خالد الفيصل، حيث رحب الشيخ جاد الحق بالمشاركين في اللقاء مشيداً بمكانة جائزة الملك فيصل العالمية. وتناول الرئيس بيجوفيتش في كلمته انتشار الإسلام منذ ظهوره وأوضاع المسلمين الحالية وهجرة العقول المسلمة إلى خارج العالم الإسلامي، كما تناول الفجوة بين عامة المسلمين والنخبة المثقفة التي تلقت تعليما جعلها بعيدة من هموم المسلمين. وأوضح الأمير خالد الفيصل في كلمته مسيرة المؤسسة منذ إنشائها عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) وأوجه النشاط المختلفة.

وخصصت الجلسة الثانية للفائزين في خدمة الإسلام والدراسات الإسلامية، حيث تحدث الشيخ محمد الغزالي عن الدولة الإسلامية الأولى وماأقامته من عقيدة لاتزيدها الأيام سوى قدرة على البقاء، وتحدث الشيخ د. يوسف القرضاوي عن الاجتهاد وضرورة انطلاق الفقه المعاصر من الواقع إلى جانب النصوص، وتحدث الدكتور محمد مصطفى الأعظمي عن خدمة السُّنَّة في المستقبل.

وخصصت الجلسة الثالثة للفائزين في الأدب العربي، حيث تحدث الدكتور ناصر الدين الأسد عن الخصائص الثابتة والمتطورة للثقافة العربية والمتمثلة في منهج هذه الثقافة وعناصرها، وفي محتواها، وفي تطبيقات المنهج والمحتوى على مر العصور. وتحدث الدكتور شكري عياد عن دور الثقافة العربية والإسلامية في بناء العالم الجديد الذي يرى أن معالمه لن تتضح إلا بعد عشرات السنين، مشيراً بأننا قطعنا شوطا لا بأس به في تحديث ثقافتنا، ومشدداً على أنه لابد من استئناف مسيرة التحديث على هدى وبصيرة مع ضرورة التخلص من وهم إمكان الفصل بين الدين والثقافة. وتحدثت الدكتورة وداد قاضي في بحثها عن المرجعية بين الشرق والغرب في الدراسات العربية والإسلامية والملامح الرئيسة لهذه الدراسات وهي النزعة المؤسسية وتلبية الاحتياجات ومواكبة تطورات العصر، وأنهت كلمتها بمقترحات عن مجالات التعاون بين الشرق والغرب بغية توحيد المرجعية في هذا الحقل على المدى البعيد لضمان استمراره قويا فاعلاً.

وبعد انتهاء جلسات اللقاء العلمي التي شارك فيها الحضور بالمناقشة والتعليق، وجه سمو الأمير خالد الفيصل كلمة شكر وتقدير إلى الفائزين والمشاركين في اللقاء، وذلك في حفل العشاء الذي أقامه تكريما لهم.

مشروع ثقافي في مصر

وفي ختام نشاطات اللقاء استقبل الرئيس مبارك الأمير خالد الفيصل، وحضر المقابلة الأمير بندر بن سعود بن خالد الأمين العام للمؤسسة والسفير السعودي في القاهرة أسعد أبو النصر. وأعلن الأمير خالد الفيصل عقب المقابلة أن تفاصيل المشروع الثقافي الخيري الذي تعتزم المؤسسة إقامته في مصر سوف يعلن عنها في حينه، وذلك بعد دراسته مع المسؤولين في الحكومة المصرية.

ويعدّ لقاء القاهرة هو اللقاء العلمي الثاني للفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية، وسبقه اللقاء الأول في لندن عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م)، وشارك فيه الفائزون في مجالي الطب والعلوم.

(سوف تنشر المجلة في عددها القادم ـ بإذن الله ـ ملفًا شاملاً عن مؤسسة الملك فيصل الخيرية يتحدث عن أنشطتها، بما فيها جائزة الملك فيصل العالمية).

المنطقة تعود إلى العصر الروماني، خاصة أنه لم يتم العثور على جثمان الإسكندر بها.

وإذا ثبت أن المقبرة تخص الإسكندر حقا، فهذا يعني أن الكشف يعتبر أهم كشف أثري في مصر منذ اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون في وادي الملوك بالأقصر قبل ٧٠ عامًا.

دورة تدريبية لتحقيق التراث

نظم مركز تحقيق التراث التابع لدار الكتب والوثائق القومية أول دورة تدريبية في

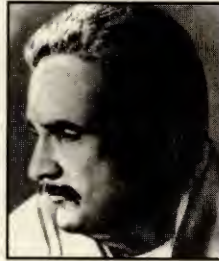
الحركة الثقافية في شهر

تحقيق التراث العربي في نهاية شهر شعبان الماضي، شارك فيها خمسون باحثا.

عُنيت الدورة بتكوين جيل جديد من محققي التراث العربي في مجالاته المختلفة، وقام بالتدريس فيها نحو عشرين خبيراً وأكاديميًا، ومن المقرر أن تتلوها مجموعات عمل متخصصة تقوم بتحقيق مرجع في التراث العربي، ليتم طبعه فور الانتهاء منه، وذلك لمدة أربعة أشهر اعتبارا من شهر شوال الجاري وحتى محرم ١٤١٦هـ.

ذكرى إقبال

نظمت جمعيتا «الشبان المسلمين» و«أصدقاء إقبال» ندوة احتفالية بذكرى الشاعر محمد إقبال، شارك فيها عدد من الأكاديميين والشعراء.


الشاعر محمد إقبال

وأكد المشاركون في كلماتهم على أن إقبال الذي يوصف بشاعر الإسلام الكبير لم يكن شاعراً مبدعاً فحسب، ولكنه كان أيضا رجل علم وثقافة ومفكرا مصلحًا، حمل هموم أمته، وناقشها وحللها، متوصلاً إلى نتيجة مفادها أن تقدم الأمة لن يكون إلا بالعودة إلى جذورها الثقافية الأصيلة المنبثقة من عقيدتها مع عدم إغفال المعاصرة، فكان بذلك أحد دعاة التجديد الفكري القائم على الموروث، باعتبار ذلك السبيل الأمثل لبناء الإنسان المسلم.

مؤتمر دولي للفن التشكيلي

تعد جمعية الأيكا الفنية لتنظيم أول مؤتمر دولي للمنظّرين والباحثين ونقاد الفن التشكيلي تحت عنوان «العلاقة الجدلية بين الفنان والمتلقي والناقد»، وذلك خلال شهر ديسمبر ١٩٩٥م.

يشارك في المؤتمر باحثون ونقاد عرب وأوربيون وأمريكيون، ويستمر سبعة أيام، وتتخلله ورشة عمل حول فكرة «الشرق والغرب»، ويعقبه حوار حول «التعددية الثقافية في الفن ووحدة العالم».

نشرة «نور» للمرأة العربية

أصدرت دار نشر«نور» المتخصصة في أدب المرأة العدد الأول من نشرتها متضمنًا موضوعات متنوعة في الأدب والنقد وعلم الاجتماع. ترأس تحرير النشرة أميمة رشيد.

كتب جديدة

حكايات أولاد حارتنا، بقلم د. عبدالجليل شلبي، محمود أمين العالم، ود. سمير سرحان، صدرت ضمن سلسلة «كتاب اليوم» عن مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة.

ممولو الإرهاب، تأليف عبدالقادر شهيب، صدر عن مؤسسة دار الهلال.

دائرة المعارف العالمية المصورة للأطفال

محاضرات وندوات

«التنصير في أفريقيا وغياب المواجهة»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، هقّار بن محمد أحمد.

«تيارات معاصرة في الفكر الإسلامي»، عنوان محاضرة ألقاها في ندوة الثقافة والعلوم بدبي، د. رضوان السيد.

«النباتات المنزلية»، موضوع محاضرة ألقتها في المجمع الثقافي بأبو ظبي، جين فاراداي.

«الأسلوبية والنقد الأدبي»، عنوان محاضرة ألقاها في اتحاد كتّاب الإمارات وأدبائها بأبو ظبي، الناقد نضال بلال.

«المدينة العربية القديمة»، عنوان محاضرة ألقاها في اتحاد كُتّاب الإمارات وأدبائها بالشارقة، د. شوقي مضيوف شعث.

«وصف المرأة في الشعر الجاهلي»، عنوان محاضرة ألقتها في رابطة أديبات الإمارات بأندية الفتيات في الشارقة، الدكتوره عطية خليل الأنصاري.

«العالم العربي والثقافة» عنوان ندوة نظمها المجمع الثقافي العربي في بيروت، شارك فيها مجموعة من المثقفين والمفكرين اللبنانيين والعرب.

«الأيدز»، موضوع محاضرة ألقاها في كلية الدراسات التجارية للبنين في الكويت، د. حسين المؤمن.

«الله»، «الإنسان»، «الكون»، موضوعات ثلاث محاضرات، ألقاها في مدينة مارديل بلاتا بالأرجنتين، د. عبدالقادر إسماعيل.

(١٠ مجلدات)، تأليف أحمد نجيب وآخرين، صدرت عن دارالكتاب المصري - اللبناني.

لحن الصباح، رواية لمحمد ناجي، صدرت عن دار مصر العربية.

حكاوي البلاوي، تأليف حازم هاشم، صدر عن الدار المصرية اللبنانية.

السحار..رحلة إلى السيرة النبوية، تأليف محمد جبريل، صدر عن مكتبة مصر.

كتاب القواعد والفوائد في الإعراب، تأليف الإمام أبي محمد بن محمد أبي الحسن الخاوراني الشوكاني (ت ٥٧١هـ)، تحقيق د. عبدالله بن حمد الخثران، صدر عن دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية.

من فنون الغناء الشعبي المصري، تأليف صفوت كمال، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ليال وأيام عربية، (الترجمة الإنجليزية لرواية نجيب محفوظ ليالي ألف ليلة) ترجمها دنيس جونسون ويفز، وصدرت عن

أمسية شعرية للأمير خالد الفيصل في القاهرة



شهدت القاهرة مؤخرًا واحدة من أروع الأمسيات الشعرية مع قصائد نبطية ألقاها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بحضور نخبة من مثقفي العالم العربي وعشاق الشعر.

نظم الأمسية نادي الطلبة السعوديين بمناسبة زيارة سموه القاهرة للإشراف على اللقاء العلمي الذي نظمته هيئة جائزة الملك فيصل العالمية للفائزين بها.

قدم د. عبدالله العثيمين الأمسية بكلمة أشار فيها إلى أن الشعر النبطي شعر عربي فيه فصاحة، ونوَّه بأشعار الأمير خالد الفيصل، مؤكدًا تميز سموه بالحضور الشعري في ترتيب الأبيات.

وبدأ سموه الأمسية بقصيدة ألقاها وفاءً للنيل، ثم ألقى قصيدة بعنوان «إلى أبنائي الطلبة»، أعقبها بقصيدة «في العيون» و«الزين مايكمل» ومجموعة أخرى من القصائد الغنائية، وسط إعجاب الحضور الذي فاق عددهم استيعاب القاعة، واختتم سموه الأمسية بالإجابة عن أسئلة الحاضرين.

حضر الأمسية الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش، وعدد من الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية، ومجموعة كبيرة من الأدباء والنقاد والمثقفين ورجال الإعلام، ومواطني بعض البلدان العربية الموجودين بالقاهرة.

وكان الأستاذ أنيس منصور والدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي رئيس رابطة الأدب الحديث بالقاهرة قد قدما الزمالة الفخرية لسمو الأمير خالد الفيصل، في وقت سابق لعقد الأمسية الشعرية، وقدم الدكتور السعدي فرهود، الرئيس الأسبق لجامعة الأزهر، لسموه الزمالة الفخرية لسوق الفسطاط للشعر، كما قدم لسموه الدكتور عبدالعزيز شرف رئيس جماعة أبوللو الجديدة زمالتها الفخرية، وذلك بمناسبة زيارة سموه القاهرة. كما قدم الدكتوران خفاجي وشرف لسموه النسخة الأولى من مؤلفهما: «خالد الفيصل فارس الإبداع العربي».

«الأبعاد الاجتماعية والثقافية للنظام العالمي الجديد»، عنوان محاضرة ألقاها في المجمع الثقافي بأبو ظبي، د. محمود عودة.

«رعاية المعاقين وسبل الوقاية من الإعاقة»، موضوع ندوة نظمها مركز رعاية المعاقين وتأهيلهم في أبو ظبي، شارك فيها كل من: عادل خليفة، د. كمال الشريف، و د. صلاح عميرة.

«الإعجاز الطبي في القرآن الكريم»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي الجزيرة بأبو ظبي، د. علي البار.

«تاريخ الإسلام في شرق أوروبا»، عنوان محاضرة ألقاها في رابطة الأدباء بالكويت، المستشرق آنس خاليدوف.

«صفات طالب العلم»، عنوان محاضرة ألقاها في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، الشيخ صالح بن محمد اللحيدان.

«مجتمع عرب الخليج قديمًا وحديثًا»، عنوان ندوة نظمها مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، شارك فيها كل من د. حمد بن صرامي، د. حسن محمد النابودة، د. فاطمة الصايغ.

«إياكم والغلو في الدين»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد حي التعاون بالصفا بجدة، د. صالح بن فوزان الفوزان.

«أحكام الصيام والقيام»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع عشيرة بالمجمعة، الشيخ محمد بن عبدالرحمن التويجري.

«مشكلات النشر في مصر»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدراسات الاقتصادية والقانونية والاجتماعية بالقاهرة، إبراهيم المعلم.

«الدبلوماسية علم وفن في خدمة الوطن والمواطن»، عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي اللبناني - الكندي في أوتاوا، السفير د. عاصم جابر.

الحركة الثقافية في شهر

دار نشر الجامعة الأمريكية.

التمرد على الأدب، دراسة في تجربة سيد قطب، تأليف د. علي شلش.

في حب نجيب محفوظ، تأليف رجاء النقاش.

صدر الكتابان السابقان عن دار الشروق

الأردن

مجمع سكني بمحاذاة البتراء

اكتشف مجمع سكني مساحته ٨٠٠ متر مربع يعود أصله إلى الحقبة النبطية، واستعمل في ثلاث فترات زمنية في موقع «براق المطل» المحاذي لمدينة البتراء الأردنية.

يتكون المجمع من تسع غرف سكنية مختلفة المساحات، بالإضافة إلى ساحة داخلية تتوسطها أعمدة، وساحات خارجية تحيط بالمبنى الذي دُعمت أسقف غُرفه بركب حجرية ملتصقة بجدرانها، وبلّطت أرضياتها بالبلاط النبطي.

لبنان

مصادرة كتب النيهوم

احتج المثقفون اللبنانيون على قيام سلطات الأمن العام بمصادرة ثلاثة كتب للمفكر الإسلامي الليبي الراحل الصادق النيهوم، وهي «صوت الناس: محنة ثقافة مزورة» و«الإسلام في الأسر: مَنْ سرق الجامع وأين تذهب يوم الجمعة؟»، و«إسلام ضد الإسلام: شريعة من ورق». وأعرب المثقفون عن استنكارهم لمصادرة الكتب الثلاثة التي وزعت وبيعت في عدد من الأقطار العربية، ووصفوا هذا العمل بأنه اعتداء على حرية الفكر.

مجلة جامعة البلمند

أصدرت كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة البلمند مجلة نصف سنوية تحمل اسم «كلمة البلمند» تضمن العدد الأول من المجلة مقالات وأبحاثًا متنوعة باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية.

كتب جديدة

جغرافية الروح، مجموعة قصصية لمحمود البياتي، صدرت عن دار الكنوز الأدبية في بيروت.

لغات عربية: مسح للُغات العربية في سبيل أصالة لغوية مبدعة، تأليف أمين ألبرت الريحاني.

ثقافات الخمينية: موقف من الاستشراق أم حرب على طيف؟، تأليف حازم صاغية.

صدر الكتابان السابقان عن دار الجديد.

القمر المربع، مجموعة قصصية لغادة السمان، صدرت عن منشورات غادة السمان.

رسائل جامعية

«إمكانات التكامل في الحبوب الغذائية بين مصر والسودان»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية، تقدم بها جمال سيد أحمد.

«الآثار الإسلامية بقرية البطالية بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها سعود فهد علي الحسين.

«الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة»، موضوع رسالة دكتوراة، نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها محمد فكري الجزار.

«قصيدة الغزل العذري في العصر الأموي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الاسكندرية، تقدم بها محمد محمد محمدين.

«العلاقات المصرية العربية من عام ١٩٧٠م إلى عام ١٩٨١م»، موضوع رسالة دكتوراه، نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدم بها حسن أبو طالب.

«سياسات النظام تجاه الحركات الإسلامية المعارضة في مصر»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدمت بها هالة مصطفى.

«دراسة مقارنة للتجمعات الميكروبية الموجودة في بيئة مستشفى العين وعدد من البيئات المنزلية في مدينة العين»، موضوع رسالة ماجستير في علوم البيئة نوقشت في جامعة الإمارات، تقدمت بها

رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت، تأليف الشريف يوسف بن عابد بن محمد الحسني الفاسي المغربي، تحقيق وتقديم وتعليق د. إبراهيم السامرائي، وعبدالله محمد الحبشي، صدر عن دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع.

المسألة الثقافية، تأليف د. محمد عابد الجابري، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية.

جدلية الحوار في الثقافة والنقد، تأليف د. سامي سويدان، صدر عن دار الآداب في بيروت.

المجتمع الفلسطيني في غزة والضفة الغربية والقدس العربية، تأليف مجموعة من الباحثين الفلسطينيين والنرويجيين، صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت.

سورية

اكتشاف توابيت أثرية

عثر في طرطوس على ثلاثة توابيت أثرية، أحدها رخامي يشبه الإنسان، يعود تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

كما عثر على تابوت رصاصي في مدفن فردي بأساسات أحد المباني، يضم ثلاثة هياكل عظمية، يعود تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وتابوت فخاري في مدفن بإحدى القرى، يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي.

كتب جديدة

إمعان في أقسام القرآن، تأليف الإمام عبدالحميد الفراهي، عناية د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، وتقديم الشيخ أبي الحسن الندوي، صدر عن دار القلم بدمشق والدار الشامية في بيروت.

دليل القائد الإداري، (٤ أجزاء)، تأليف كمال نور الله، صدر عن دار طلاس للدراسات والنشر.

المغرب

وفاة الشاعر الجوماري

توفي - مؤخرًا - الشاعر أحمد الجوماري، إثر نوبة قلبية.

وُلد الجوماري عام ١٩٣٩م في الدار البيضاء، وعمل في مجال التعليم، ويعد من محدثي القصيدة المغربية، وقد أصدر ديوانه الأول «أشعار في الحب والموت» عام ١٩٧٨م، وأتبعه عام ١٩٨٩م بالديوان الثاني والأخير «أوراق الليل».

كتب جديدة

السرد الفيلمي: قراءة سيميائية، تأليف عبد الرزاق الزاهير.

السببية في الفيزياء: الكلاسيكية والنسبانية، دراسة إبتمولوجية، تأليف عبدالسلام بنميس.

صدر الكتابان السابقان عن دار توبقال للنشر بالدار البيضاء.

المدينة والمديني في الرواية الإسبانية - الأمريكية الحالية، تأليف إمامة عواد لحرش، صدر عن دار نشر ولادة بالرباط.

هذا ديننا، تأليف الشيخ محمد الغزالي، ترجمه إلى الفرنسية محمد عنبر، وصدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

آمنة علي الجفال.

«الاستعاذة بالله عز وجل: حقيقتها وأحكامها»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية للبنات في الرياض، تقدمت بها فوزية عبدالعزيز الشايع.

«فكرة التنوير عند أحمد لطفي السيد وسلامة موسى»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب ببنها في مصر، تقدم بها عصمت نصار.

«جدلية التمرد في الفن القصصي عند غادة السمان»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق، تقدمت بها ميرال الطحاوي.

«نموذج إحصائي مقترح لتطوير التجارة الخارجية لمصر وتنميتها»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة عين شمس، تقدم بها أحمد الألفي.

«الآثار السلبية للتلوث الناتج عن عوادم السيارات وكيفية علاجها»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد البيئة بجامعة عين شمس، تقدم بها رائد شرطة رفعت محمد البسيوني.

«اختزال المعلومات»، موضوع رسالة دكتوراه في الهندسة الكهربائية نوقشت في جامعة نبراسكا بالولايات المتحدة الأمريكية، تقدم بها علي غانم عبيد.

«المساجد في المنطقة الوسطى: دراسة أثرية تحليلية مقارنة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإدارة بجامعة الملك سعود، تقدم بها سعود بن فهد الشويش.

«تحقيق ودراسة القسم الثاني من مختصر خلافيات البيهقي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها إبراهيم بن صالح الخضيري.

الحركة الثقافية في شهر

(الإيسيسكو).

الإسلام وأصول الحكم، تأليف علي عبدالرازق، ترجمه إلى الفرنسية عبده الفيلالي الأنصاري، وصدر عن دار الفنك بالرباط.

تركيا

جائزة ناظم حكمت لأدونيس

منح الشاعر علي أحمد سعيد (أدونيس) جائزة ناظم حكمت للشعر في سنتها الأولى.

وجاء في حيثيات قرار مؤسسة ناظم حكمت في أنقرة بمنح أدونيس الجائزة أن أدونيس كان «أداة وصل الشعر العربي بالشعر العالمي دون أن يفقد هويته الخاصة»، كما أنه «أثّر في الشعر العربي من الشرق الأوسط حتى المغرب»

ويذكر أن ناظم حكمت شاعر تركي شيوعي، سجن بسبب آرائه ومواقفه السياسية، وتوفي في موسكو عام ١٩٦٣م.

بروني

الترجمة من العربية إلى الملايوية

أوصت ندوة اللغة العربية التي نظمها - مؤخرا - المعهد العالي للدراسات الإسلامية تحت شعار«نحو الترغيب في درس القرآن والسنة» بإنشاء مركز للترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الملايوية وبالعكس، والعناية بتحفيظ القرآن الكريم، وتوجيه مزيد من الاهتمام إلى مجال الدراسات العربية الإسلامية.

وتضمنت التوصيات الدعوة لتأليف معجم عربي - ملايوي، واستعمال المنهج الأدبي في دراسة القاعدة النحوية، ووضع النصوص الأدبية المختارة من روائع الأدب العربي، والدعوة إلى إطلاق قمر صناعي إسلامي يتيح الفرصة لبث قنوات فضائية تلفازية تعتمد اللغة العربية الفصحى، وتيسير تداول الصحف العربية في بلدان العالم الإسلامي، وتوصيات أخرى.

اليابان

سحب كتاب مسيئ للإسلام

سحبت شركة جاكين المحدودة للنشر كتاباً كانت قد أصدرته عن التاريخ الإسلامي ضم في ثناياه صوراً مزعومة للرسول صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة والصحابيات عليهم رضوان الله.

وقدمت الشركة اعتذارها للمعهد العربي الإسلامي في طوكيو التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، مؤكدة احترامها لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم والدين الإسلامي، ومتعهدة بعدم تكرار مثل هذا العمل وسحب مايتوافر في السوق من نسخ الكتاب.

فرنسا

معرض وثائقي عن أطفال القرون الوسطى

استضافت المكتبة الوطنية في باريس معرضاً بعنوان «الأطفال في القرون الوسطى» ضم أعمالاً فنية وألعاب أطفال ومخطوطات ووثائق وكتباً، تعكس نظرة المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى للطفولة وطرق التعامل مع الأطفال.

كما ضم المعرض وثائق توضح أساليب التعليم - آنذاك - ومراحله وعلاج الأطفال، ومعدلات وفياتهم، مما جعله بمثابة وثيقة اجتماعية - تاريخية تؤرخ لتلك الحقبة.

جائزة «انترالي» لتريلار

منح الصحافي والكاتب مارك تريلار جائزة انترالي عن روايته «الدرادو». وتمنح هذه الجائزة للصحافيين الذين يتجهون إلى الأعمال الأدبية، تشجيعاً لهم على مواصلة الإبداع.

إيطاليا

وفاة «إمبراطور» الصحافة

توفي - مؤخراً - إتيليو مونتي الذي يعرف بإمبراطور الصحافة عن عمر يناهز ٨٤ عاماً.

بدأ مونتي حياته العملية في سن السابعة عشرة بالعمل في محطة وقود، ثم مندوباً لمبيعات إحدى شركات الوقود، ثم صار مالكاً لمعمل لتكرير البترول، وفي عام ١٩٦٦م اتجه إلى الاستثمار في الصحافة، حيث أصدر صحيفة «أل رستوول كارلينو»، التي صارت - فيما بعد - الصحيفة الرسمية لبولونيا، ثم امتلك صحيفتين أخريين هما «بيت» في فلورنسا و «تمبو» في روما.

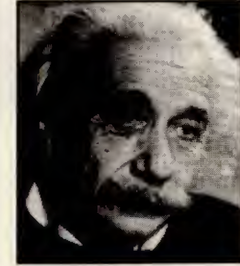
ألمانيا

وفاة المستشرق ميخائيل ماينكه

توفي - مؤخرا - المستشرق د. ميخائيل ماينكه، مدير متحف الفن الإسلامي في برلين، عن عمر يناهز الثالثة والخمسين.

يعد المستشرق الراحل من أبرز أساتذة الفن الإسلامي والعلوم الإسلامية في أوروبا، وقد قام عقب توليه إدارة متحف الفن الإسلامي قبل ثمانية أعوام بإعادة توزيع موجودات المتحف وكنوزه طبقًا لموضوعاتها التاريخية والفنية، ضمن أقسام متخصصة، كما أشرف بعد إعادة توحيد ألمانيا على دمج المتحفين الإسلامي والشرقي اللذين كانا من قبل في القطاعين الغربي والشرقي للعاصمة برلين إبان تجزئتها.

بيت أينشتاين أصبح متحفا



آلبرت اينشتاين

قررت بلدية مدينة كابوت فتح المنزل الذي كان يقيم فيه صاحب نظرية «النسبية» ألبرت أينشتاين للجمهور بعد أن تم تحويله إلى متحف.

وكان المنزل مغلقًا أمام الجمهور منذ وفاة أينشتاين قبل أربعين عامًا، ولم يسمح بدخوله إلاّ لبعض الفائزين بجائزة نوبل، وبعض الفنانين والكتاب، بناء على رغبة العالم الراحل الذي كان يعترض على تحويل المنزل إلى متحف، إلى أن صدر القرار الأخير، الذي حدد مواعيد الزيارة بعطلات نهاية الأسبوع، وألايزيد عدد الزائرين على ١٥ زائرًا فقط في كل مرة مع إلزامهم بارتداء أحذية من اللباد أثناء تجولهم في المنزل المتحف.

الولايات المتحدة

جائزة إليوت لمولدون

منح الشاعر الأيرلندي بول مولدون جائزة «ت.س.إليوت» عن مجموعته الشعرية «حوليات شيلي»

ومولدون أستاذ جامعي، يعمل في جامعة برنستون بالولايات المتحدة، وتتلمذ على يدي الشاعر الأيرلندي سيموس هيني.

ويذكر أن جائزة إليوت قد بدئ في منحها اعتباراً من العام الماضي تحت إشراف جمعية ديوان الشعر، تكريمًا للشاعر والناقد الإنجليزي الراحل ذي الأصل الأمريكي توماس ستيرن إليوت، حيث تقوم أرملته بتقديمها للفائز.

هولندا

ملامح من العصر الذهبي

أقيم في متحف روتردام معرض فني بعنوان «ملامح العصر الذهبي في هولندا»

ضم المعرض مجموعة لوحات بورتريه من أعمال فناني هولندا خلال القرن السابع عشر، الذي عرف هناك بالعصر الذهبي للفنون، وفي مقدمة الفنانين المعروض لهم رامبرانت وفرانز هانز.

بريطانيا

مجلة «نصوص» ومطبوعة «الكتاب العربي»

صدرت في بريطانيا مجلة ثقافية فصلية جديدة تحمل اسم «نصوص»، ومطبوعة أخرى تحمل اسم «الكتاب العربي».

تتكون أسرة تحرير «نصوص» ـ التي صدر العدد الأول منها مؤخرا ـ من فاطمة المحسن وعبدالكريم كاصد وزهير الجزائري، وحمل العدد كلمة تعريفية بالمجلة جاء فيها أنها مشروع صداقة أدبية ودعوة إلى مغامرة دون اشتراطات سابقة.

وتصدر مطبوعة «الكتاب العربي» اعتباراً من شهر مارس الجاري عن نادي الكتاب العربي في بريطانيا، وقد صدر عددها التجريبي قبل شهرين، وترمي إلى إيصال الكتاب العربي إلى آلاف القراء في أمريكا وأوربا وأستراليا إضافة إلى بلدان العالم الإسلامي.

فرع جديد لمتحف التات

يخطط متحف التات للفنون لإقامة فرع جديد له على الضفَّة الجنوبية لنهر التايمز بحلول عام ٢٠٠٠م.

وسوف يتيح الفرع الذي يكلف إنشاؤه قرابة ١٢٠ مليون جنيه إسترليني، فرصة لعرض نحو ستة آلاف عمل فني نادر، يحتفظ بها المتحف الأم في مخازنه، ولم يسبق عرض ثلاثة أرباعها على الجمهور.

أحدث الكتب

القومية : مرض العصر أم خلاصُهُ؟، دراسة لظاهرة المد القومي وإفرازاتها السياسية والحركية سلبًا وإيجابًا، قام بها مجموعة من الباحثين العرب والأجانب، وصدرت عن دار الساقي في لندن.

الفرصة الضائعة: لماذا لم تنجح الإصلاحات الاقتصادية في روسيا؟، تأليف مارشال جولدمان، صدر عن دار نشر نورتون.

المأكولات التي تساعد في تخفيف وزنك، تأليف إيزابيل مارتن، صدر عن دار نشر مويز.

النظام النقدي الدولي: النشأة والانهيار، تأليف عبدالفتاح الجبالي، صدر عن مركز الدراسات العربي ـ الأوربي.

رجال وساحرات، (رؤية جديدة لمسرحية ماكبث)، تأليف جاري ويلز، صدر عن دار نشر أكسفورد.

عزف على جرح منفرد، ديوان للشاعر نزار البصري، صدر عن مؤسسة الرافد للنشر.



الجزيرة تكفيك



المسائية

تثري مساءك

تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

علاقة الحاكم والمحكوم في المملكة العربية السعودية حقائق واقع وصور حياة

كتاب يوازن بين أسس ومقومات حقوق الإنسان في الإسلام، وفي القوانين الوضعية. ويقدم مؤلفه، الطيب شيشة «كاتب وصحفي سوداني»، المملكة العربية السعودية كنموذج لتطبيق الشريعة الإسلامية وتمثّل القيم الإسلامية في نظام الحكم. يقول: «وحين عنّ لي أن أضرب مثلا حيا من واقع العصر المعيش والمشاهد لاستمرارية السبق الإسلامي الذي بدأ قبل أربعة عشر قرنا ونيف في مجال تكريم الإنسان، وصون حياته وشرفه وعرضه وماله، وسائر حقوقه، لم أجد كالمملكة نموذجًا قائمًا لذلك المثل الحجة».

وفي المقابل استعرض المؤلف الوثائق الأربع لهيئة الأمم المتحدة عن حقوق الانسان، وقدم حولها ملاحظات نقدية، وهي: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الاتفاقية الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الاتفاقية الدولية للحقوق السياسية، والبروتوكول الاختياري الملحق بالاتفاقية المذكورة أخيرًا.

صدر الكتاب في الرياض عام ١٤١٥هـ، ويقع في ١٣٦ صفحة من القطع المتوسط. وقدم له الدكتور محمد بن سعد الشويعر المستشار بمكتب سماحة مفتي المملكة العربية السعودية.

الطب النفسي والقضاء في أسس الطب النفسي الشرعي

كتاب يطرح آراء علمية حول حقيقة: المرض النفسي والحكم القضائي. وهو يعد من الإصدارات الجديدة التي تتقصّى دراسات النفس وعلاقتها بالمتهم في مجالس القضاء، تأليف د. قتيبة سالم الجلبي. وقد عرض المؤلف لأسس القوانين القضائية العالمية، ونظام المحاكم وأنواعها، كما عرض لأنواع القضايا، وإثبات الأدلة ودرجاتها، والحقوق الدستورية، وتقويم النية. وقدم المؤلف تفصيلاً للفروق بين القانون الجنائي والقانون المدني، وعرض لأنواع الجرائم ومفهوم الجريمة من عدة وجوه، وقوانين التعويض والضرر، وكيفية التثبت من الضرر، وتقدير التعويض.. وطرح المؤلف رؤى متعددة لتفسير فلسفة العقاب.

ويشتمل الكتاب على تناول موسع للقضاء في النظام الإسلامي، والقضاء العادي، والقضاء الإداري، وترتيب جهة القضاء العام في النظام الإسلامي، كل ذلك كان في الفصل الأول.. أما الفصل الثاني فقد خصصه المؤلف للدراسة النفسية، وركز فيه على «سرية المرض النفسي»، وعالج العلاقة بين الطبيب النفسي ومريضه، والوضع الذي ينبغي أن تكون عليه هذه العلاقة.

راجع الكتاب فضيلة الشيخ د. صالح بن سعد اللحيدان، وقدم له د. أحمد عكاشة، وصدر عن مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، في ٢٦٣ صفحة من القطع المتوسط.

خاتمة البروق

ديوان شعر يضم ٤٩ قصيدة متنوعة للشاعر عبدالله بن سليم الرشيد. يشتمل الديوان على خمس مجموعات شعرية: «أهازيج للفجر القادم»، «الوطن وسر الانتماء»، «من مدائن الوجد»، «على مشارف الجراح»، والمجموعة الخامسة بعنوان «الله أكبر». وقد قام الشاعر باختيار القصيدة التي وضع اسمها «خاتمة البروق» عنوانًا للديوان، ليهديها إلى «البطل القادم من غيابات القرون»، وحشد في هذه القصيدة معظم الأفكار والرؤى التي تنطوي عليها المجموعات الخمس.

السمة الغالبة - موضوعيًا - على توجهات الشاعر في هذا الديوان، كما يقول الأستاذ عبدالله بن إدريس رئيس النادي الأدبي بالرياض في تقديمه مجموعات الشاعر عبدالله بن سليم هي: «التجسيد الحي الواعي المتحرك لحياة الأمة وواقعها المأساوي»، ويحتشد الديوان بالعديد من الأفكار التي يطرحها الشاعر مساهمة في استنهاض الأمة واستشراف واقع أفضل.

صدر الديوان عن النادي الأدبي بالرياض، ويقع في ١٨٤ صفحة من القطع المتوسط.

فقه تغيير المنكر

الإصدار رقم ٤١ في سلسلة «كتاب الأمة»، وفيه يذهب المؤلف د. محمود توفيق محمد سعد إلى تأكيد «أن منهج الإسلام في بناء المسلم عقيدة وسلوكًا لايرمي إلى أن يجعله صالحًا في نفسه فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى أن يجعله الصالح المُصلح، فيه يتحقق الوجود المتمكن للأمة، وبه ترتقي الأمة من طور الاتصاف بـ «الإسلامية» انتسابًا إلى أفق «المسلمة» سلوكًا ووجودًا». وفي ضوء هذا المبدأ يقرر المؤلف أن «وجود المنكر في المجتمع أمر طبيعي، لايخلو منه مجتمع في أي حقبة من حقب الحياة، ولكن الذي ليس من الطبيعي هو أن يرى أبناء المجتمع المنكر، فلايسعون إلى تغييره».

وفق هذه الرؤية عالج المؤلف موضوع كتابه في تمهيد وفصلين، وقد خصص الفصل الأول لشرح وتوضيح: «التغيير ضرورة وغاية»، و«بيان السنة ضرورة التغيير». وتناول في الفصل الثاني أحد عشر موضوعا: «التغيير وسيلة ومنهجًا»، «بيان النبوة وسائل التغيير»، «بيان المنكر الواجب تغييره: الحقيقة والشروط»، وفي ذلك أوضح «بيان التغيير: حقيقته وشروطه»، «بيان المغيِّر المنكر: شروطه وآدابه»، «بيان الواقع في المنكر: شروطه وأحواله»، ثم «بيان وسائل التغيير: مراتبها وآدابها»، وفي ذلك أوضح «تغيير المنكر باليد: أحواله وآدابه»، «تغيير المنكر باللسان: أحواله وأدابه»، «تغيير المنكر بالقلب: أحواله وآدابه»، وأخيرًا «العجز عن التغيير باليد أو اللسان».

ويختتم المؤلف كتابه مبينًا «أن تقدير درجات المنكر في حادثات الحياة وتوازنها ومابينها من مراتب، بحاجة إلى بصيرة نافذة في دقائق فقه الدين، وفي فقه نوازل الحياة الذي هو أساس فقه التدين، وبحاجة أيضًا إلى الحكمة البالغة، وإخلاص النصح في تحقيق مااشتبه وتحرير مااشتجر، وذلك جهد بالغ لا يقوم به إلا صفوة أهل العلم».

صدر الكتاب عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ويقع في ١٣٤ صفحة من القطع الصغير.

مسابقة مجلة الفيصل

١- جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ - ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب - خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج - عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د - خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢- شروط المسابقة :

أ - الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية - وليس نسخة مصورة - للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - وعنوان المراسلة.

ب - ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ - أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد (٢١٧)

ج١: آية الكرسي لها شأن عظيم، وقد صحّ الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأنها أعظم آية في كتاب الله. وقد وردت أحاديث كثيرة في فضلها، منها:

١- مارواه الإمام أحمد عن أُبي بن كعب، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سأله: «أي آية في كتاب الله أعظم؟» قال: الله ورسوله أعلم، فرددها مراراً، ثم قال:آية الكرسي، قال: «ليهنك العلم أبا المنذر، والذي نفسي بيده إن لها لسانا وشفتين، تقدس الملك عند ساق العرش».

٢- مارواه الحاكم عن أبي هريرة، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «سورة البقرة فيها آية سيدة آي القرآن، لاتُقرأ في بيت فيه شيطان إلاّ خرج منه: آية الكرسي». وقد رواه الترمذي، ولفظه: «لكل شيءٍ سنام، وسنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن: آية الكرسي».

* * *

ج٢: من السنن التي تجب مراعاتها عند احتضار إنسان مسلم:

١- تلقين المحتضر: «لاإله إلا الله»؛ لما رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لقِّنوا موتاكم: لاإله إلا الله».

٢- توجيهه إلي القبلة مضطجعًا على شقِّه الأيمن.

٣- تغميض عينيه إذا مات، وتسجيته - أي تغطيته - صيانة له عن الانكشاف، وستراً لصورته المتغيرة عن الأعين، ويجوز تقبيله؛ فقد قبَّل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عثمان بن مظعون وهو ميت، وكذلك أكب أبو بكر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد موته فقبَّله بين عينيه وقال: يانبيّاه، ياصفيّاه.

٤- المبادرة بتجهيزه متى تحقَّق موته، فيسرع وليُّه بغسله ودفنه مخافة أن يتغير.

٥- قضاء دَيْنه، لما رواه أحمد وابن ماجة والترمذي، وحسّنه، عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «نفس المؤمن معلقة بدَيْنه حتى يُقضى عنه».

كذلك يُستحب الدعاء له، والاسترجاع عند موته؛ أي أن يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

كما يُستحب إعلام أهل الميت وقرابته وأصدقائه وأهل الصلاح بموته ليكون لهم أجر المشاركة في تجهيزه، لما رواه الجماعة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نعى للناس النجاشيّ في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلَّى، فصف أصحابه، وكبّر عليه أربعًا.

* * *

ج٣: هو ملفيل ديوي (١٨٥١ - ١٩٣١م)، مكتبي أمريكي، عُني بتصنيف الكتب وتبويبها. وضع نظاماً أذاع اسمه في مكتبات العالم، عُرف باسم «تصنيف ديوي العشري»، لأنه قسّم أنواع المعرفة إلى عشرة أقسام رئيسة، تتفرع منها عشرات أخرى فرعية، وهكذا. ورغم أن التنظيم الذي أعده لمكتبته لم يتجاوز ١٢ صحيفة؛ إلا أنه مع التعديلات المتوالية أصبح مجلدين كبيرين، يضمان مئات الصفحات.

* * *

ج٤: أطلق مؤرخو العرب اسم «الزنج» على الزنوج الذين أثاروا الرعب في القسم الأسفل من العراق ١٥ سنة (٨٦٨-٨٨٣م)، وكانت ثورتهم على جانب كبير من الأهمية، وتزعّمها علي بن محمد بن عيسى (ت ٨٨٣م)، الذي لُقب بصاحب الزنج. من كبار

الخارجين في العهد العباسي، ظهر في أيام الخليفة المعتمد، والتفّ حوله سودان أهل البصرة فامتلكها، وتتابعت الجيوش لقتاله، فكان يشتتها. نزل البطائح، وامتلك الأهواز، وأغار على واسط. بلغ جيشه ثلاثمائة ألف مقاتل. ظفر به الموفق، أخو الخليفة العباسي المعتمد، فقتله.

* * *

ج٥: بنى مدينة «الرّصافة» الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم، وكان يصطاف فيها، وتوفي ودُفن بها.

* * *

نتائج مسابقة العدد (٢١٧)

أ - فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ريال سعودي، نايف بن دخيل العنزي، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، سعودي بختاوي، المسيلة - الجزائر.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ريالاً سعوديًا، عبدالعزيز محمد موسى إسحاق، الخرطوم - السودان.

* * *

ب - فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤عددًا)، كل من:

١- هبة رجب عبد الحكيم خليل، المنيا - مصر.

٢- معاذ محمد زهير المحمود، دير الزور- سورية.

٣- فطومة ميكو، الدار البيضاء- المغرب.

٤- عامر الهادي خلفة، تطاوين - تونس.

٥- عبير صالح محمد الصبيحي، الرياض - المملكة العربية السعودية.

* * *

ج - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢عددًا)، كل من:

١- خالد منصور، بيشاور - الباكستان.

٢- صالح علي الحاج إدريس، الخرطوم - السودان.

٣- فاطمة السروري، تطوان - المغرب.

٤- ضياء إبراهيم محمد مظهر، القاهرة - مصر.

٥- سنية بنت محمد بن محمد البواب، المنستير - تونس.

٦- محمد بوثرة، المسيلة - الجزائر.

٧- محمد عبدالله بن شيخ عثمان، حلب - سورية.

٨- عمر الطيب عبدالله سعد، عطبرة - السودان.

٩- سارة أحمد عودة، الزرقاء - الأردن.

١٠- عقيل بلال الزهراني، الرياض - السعودية.

* * *

د - كما فاز بجائزة إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، كل من:

١- بلال عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع، صنعاء - اليمن.

٢- محمد مظهر الطباع، دمشق - سورية.

٣- مرزوق عبدربه عبدالعال، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

٤- فرج يوسف حسن، عمّان - الأردن.

٥- أميمة محمد ثابت عباس، قنا - مصر.

* * *

أسئلة مسابقة العدد (٢٢٠)

السؤال الأول:

حرّم الإسلام الكسب الحرام، وبيّن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن الله - عز وجل - لايقبل دعاء الرجل إذا كان ماله مكتسبًا من حرام. اذكر حديثًا شريفًا في ذلك.

* * *

السؤال الثاني:

شرع الإسلام الطواف بالبيت الحرام لمن أراد حجًا أو عمرة. وللطواف شروط. اذكرها باختصار.

* * *

السؤال الثالث:

صحابيان جليلان، كانا من خيرة شباب الصحابة. أما أحدهما فأول مولود بعد ظهور الإسلام، وأما الآخر فأول مولود للمهاجرين عقب الهجرة إلى المدينة المنورة. فمن هما؟

* * *

السؤال الرابع:

فيزيقي ألماني، نال جائزة نوبل لاكتشافه أشعةً أحدثت ثورة في التشخيص الطبي. من هو؟

* * *

السؤال الخامس:

من قائل هذا البيت:

وهل أنا إلاّ من غُزيّة إن غوت
غويت وإن ترشد غُزيّةُ أرشدُ

* * *

قسيمة مسابقة مجلة
الفيصل
العدد (٢٢٠)
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

استراحة العدد

ويأتيك بالأمثال

هُمَا فِي بُرْدَةٍ أخْمَاسٍ

يُضرب هذا المثل للرجلين تحابَّا وتقاربا وفَعَلاَ فعْلاً واحداً، ويشبه أحدهما الآخر، حتى كأنهما في ثوب واحد.

والخِمْسُ: ضرب من برود اليمن. قال أبو عمرو: وأول من عمله ملك باليمن يقال له خمس، وقال بعضهم: بردة أخماس بردة تكون خمسة أشبار.

وقال الأعشى يصف الأرض:

يومًا تراها كَشِبْهِ أرْدِيَةِ الـ
خِمْسِ ويومًا أديمُها نَغِلاَ

قالوا:

لاتخجل من السؤال عن شيء تجهله، فخير لك أن تكون جاهلاً مرة، من أن تنطوي على جهلك طول العمر. **يوسف السباعي**

من ذاق حلاوة عَمَلٍ، صبر على مرارة طُرُقه. **أرسطوطاليس**

ما من إنسان خسر ماله قيمةٌ بحرصه على احترام نفسه. **إبراهيم المازني**

قد تجد في الماضي والحاضر مجتمعات بشرية لاتعرف العلم، أو الفن، أو الفلسفة، ولكن ليس ثمة مجتمع بلا دين. **برجسون**

إن لنا لسانًا واحدًا وأذنين اثنتين، لنعلم أننا ينبغي أن نُنْصتَ أكثر مما نتكلم. **زينون**

الإرادة غَير العناد، فالإرادة منهاج، والعناد افتعال. **السيد أبو النجا**

اجتهد دائمًا أن تحافظ على تلك الشعلة الإلهية التي تضيء القلوب، وهي التي يسمونها «ضمير». **جورج واشنطن**

الجاهل هو الفقير الحقيقي. **لسان الدين بن الخطيب**

- قد تخفي الثيابُ الجميلةُ حقيقةَ الإنسان، لكن الكلماتِ الحمقاءَ سوف تكشفه بسهولة. **جان جاك روسو**

- مايزعجني ليس أنك كذبت عليَّ، ولكن مايزعجني هو أنه لايمكن تصديقك بعد الآن. **فردريك نيتشه**

- الشهرة بخار، والشعبية مصادفة، والثروة ذات أجنحة، لكن شيئًا واحدًا يبقى هو: الشخصية. **موريس جريلي**

نعم القادر الله

إذا ابتُليت فثق بالله وارضَ به
إن الذي يكشف البلوى هو اللهُ
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته
مالامرئ حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه
لاتيأسنَّ فنعم القادرُ اللهُ

ثلاثة وثلاثة

قال لقمان لابنه: ثلاثة لايُعرَفون إلا في ثلاثة مواطن، لايُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا في الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه.

هكذا كانوا

حُكي أن عبدالله بن عتبة باع غلة بثمانين ألفًا، فقيل له: لو اتخذت بهذا المال ذخيرة لولدك لكان حسنًا، قال: أجعل هذا المال عند الله ذخرًا، وأجعل الله ذخرًا لولدي، ثم قسّم المال كله في أهل الحاجة.

لحن الأمير

قال الحجاج بن يوسف الثقفي يوما للشعبي: كم عطاءك في السنة؟، قال: ألفين، فقال: ويحك كم عطاؤك؟ قال: ألفان. فقال الحجاج: ويحك كيف لحنت أولاً؟ قال الشعبي: لحن الأمير فلحنت، فلما أعرب أعربت، ومايحسن أن يلحن الأمير وأعرب. فاستحسن ذلك منه وأجازه.

الدراهم أربعة

الدراهم أربعة: درهم اكتُسب في طاعة الله، وأُخرج في حق الله، فذاك خيرُ الدراهم، ودرهم اكتسب بمعصية الله، وأُخرج في معصية الله، فذاك شر الدراهم، ودرهم اكتسب بأذى مسلم، وأخرج في أذى مسلم، فهو كسابقه، ودرهم اكتسب في مباح، وأنفق في شهوة مباحة، فذاك لا له ولا عليه.

إعلان

نشرت إدارة أحد الفنادق إعلانًا جاء فيه: إذا لم تستطع النوم خلال إقامتك في فندقنا، فالعيب قد يرجع إلى ضميرك!

لاخوفًا منه

قيل يومًا للفيلسوف اليوناني أرسطوطاليس: إن فلانًا يزعم أننا نمسك عنه خوفًا منه! قال: أما خوفًا منه فلا، ولكن خوفًا أن نكون مثله.

السلم الموسيقى

قبل نحو ألف عام تقريبًا، صنع الراهب الإيطالي جويدو أريستو سُلَّمًا من نوع خاص ارتقى به إلى قمة الشهرة، رغم أن عدد درجاته لايزيد على خمس درجات فقط، إنه السلم الموسيقي المعروف.

يحملونه إلى النهاية

مات رجل مدينا ومفلسا، وحين فتحت وصيته، وُجد أنه أوصى بأن يحمل نعشه ستة من أبرز رجال المدينة، وكان مدينًا لكل منهم بمبلغ كبير، وجاء في الوصية: لقد كانوا دائنين رائعين، وإنني أود أن يحملوني إلى النهاية!



صورة نادرة للملك عبد العزيز يتوسط بعضاً من أنجاله، وهم من اليمين : الأمير مشعل، الأمير عبد المحسن، الأمير منصور، الأمير ناصر، الأمير مساعد، والأمير سلطان (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)

من نوادر جحا

طرق سائل يومًا باب جحا، وكان جحا في الطابق الأعلى، فأطل من النافذة، وسأل الرجل: ماذا تريد؟ فقال السائل: انزل إلى تحت حتى أكلمك، فنزل جحا إلى حيث الرجل الذي قال له: أنا فقير ياسيدي، وأريد حسنة منك، أجاب جحا: اتبعني، وصعد به إلى الطابق العلوي، ثم التفت إليه وقال: الله يعطيك، فقال له السائل: ولماذا لم تقل لي هذا ونحن بأسفل؟ قال جحا: ولماذا لم تقل لي أنت ماتريد وأنا فوق؟

يخشى الموت فرحًا

شكا رجل امرأته إلى أبي العيناء، فقال: أتحب أن تموت؟ قال: لا والذي لا إله إلا هو. قال أبو العيناء: ولم - ويحك - وأنت معذب بها؟ أجاب الرجل: أخشى والله أن أموت من الفرح.

حال الدنيا

قيل لأحد المعمّرين: صف الدنيا وأوجز. قال: سنيات رخاء وسنيات بلاء، يولد مولود، ويهلك هالك، ولولا المولود لباد الخلق، ولولا الهالك لضاقت الأرض، ثم أنشد:

وما الدهر إلا صدر يوم وليلة
ويولد مولود ويُفقَد فاقد
وساع لرزق ليس يدرك قوته
ومهدي إليه رزقه وهو قاعد

مالك يوصي المهدي

يروى أن الإمام مالك رضي الله عنه دخل على الخليفة العباسي المهدي، فقال له الخليفة: أوْصني. قال مالك: أوصيك بتقوى الله وحده، والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه بلغني أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: المدينة مُهاجري، وبها قبري، وأهلها جيراني، وحقيق على أمتي حفظي في جيراني، فمن حفظهم كنت له شهيدًا وشفيعًا يوم القيامة.

صفات ابن الخطاب

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما لصعصعة بن صوحان: صف لي عمر بن الخطاب. قال: كان عالمًا برعيته، عادلاً في قضيته، عاريًا من الكبْر، قبولاً للعُذر، سهل الحجاب، مصون الباب، مُتحريًا للصواب، رفيقًا بالضعيف، غير محاب للقريب، ولا جاف للغريب.

الابتلاء أولاً

سأل رجل الإمام الشافعي رضي الله عنه: يا أبا عبدالله أيهما أفضل للرجل: أن يمكّن أم يُبتلى؟ فقال الشافعي: لايمكّن الرجل حتى يُبتلى، إن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا - صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا - فلما صبروا مكّنهم، فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة.

ليس عملاً

كان الشاعر الكاتب السير أوسبرت سيتويل معتكفًا في مكتبه يومًا، منهمكًا في إعداد أحد كتبه، حين سمع أحد خادميه يسأل الآخر خارج المكتب: هل السيد مشغول؟ فأجابه الآخر: كلا.. هو يكتب فقط!

امرأة لاتهزم

سأل الكاتب الأيرلندي الساخر برنارد شو حماته ذات مرة وكانت تبلغ - حينذاك - ثمانين عامًا: في أي سن تفقد المرأة حبها للرجل؟ أجابت الحماة: يابني وجّه هذا السؤال إلى سيدة أكبر مني سنًا.

امتحانان

قال ابن حزم: مَنْ امتُحنَ بقرب مَنْ يكره، كمن امتُحنَ ببعد مَنْ يحب، ولافرق.

من سجايا العلماء

قال بزرجمهر: خمسة من خصال العلماء: ألاّ يأسوا على مافاتهم، ولايحزنوا لما لم يصيبهم، ولايرجوا مالا يجوز لهم فيه الرجاء، ولايستكينوا ويفشلوا في الشدة، ولايبطروا في الرخاء.

بين شاعرين

التقى جرير والفرزدق في مِنى وهما حاجّان، فقال الفرزدق لجرير:

فإنك لاق بالمنازل من منى
فخارا فأخبرني بما أنت فاخر

فقال له جرير: بلبيك اللهم لبيك.



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

صراع في الهوى

شعر: تمام مخلوف

جرح قلبي أما علمتُ يقينه ... بعد أن جرّد الدنوّ ظنونَهْ

أتراه السراب أنبت وهْم الـ ... حبٍّ في القلب فاكتسيتُ غصونه

أفطعن السراب يُحسَب طعنًا ... لست قلبي إذا غدوتَ طعينه

كم لوَى غيُّك الشكائم جَمْحًا ... فطريق الرشاد لن تستبينه

كلّما قلتُ خانت الحبّ عمْدًا ... جئْتَ بالعذر يستحثّ قرينه

كلّ عذْر نسجْتَ أوْهن بيت الـ ... عنكبوت أراه بَزَّ متينه

لم يكن للعذول كيد ولكنْ ... لك كيد فلن أسيغ مهينه

قد نزحتُ عن الديار لتسلى ... بئس قلبا أروم منه سكونه

كاد بعد الديار يطفئ جمْرًا ... بفؤادي الذي يثير كمينه

قرْب دار الخؤون أذكى لهيبا ... بئس من يجد الفؤاد خؤونه

جيش عزّى تَجِيشُ ترفض ذلاً ... من فؤادي هلاّ قطعتَ وتينه

حين أدنو من الديار لشيء... ... قد تناسيتُ شهْدَه وشجونه

خرَّ قلبي الخؤون ذلاً وصلّى ... فبأقدامي اعتليتُ جبينه

فالإمَ النزاع يا قلب يبقى ... ألتدنيْ الخؤون ثم تخونَه(١)

آه من كَيٍّ جمرها ثمّ آهِ ... قد عشقت من الغرام لعينه

أوَ لدغًا ولستَ مالكَ سُمٍّ ... وهْي تحوي من النقيع مَعينه

آه ياقلب لاكرامة تُبقي ... في هوى ماتزال أنت سجينه

لوَ أعاد الزمان - وهْو مسيءٌ - ... قاتلي كنت أنت فيَّ مُعينه؟

ربما يظفر الفؤاد ويسبي ... - وهْو كَيْءٌ - من الإباء عرينه

آه يارَبِّ هل يظلّ صراعي ... في الهوى دولة أذوق زَبونه

كلّ هيفاء غيرها حين أدنو ... أطبقَ القلب لايردّ جفونه

في ضباب من الغرام جريحٌ ... أسلمَ السمعَ والفعالَ جنونَه

آه يارَبّ فالفؤاد عدوّي ... وهواني إذا غدوتُ رهينة

الهوامش

(١) سكّن الفعل (تُدني) وحقه الفتح للضرورة، ثم ظهر الفتح على ما عُطف عليه (تخونَه)

التعليق:

القصيدة تبدو فيها شاعرية الشاعر، ومقدرته اللغوية، وتمكنه من الإبداع الشعري.

وقد اختار قافية يصعب على الكثير من الشعراء ارتيادها، مما يبشر بنبوغه، وينبئ عن مستقبل له في دنيا الأدب والشعر.

وقد بدت العاطفة في القصيدة قوية جيّاشة، استطاع الشاعر أن يعبّر عنها بأساليب متنوعة من التقرير والاستفهام والتعجب. وفي القصيدة أبيات رائعة كقوله:

أفطعن السراب يُحسب طعنًا؟

لستَ قلبي إذا غدوت طعينه

فهذا البيت يعكس استهانته بطعن السراب، وقوة إرادته أمام قلبه. وكذلك قوله:

كلما قلت خانت الحب عمدًا

جئت بالعذر يستحثّ قرينه

فالفكرة في البيت جيدة مبتكرة، ويزينها تشخيص الجماد وإبراز المعنويّ في صورة حسيّة، مما يوحي بالحيوية، ويضاعف الجمال في التعبير. وصرخته في قوله:

آه من كيّ جمرها ثم آهٍ

قد عشقت من الغرام لعينه

تنم عن عمق مأساته بهذه التجربة العاطفية التي صاغها الشاعر، وتكرير «آه» يؤكد قوة هذه المأساة.

ومن الجميل موازنته بين مسالمته، وقسوة من أصابته بالأسى، فهي تلدغ سمًّا قاتلاً، بينما قلبه لايملك سلاحًا يشهره في وجهها، ويتجلى ذلك في قوله:

أو لدغًا ولست مالك سُمٍّ

وهي تحوي من النقيع معينه؟

والاستفهام الإنكاريّ هنا أضفى على البيت جمالاً وقوة تعبير. والقصيدة عامرة بصور خيالية بديعة، تبدو في جوانب كثيرة منها..

ولاتخلو القصيدة من هنّات يمكن أن يتداركها الشاعر مستقبلاً، فالبيت الأول يكتنفه بعض الغموض في المعنى، وكان الأولى ألايكون في مطلع القصيدة غموض مما قد يؤثر في نفس المتلقّي. كما أن قوله (اكتسيت غصونه) تعبير ضعيف. وكلمة (جمحًا) غير منسجمة مع سياق التعبير في البيت. وكلمة (كيء) - ومعناها الضعيف الفؤاد الجبان - غير مناسبة لمعنى البيت، وكذلك: يسبي عرينه.

وفي قوله: (بئس من يجد الفؤاد خؤونه) تبدو موسيقى البيت مختلة، لخلل في الوزن الشعري. وقوله (جيش عزى... البيت) فيه غرابة وغموض في المعنى، إلى غير ذلك. مما يجعلنا نوصي الشاعر بالإقبال على نصوص الشعر الجيدة ينهل من معينها، حتى تصقل موهبته الشعرية. ونكرر أن هذه القصيدة تبشر بموهبة الشاعر التي نرجو لها النضج والاكتمال بالدراسة والممارسة.

د. محمد جمعه عابد

متابعات:

الأخت جميلة موسى شحادة - دمشق - سورية:

محاولتك القصصية «الصبر طيب» تظل محاولة، لأنها تفتقر إلى عناصر القصة القصيرة.

ننصحك بمداومة قراءة القصص والروايات الجيدة لاكتساب اللغة الأدبية والأسلوب القصصي.

الأخ محمد أذينة - الجزائر:

ليس معنى أن تكتب شعرا أن تكتب كلاما غامضا لايفهمه أحد. نرجو أن تؤصل مفهومك للشعر حتى يكون لما تكتبه وقع وصدى في نفوس من يقرؤون لك.

الأخ محمد حسين العلّو - حماة - سورية:

ماتسميه قصيدة ركيكة جدا، ومضمونها ضعيف. حاول الكتابة النثرية فربما أسعفتك قدراتك أكثر في هذا المجال.

الثقافة الأندلسية



منذ أكثر من عام عاودت مطالعة مجلة «الفيصل» ومتابعتها والاستمتاع بما تطرحه من قرائح وإبداعات الكتّاب المشاركين فيها بمختلف العلوم والفنون والآداب. وكنت أتابع بشكل خاص مايكتبه المؤرخ الكبير الشيخ حمد الجاسر حول المخطوطات العربية ونشرها، وهو موضوع طريف وشائق، ويعدُّ جزءًا من حياتي واهتماماتي.

كما أقرأ مايُكتب عن حضارة الإسلام وأثرها في النهضة الأوربية، وأعلام الأدب الغربي وماشابه ذلك من تعريف بالكتب الجديدة. وقد جذب انتباهي في العدد ٢١٣ (آب - أيلول ١٩٩٤م) مقالة حلمو جلّول أستاذ الفلسفة في جامعة الجزائر وهو يستعرض لنا كتاب خوان برنيت: «فضل العرب في النهوض بالثقافة الإنسانية» وليس اسمُهُ كذلك؛ بل هو في الإسبانية: LA CULTURA HIS-PANO ARABE EN ORIENTE Y OCCIDENTE الثقافة الأندلسية في الشرق والغرب»، وقد نُشر في برشلونة سنة ١٩٧٨م. وخوان برنيت أستاذ في قسم اللغة العربية بكلية الفلسفة والآداب بجامعة برشلونة، وليس أستاذًا للفلسفة بل أستاذ فلسفة، وقد ترجم إلى الإسبانية - إضافة إلى معاني القرآن الكريم - كتاب ألف ليلة وليلة في ثلاثة مجلدات، ولم نسمع أنه نشر عدة كتب تراثية سوى كتاب «بسط الأرض في الطول والعرض» - تطوان ١٩٥٨م؛ فكان من المفضل أن يذكر الكاتب لنا الكتب التي نشرها. والكتاب في أحد عشر فصلاً وليس في ستة فصول كما يقرره العرض. وقد جاء أثناء عرضه الثقافة المشرقية وانتقالها إلى الأندلس ص ١٠٨: «أنَّ عبد الرحمن الناصر حينما ورد إلى الأندلس اصطحب معه علماء وكتبًا من المشرق». وهذا كلام غير دقيق لأنَّ عبد الرحمن الناصر ولد في الأندلس ولم يأتِ إليها، وإذا كان المقصود هو عبد الرحمن الأول الداخل فمن المحتمل دخول بعض المفاهيم الإسلامية معه، ولم نقرأ أنه جلب معه مؤلفات وعلماء إلى الأندلس لأنه كان فارًا من العباسيين. ولم نقرأ لدى برنيت هذا الكلام، ولم يأت اسم الداخل في كتابه سوى مرة واحدة.

وهذه الفقرات وردت في مقدمة الكتاب، وقد أهمل الكاتب فصولاً مهمة تناولت بعض الجوانب العلمية كالطب وعلم النبات وعلم الحيوان، وفصولاً مثل الفن والأدب وتأثير ذلك في الفكر الأوربي وفنونه وآدابه. وهي جوانب واسعة كان من المفروض أن يتناولها بالعرض ليستوفي موضوع الكتاب.

لقد رأيت من المناسب أن أكتب إليكم بهذا الشأن، وأتمنى أن يتسع قلبكم لمثل هذه اللقطات السريعة التي يأخذها قراؤكم ولهم عليكم حق، إنها عدسات الناس الذين يتابعون «الفيصل» بعقولهم وقلوبهم.

د. عدنان محمد آل طعمة
دمشق - سورية

الحداثة الشعرية : رأي آخر



قرأت في العدد «٢٠٥» دراسة بعنوان: «الحداثة الشعرية إلى أين؟» للشاعر والكاتب محمد منذر لطفي، بسط فيها رأيه حول مفهوم الحداثة وموقفه الحازم الجازم منها. ومن منطلق تشجيع الحوارات الثقافية والفكرية سأعبر عن رأيي في هذا المجال، منطلقًا من المبدأ الذي يؤكد أن الحقائق - وبخاصة المهمة - منها تحتاج إلى أكثر من رأي، يستند إلى الأسس والمنطلقات الموضوعية في الحوار. وبداية أقول: إنه رغم حاجتنا الماسة للحوارات والمناقشات التي نعبر من

خلالها عن حبنا وعشقنا والتزامنا بمبادئ الثقافة السامية، إلا أننا بحاجة أكثر إلى الابتعاد قدر الإمكان عن الموضوعات التنظيرية التي قد لاتقدم الدليل الساطع على القيم التي يتم تناولها.

ومن هنا نأتي إلى الاتجاه الصحيح لمفهوم الحداثة، الذي يحاول بعضنا أن يضع له قوالب مفصلة «مُغْفَلة» لايعرف مقاييسها إلا صاحبها.

ونرى في كثير من الأحيان شاعرا أو شخصًا ممن يكتبون الشعر، وقد كتب على صدره وباب بيته وعلى قصائده بالخط العريض: «أنا.. وليس أحد غيري يمثل الحداثة». ويأتينا آخر ممن يكتبون أيضا ويُسمُّون ما يكتبونه «شعرًا» ليقول لنا بزهو وتفاخر: «وأنا مابعد الحداثة».

فإذا أردت، وأنت المعني بواقعك الثقافي، أن تناقش هذا الإنسان، وتطلب منه برجاء أن يشرح لك «بعض» الألغاز في سيمفونية أشعاره، من تيار الحداثة أو مابعد الحداثة،نظر إليك نظرة استخفاف، وهو يقول: أرجو أن تقرأ عن «مابعد الحداثة» وأنصحك بأن تقرأ كثيرًا حتى تصل إليك قصائدي.

إذًا المشكلة تكمن أولاً وأخيرًا في الهدف السامي والنبيل للقصيدة، وللكلمة التي علَّمنا اللهُ إياها لنضعها في أعلى مراتب الاحترام، وبهذه الكلمة أتوجه إلى الناس، لا لكي أبني معهم علاقة تشبه كرة الصوف بعد أن عبثت بها مجموعة من القطط، بل لأبني معهم علاقة إنسانية، أكشف لهم من خلالها عن قيم محددة في الواقع الذي نعيشه. فإذا كان كاتب الشعر، أو من يدّعون كتابته، لايشعرون بهذه القيم بأنواعها الفكرية والجمالية والفنية ولايدركونها، فكيف يمكن أن يوصلوها إلى الآخرين؟ لذا نرى العديد ممن يكتبون «الشعر»، ولاترقى أحاسيسهم ومشاعرهم لاستشفاف هذه القيم، يتحدثون عن خزعبلات وأفكار مشوشة «ككرة الصوف» التي عبثت بها مخالب القطط.

الحداثة ليست مفهومًا جامدًا، ولايمكن أن تكون كذلك. الحداثة مرتبطة بتيار الزمن، ذلك النهر الواسع العميق، وهذا ينطبق على جميع شعراء العربية بدءًا من الشعر الجاهلي إلى شعراء الإسلام في مراحله المتتالية، فلكل فترة طابعها، حتى الأوزان الخليلية لم تكن جامدة في وجه متغيرات الحياة ومستجداتها عبر التاريخ العربي. وفي هذا المجال قد يطول الحديث، لكن ماأود التركيز عليه هنا أن الأسماء والألقاب لايمكن أن تصنع قصائد . فلو كتب أحدهم على ماجادت به قريحته: هذه قصيدة حداثة أو مابعد الحداثة، وهذا شعر كلاسيكي أو أي لقب آخر، فلن يعطيه ذلك أي قيمة لما هو مكتوب. المهم أن تكون الكتابات قادرة على بناء علاقة صحيحة ومثمرة بالمتلقي الذي يتوجه إليه الشاعر، وأقصد بالمتلقي الإنسان العادي، أو المثقف المهتم، الذي يهمه من القصيدة معناها، وصورها البليغة - الجديدة - الشفافة في نغماتها الموسيقية، العميقة في أبعادها.

ونحن لسنا ضد الأوزان الخليلية، لكننا على يقين من أنه ليس كل قول موزون أو كل قصيدة موزونة هي شعر بالضرورة؛ فالشعر هو قول راق، رفيع المستوى، في معناه وصوره وموسيقاه.

والسؤال هنا: هل يجب أن تقف القصيدة العربية أمام أوزان الخليل كمقاييس مقدسة لايمكن زحزحتها؟ وهل التشديد على هذه الأوزان يعطي للموزون والمقفى من الكلام قيمة الشعر الحقيقية؟ أرى - ويرى معي الكثيرون - أن باب الاجتهاد مفتوح بالنسبة لفنون الأدب التي أنتجتها قرائح البشر. فأنا قد أسمي سطرًا في رواية «قصيدة رائعة»، لأنها عبّرت لي بصورة فنية رفيعة عن قيم نبيلة في ذاتي، وعن مُثُل عليا، أو هدف سام... إلخ، وَلْيُسَمِّ غيري هذا السطر نثرًا أو أي شيء آخر. نذكر أن عنترة بن شداد كان يُنادى بالعبد أحيانًا، لكنه بقي ذلك الفارس المغوار، رغم النعوت التي كان أصحابها يريدون

من خلالها النيل منه، ومن شجاعته وقدراته.

يجب البحث عن قواسم مشتركة، فالإبداع في زماننا هذا استطاع أن يزاوج بين الشعر والنثر، ويمزج بينهما في كتلة ، من المفروض أن تكون متميزة في توهجها الروحي والفكري والفني.

من هنا نستطيع استخلاص الدوافع التي دفعت بالمبدع إلى اللجوء - إذا جاز التعبير - إلى ما يسمى بقصيدة النثر، رغم أن بعضهم قد هدم الجدار، أو الحاجز بين قصيدة «الوزن» وقصيدة «النثر» ليقول صراحة: أعطني كلامًا ذا لغة فنية رفيعة وصور شعرية بليغة وموسيقا متميزة، وسمّ هذا ماشئت، حتى ولو خرجت أو تجاوزت حدود الأوزان الخليلية. ومن هنا ندرك أن حاجة النثر إلى الطاقة المطلوبة من أجل أن يحظى بمرتبة متميزة، هو الذي دفعه إلى اللجوء إلى الشعر، لينهل منه مايمكن أن يمكّنه من الارتقاء إلى تلك المرتبة الرفيعة التي يحلم بها. بمعنى آخر أن هناك شاعرًا في قلب كل ناثر وروحه، في روح كل من له علاقة بالإبداع.. وهذه الروح هي التي تحرك توجهات المبدع، وتؤطر سلوكه، وتضفي لمساتها الحساسة على طباعه.

وعندما نتحدث عن تجاوز الوزن الخليلي في الشعر، لماذا لايخطر على بالنا عالم «الموسيقا والأغنية» الذي تجاوز أيضًا، أو ربما ابتعد كثيرًا من الأوزان التقليدية العربية التي انطلقت منها في هذا المجال. فحتى الأغنية الواحدة لم تعد تكتفي بوزن واحد، أو بلحن واحد في التلحين الموسيقي، فلماذا لانقبل بتزاوج من نوع ما في عالم الشعر- على سبيل المثال - في القصيدة الواحدة؟ مع العلم أن مثل هذا التزاوج موجود منذ زمن بعيد وفي نسب محددة. ولست مخطئًا إذا قلت: إن أكثر من شاعر لابد له أن كسر بيتًا في قصيدة أو ربما استعصى عليه وزن بيت في قصيدة أخرى.

والمسألة التي يجب ألاتغيب عن أذهاننا، إذا أردنا أن ننظر إلى الشعر من زاوية «شعر موزون»

وآخر «منثور»، أن الأوزان لم تُشَكّل فجأة ودفعة واحدة، أي إنها لم تهطل غيمة واحدة لتشكل بحيرة مغلقة على سبيل المثال، بل الصحيح أن هذه الأوزان تلاحقت الوزن إثر الوزن، واغتنت يومًا بعد يوم. وهذه الأوزان تهفو بدورها إلى مجاراة الحياة والاغتناء بامتداداتها وتشعباتها؛ كشجرة من الطبيعي أن تورق وتمتد بغصونها وتفرعاتها.

لقد عاش العربي في الصحراء، ولا أبالغ إذا قلت: إن العرب أنتجوا في هذه الصحراء أكبر كنز شعري يمكن أن يعرفه التاريخ في الماضي، وهذه الثروة ليست ديوان العرب كما يحلو لبعضهم أن يسميه، بل هذه الثروة الشعرية الكبيرة هي راية حضارتنا، هي الطاقة التي لايمكن إلا أن تكون المعنى الأعمق للإنسان الذي خرج من الصحراء لينشر راية الحضارة في بقاع الأرض. والآن، ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين، نعرف ونرى ونسمع كيف حوّل الإنسان العربي هذه الصحراء إلى مدن ، زودها بمستلزمات الحضارة والمدنية. ونحن هنا لانأسى على حياة ماضية، فالزمن له حقه، بل تدفعنا أفكارنا وأحاسيسنا ومشاعرنا إلى روح ذلك الزمن الغابر، زمن الشعراء الفرسان قبل الإسلام، ومَنْ جاء مِنْ بعدهم في صدر الإسلام ومراحله المتتالية، تلك الروح العربية الأصيلة التي عبرت عن الأمجاد العربية والانتصارات العربية. هذه الروح لانجدها إلا في قصائد، لم يستطع الزمن بسيوله وكوارثه ونوائبه ومآسيه أن ينال منها. لقد بقيتْ تلك القصائد خالدة، وكأنها فوق عجائب الدنيا السبع أو العشر. ولا أبالغ إذا قلت إن الطاقة التي نهلها تاريخنا العربي من شعرنا العربي الأصيل لايستهان بها أبدًا، في أحلك ظروفه وأشدها صعوبة.

وحبنا للشعر العربي، وفخرنا بشعرائنا، لايمكن أن تحده حدود، دون أن يعني ذلك أن الأوزان الخليلية بالنسبة للشعر، هي بمثابة سور الصين أو أي سور آخر. ومن هنا نأتي إلى المعنى الأهم في هذه المحطة لنقول: إن الحداثة ليست كسر أوزان، والشعر ليس التزاما بوزن وقافية فقط، وننسى «هل غادر الشعراء من متردم»، كما أن الاستخفاف بالوزن ليس في مصلحة الشعر. وأنا أرى أن التطور الثقافي هو الكفيل بتربية أذواق الناس ـ الشاعر والمتلقي ـ وتهذيبها. لقد كتب أحدهم الشعر طويلاً دون الالتزام بأي وزن يذكر، ولم يكن هذا الكاتب ليعترف بقيمة الشعر العربي كله، لكن هذا الإنسان الكاتب بعد أن صدمته تلك الأكوام المتناثرة مما ينشر تحت اسم «الشعر» التجأ إلى عيون الشعر العربي، ولم يطل به الإبحار في أعماق الشعر العربي الأصيل، حتى اكتشف أن بيتًا واحدًا مما كتبه المتنبي أو النابغة أو البحتري أو زهير يساوي بملايين المرات ماينشر في هذه الأيام في جزئه الأكبر تحت اسم «الشعر» غصبًا وعدوانًا.

لا أدري إذا كنت قد استطعت أن أضيف جديدًا إلى الموضوع الذي تناوله الأستاذ محمد منذر لطفي، لكن آخر ماأحب قوله هو: إن الحداثة لايمكن أن تكون «شركة مغفلة»، بل هي ارتباط بالزمن وقضاياه، وهي ملكنا جميعًا، لأن الزمن ملك للناس جميعًا. قد نختلف حول الشكل، أو حول قيمة هذه القصيدة أو تلك، لكننا يجب أن ندرك أن الشاعر الذي يكتب من خلال الأوزان الخليلية ربما يكون أكثر حداثة من «شاعر» يلقي بثرثراته على الناس بعد أن «يدمغها» بأختام الحداثة التي لاتمتّ إليها بصلة، لأنه لايعرف جوهرها، ولا الأسس التي تستمد منها قوتها، لتكون عنصرًا فاعلاً يساعد في تطور الثروة الإبداعية للإنسان، ويغني كنوزها ومفاهيمها.

إن أهم مافي القول الجميل يكمن في معناه ومغزاه ودلالاته، حتى لو اختلفنا على الشكل.

صبحي قضيماتي
دمشق ـ سورية

هل العثمانيون مستعمرون حقًا ؟



قرأت حوار الفيصل في العدد «٢١٢» مع الدكتور ظهور أحمد ظهور تحت عنوان «اللغة العربية في باكستان: الماضي والحاضر»، ولقد استوقفني قول الدكتور ظهور: « أما الحكم فهو القادر المسيطر يستطيع أن يفرض لغته على أية أمة من الأمم مهما كانت ذات أدب وثقافة ولغة متقدمة راقية، إلا أن لغة الحكم تنتهي بنهايته، ولاتستطيع أن تعيش أو تبقى طويلا في تلك المنطقة بعد انقراض القوة المنفذة لها، وذلك ماحدث للغات المستعمرين كاللغة التركية

والإنجليزية والفرنسية وماإليها». ولنا مع قوله: «كاللغة التركية» وقفة، فقد اعتبر الكاتب أن اللغة التركية كانت لغة مستعمر، وأن حكم العثمانيين للبلاد العربية احتلال، ونسي أن اللغة العثمانية في الأساس هي لغة تركية طُعِّمَتْ على مر السنين بمفردات عربية وفارسية كثيرة ربما طغت على العنصر الأصلي، لذا لم يكن هناك مايدعو إلى فرضها بالقوة على الدول العربية لسببين:

١ـ أن هذه اللغة ـ أي التركية ـ كانت مفهومة التداول بين أبناء الأقطار العربية لكثرة مافيها من كلمات ومفردات عربية، ولأنها كانت تكتب بالحروف الهجائية العربية.

٢ـ لم يفرض الحكام العثمانيون هذه اللغة قط على أهل اللغة العربية التي يقدسونها لأنها لغة القرآن الكريم الذي يحفظونه عن ظهر قلب.

أما عن جعله الأتراك والعثمانيين مستعمرين فهذا غير صحيح، إذ إن حكم أية دولة إسلامية لأي إقليم مسلم لايمكن وصفه بأنه احتلال، خصوصا إذا كانت تلك الدولة تحمل صفة الخلافة. والمسلمون لم يعرفوا في تاريخهم اصطلاح «الاحتلال» فيما بينهم، وإنما كانوا أينما أقاموا في ديار الإسلام مواطنين في دولة الإسلام بصرف النظر عن موقع عاصمتها، سواء أكان في دمشق أم بغداد أم القاهرة أم الآستانة، وسواء أكانت من بني أمية أم من بني العباس أم من بني عثمان. ولنا أن نقول: إن الدولة العثمانية ـ رغم انشغالها بالدفاع عن حوزة الإسلام ضد الإمبراطورية النمساوية، مما ألّب عليها جميع القوى الصليبية التي لم يكن لها همّ سوى تصفية الخلافة الإسلامية، وشن حرب صليبية جديدة متواصلة ضد الدولة العثمانية؛ لاستنزاف قواها وإشغالها عن التنمية والتطوير ونشر العلوم ـ لم تكن غافلة عن التخلف العلمي الذي أصاب أبناءها، ولذلك بادرت في القرن التاسع عشر الميلادي رغم جميع الصعاب إلى توفير الأسباب لنهضة علمية، تشمل جميع أقاليم الإمبراطورية العثمانية، ومنها الأقاليم العربية؛ لذا قام مدحت باشا الوالي العثماني المعروف الذي تولى ولايتيْ بغداد والشام بعدة إصلاحات في التعليم وشتى نواحي الحياة، وكذلك رشيد باشا رسول السلطان عبدالحميد الذي افتتح مدرسة سمّاها مدرسة العشائر في إسطنبول، يدرس فيها أولاد الأعيان العرب من جميع الأقطار العربية، وبفضل هذه المدرسة استطاع بعض العرب أن يرقوا إلى أعلى المناصب في الدولة، وشكّلوا كتائب الزحوف العربية، واتخذ منها رشيد باشا حرسًا خاصًا للسلطان، وقد حازت هذه الكتائب إعجاب الجميع لمّا وقعت حوادث ٣١ مارس، فكانت هذه الكتائب أول من تقيد بالأوامر السلطانية ضد الأرمن واليهود وبعض الخونة الأتراك الذين كانوا يريدون تصفية الخلافة الإسلامية في تركيا. لذا لم يكن السلطان عبدالحميد يقدم على قطع رواتب الأشراف من العرب، بالإضافة إلى ذلك كانت تصلهم هدايا ونياشين دورية من السلطان اعترافًا بجهود أبنائهم المخلصة في هذه الكتائب.

هكذا نرى أنه ليس من العدل تسمية فترة الحكم العثماني للدول العربية احتلالا، وإن كان هناك بعض التقصير في حق هذه الدول عند اضطرار أهل الحكم المسلمين أن يكونوا وحدهم في مواجهة القوى الأوروبية المعادية الشرسة طيلة عدة قرون، مما لم يدع لها مجالا لكي ترعى النواحي العلمية والثقافية، وهذه أمور يجب أن يدركها أهل التاريخ الذي جار على العثمانيين بالافتراءات التي ليس لها أساس من الصحة.

صلاح عبدالستار الشهاوي
دمشيت ـ طنطا ـ مصر

معلمة: آمل استمرار النقاش، وما رأي أولياء الأمور؟



في البداية أشكر الأستاذ عبدالغفور الخطيب على مبادرته للرد على الآراء والتعليقات التي نُشرت في مجلتنا الغراء، وقد تكرّم أخونا عبدالغفور بتوضيح بعض النقاط التي غابت فعلاً عن ذهني أثناء قراءة موضوعه «تربية جديدة للمعلمين»، ولعلي أخذت بالظاهر وهو التقليل من شأن المرأة المعلمة والمدرّسة. ولكن ألا ترون معي أن الواحد منّا عندما يريد التحدث والنقد في موضوع من الموضوعات يختار الجانب السلبي وغالبًا مايتغاضى عن الجانب الإيجابي؟ فواقعنا التعليمي مليء بالمعلمين والمعلمات والمدرسين والمدرسات الذين يتخذون من مهنة التعليم مَضْيَعَةً للوقت ووسيلة للتسلية في الحصص الدراسية، وطريقة يفرغون بها مايكتنف صدورهم

من حب السيطرة والتسلط على التلاميذ والطلاب.

إن واجبنا تجاه هذه الفئة يفرض علينا نقدهم نقدًا لاذعًا، ومعاقبتهم عقوبة قاسية من قبل الجهات المعنية بهذا الأمر. ألا يخافون أن تدور الدائرة عليهم ويبعث الله لأولادهم معلمين ومدرسين من هذ االنوع يضيعون مستقبلهم ويقتلون مواهبهم؟

أليس الأجدر بنا أن نتجه في الوقت الذي ننقد فيه هؤلاء إلى شكر وتكريم أولئك الذين نذروا أنفسهم للقيام بالمهنة المقدسة «التعليم» بالشكل الذي تتطلبه هذه المهنة من الصدق والأمانة والإخلاص في الأداء؟ أولئك الذي يعطون دون مقابل لخلق جيل مبدع، يتمثل بالعالِم والطبيب والمهندس والمعلم، هذا الجيل الذي يُخلَق من الطفل الذي ينظر بشغف إلى شفتي معلمه ومدرّسه، ينتظر الكلمة التي سيتفوّه بها لأنه سيتخذها مثلا أعلى له وستُحفَر في ذاكرته للأبد. وكلنا يعرف تبجيل الطفل لمعلمه، إذ نراه طوال يومه في البيت يقول: المعلم قال كذا، والمعلم قال اعملوا كذا، والمعلم والمعلم... وغالبًا ما يفضل كلام معلمه على كلام أبويه وإخوته، فهل يعقل أن نعلّم أطفالنا الصدق ونحن كاذبون، وهل نعلمهم الأمانة ونحن خائنون، وهل نعلمهم المسؤولية ونحن مهملون؟

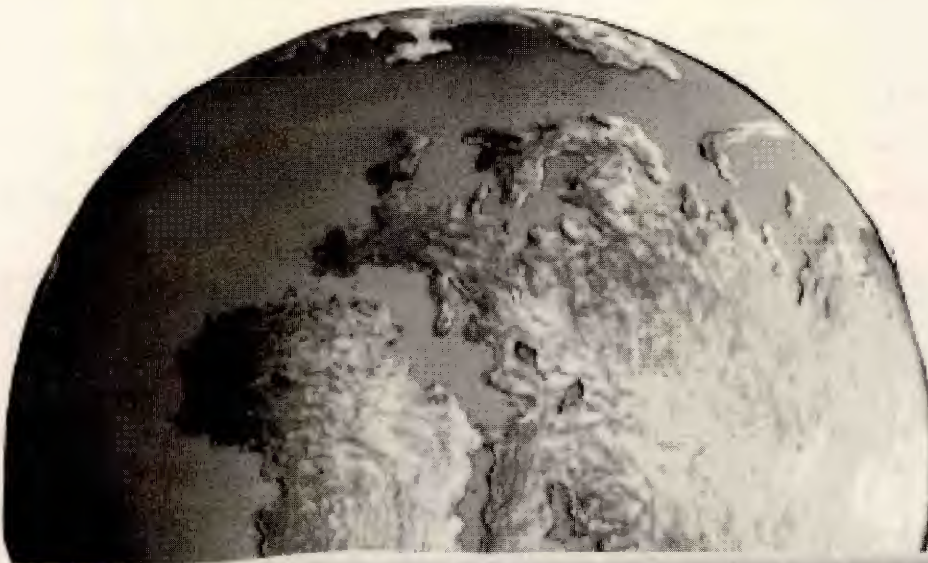
والناحية الثانية التي أود التطرق إليها هي أنك يا أستاذنا الكريم وضعت يدك على الجرح الذي يعاني منه المعلمون كافة، وهو الوضع المادي البائس للمعلم والمدرّس، وأعتقد أن هناك نسبة كبيرة منهم تتخذ عملاً إضافيًا بعد دوامها المدرسي للتغلب على ظروف الحياة القاسية. ولكن ألا تعتقد معي أن هذا الوضع قد يشكل أحيانًا دافعًا للمعلم والمدرس للتغلب على ظروفه السيئة بالإبداع، وتعويض النقص من خلال إفراغ كل طاقاته في عقول تلاميذه، لأنه يفترض بالمعلم والمدرس عند تخطيه عتبة الصف أن يرمي كل همومه ومشكلاته ومعاناته الخاصة وراء ظهره، وحصر ذهنه وتفكيره في المادة التي يدرّسها، ويتوسع فيها كي لايسمح لعقله أن يذكرّه بمشكلة يعاني منها أو همّ يشغل وقته في التفكير فيه.

أما فيما يخص دعوة الأستاذ عبدالغفور لإلغاء معاهد المعلمين، فلاأعرف هل شمل بهذه الكلمة معاهد إعداد المدرسين (الملتزمة) أيضًا؟ وهو يعرف تمام المعرفة أن هذه المعاهد - التي تعتمد على الاختصاص، والتي تلتزم الدولة بتوظيف خريجيها - مخصصة لتدريس المرحلة الابتدائية وأحيانًا لسد بعض الأمكنة الشاغرة كتعيين الخريج لتدريس المرحلة الإعدادية. وأنا أتفق معه أن الثقافة تختلف بين خريجي المعاهد وخريجي الجامعات، لكن ماذا نفعل؟ ليس بيدنا شيء نفعله. ولاتقع الطامة الكبرى إلا على رأس طالبنا المظلوم الذي ماإن يحصل على الثانوية العامة حتى يقف متأملاً تلك الأعداد الكبيرة التي تخرجت في الجامعة وجلست دون عمل، وإن تيسّر لبعضهم العمل كان هذا العمل لايمت بصلة للتخصص الذي درسوه في الجامعة، والسبب هو أن الدول لاتلتزم بتأمين الوظيفة لخريج الجامعة. وعندئذ يضع الطالب نفسه مكانهم ويقول: لو حلّ بي ماحلّ بهم فلن أستطيع القيام بالرسالة التي آمنت بها ودرست من أجلها. ثم نراه تحول إلى المعهد الملتزم؛ لأنه سيضمن التوظيف بعد التخرج، وسيستطيع إثبات ذاته في المهنة التي اختارها، وهو في الوقت نفسه أقصر طريقًا من الجامعة. ولعل بعض هذه الأسباب هي التي دفعتني للدراسة في المعهد المتخصص. والكثير من خريجي المعاهد يعمدون إلى إعادة الثانوية العامة، والتسجيل في الجامعة لزيادة ثقافتهم وتوسيع مداركهم، وهذه نقطة تستحق الاهتمام والتشجيع. ولو بقينا نادي بإلغاء المعاهد فلن نجد الآذان الصاغية لأننا في كل سنة نرى أعدادًا كبيرة تم قبولها في المعاهد المختصة الملتزمة.

وكم أتمنى أن يعلّم أصحاب الكفاءات العالية من حاملي الشهادة الجامعية أطفالنا في المرحلة الابتدائية التي تفتقر للأسس التعليمية الصحيحة في كل المواد، وكم نعاني في تدريس المرحلة الإعدادية من المفاهيم الخاطئة التي ترسخت في أذهان طلابنا بسبب أخطاء معلميهم في المرحلة الابتدائية، فنرى طالب الصف الأول أو الثاني الإعدادي - مثلا - يعرب جمع المذكر السالم مرفوعًا بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، ويجعل أحد الأفعال الخمسة مرفوعًا بالواو لأنه جمع مذكر، وكم نراهم يخلطون بين أسماء الإشارة والأسماء الموصولة وكم وكم وكم.. وأساس هذا كله في منهاج المرحلة الابتدائية وطريقة تدريسه. وهنا يُلقى على عاتق المدرّس المهتم والمقدّر للمسؤولية استعادة كل القواعد الأساسية في المرحلة الابتدائية رغم عدم تقريرها في المرحلة الإعدادية. والسبب الأول والأخير معلم المرحلة الابتدائية.

أخيرًا عذرًا للإطالة، ولكن أصدقكم القول إن في جعبتي الكثير من النقاط التي تتعلق بهذا الموضوع، وأكتفي بهذا، وآمل أن يستمر النقاش وأن يدلي الإخوة بآرائهم - وخصوصا أولياء أمور الطلاب - حول هذا الموضوع الذي يجسد حياتنا وكياننا؛ لأنه المعيار الحقيقي لقياس قيمة المعلم أو انحطاطه.

فادية العمر
حماة - سورية



رُدُودٌ خَاصَّة

الأخ عبدالله حسن حنش الرزقي ـ العرضية الجنوبية ـ القنفذة:

شكرا على رسالتك ومشاعرك الكريمة. مقترحاتك محل الاهتمام، وسنستفيد منها قدر الإمكان.

الأخ د. ناول عبدالهادي ـ الدار البيضاء ـ المغرب:

عنوان المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب هو: ص.ب (٦٨٣٠) الرياض ١١٤٥٢، المملكة العربية السعودية. أما المجلات التي ذكرتها في رسالتك فلاتتوافر لدينا عناوينها للأسف.

الأخ إدريس إبراهيم محمد الغربي ـ تونس:

شكرا على رسالتك. وعنوان رابطة العالم الإسلامي هو: ص.ب (٥٣٧) مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية. وبمراسلتك إياها يمكنك الحصول على المعلومات التي تريدها حول المجلس التأسيسي للرابطة والهيئات التابعة لها مثل: هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، وغيرها.

الأخوين: شويرف بوعلام ـ سيدي بلعباس ـ الجزائر، ابن أمغار ميلود ـ تارودانت ـ المغرب:

نظرا للطابع الشخصي لموضوعكما فيؤسفنا عدم تمكننا من مساعدتكما، مع دعواتنا لكما بالتوفيق.

الأخ أبو بكر مصطفى رشاد الوليلي ـ الرياض:

باب «نافذة على ثقافة الغرب» لم يتوقف، ولم يختفِ من المجلة، بل تغير اسمه إلى «نافذة على ثقافة العالم» توخيا للشمول.

الأخ عبدالرحمن شوكت ديرو ـ حلب ـ سورية:

مجلة «المنهل» تعد أقدم المجلات السعودية المستمرة في الصدور، أنشأها في عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٧م) الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري يرحمه الله، ويرأس تحريرها الآن الأستاذ نبيه عبدالقدوس الأنصاري. وعنوانها: ص.ب (٢٩٢٥) جدة ٢١٤٦١، المملكة العربية السعودية.

الأخت وفاء عمر حصرمة ـ حلب ـ سورية:

عنوان النادي الأدبي في المدينة المنورة هو: ص.ب (٧٥٠) المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الأخوين محمد صالح الضاوي ـ تونس، مالكي يحيى ـ وجدة ـ المغرب:

بإمكانكما مراسلة الأستاذ الدكتور حسن ظاظا على عنوان المجلة.

الإخوة: فريد بوديسة ـ البليدة، حمبلي بو علام ـ البويرة، الهاشمي بن يحيى ـ غليزان ـ الجزائر ـ حسن محمد الجلاصي ـ تونس:

ليس لدينا ركن للتعارف، كما لاتتوافر لدينا عناوين نوادي الصداقة وماشابه ذلك؛ لكونها لاتدخل ضمن اهتمامات المجلة.

الأخ طارق سيدنا محمد طاهر ـ كسلا ـ السودان

لتحقيق رغبتك بإمكانك مراسلة أحد

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كتابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ـ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ـ ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ـ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ـ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥ـ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

العناوين التاليين:

١ـ المؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة العرب ARAB STUDENT AID INTERNATIONAL P.O. BOX 10 FAN WOOD, NEW-JERSEY 07023 U.S.A

٢ـ كلية علوم البحار ـ جامعة الملك عبدالعزيز، ص.ب (١٥٤٠) جدة ٢١٤٤١، المملكة العربية السعودية.

الأخ صالح السيد خنفيش عبدالجواد ـ جامعة الإسكندرية:

يمكنك الحصول على نسخة من كتاب الدكتور حسن ظاظا «الساميون ولغاتهم» من مكتبة مدبولي بميدان طلعت حرب بالقاهرة.

الأخ عبداللطيف طاهر ـ جدة:

ردًا على استفساركم حول كلمة «عجوز» هل تطلق على الرجل أم على المرأة أم على الاثنين معا، إشارة إلى ورود الكلمة بالتذكير في إجابات مسابقة العدد ٢١٠ المنشورة في العدد ٢١٣، نجيبك بما يلي: تطلق كلمة «عجوز» في الأصل على المرأة الطاعنة في السن، جاء في محكم التنزيل: ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ (الذاريات ٢٩)، أما الرجل الطاعن في السن فيقال له شيخ: ﴿وهذا بعلي شيخا﴾ (هود ٧٢). لكن بعض علماء اللغة أجازوا استعمال كلمة «عجوز» للرجل والمرأة معا؛ كابن منظور في «لسان العرب»، والفيروزآبادي في «القاموس المحيط»، وغيرهما.

الأخ عطية كامل عبدالمنعم النمر ـ المنوفية ـ مصر:

للحصول على نسخة من المحاضرة التي ذكرتها في رسالتك، يمكنك مراسلة النادي الأدبي في المدينة المنورة على عنوانه المذكور في أحد الردود السابقة.

الأخ بهاء عبدالعزيز صالح ـ الإسكندرية ـ مصر:

عنوان المجلة الطبية التي تصدرها وزارة الصحة السعودية عن دار القمم للإعلام هو: ص.ب (٦١٠١٩) الرياض ١١٥٦٥، المملكة العربية السعودية.

الأخ جناح عبدالقادر ـ ورزازات ـ المغرب:

الأعداد التي تناولت الموضوعات الأربعة التي ذكرتها كثيرة، وأرقام الأعداد التالي ذكرها ليست على سبيل الحصر، وهي تتناول الموضوعات حسب إيضاحك لكل منها كما جاء في رسالتك: الفلك: ٢، ١٧، ٢٤، ٣٢، ٣٥، ٤٣، ٤٨، ٩٢، ١٠٥، ١٣٧، ٢١١. الجيولوجيا: ١٢، ٥٨، ٦٤، ٧٧، ١٣٤، ١٩٠ البحار: ٩٠، ١٩١. السرطان (مرض): ١٢، ٩١، ١٤٠، ١٤٧.

الأخ عبدالرحمن حسن سلطان ـ الدوحة ـ قطر:

نعتذر إليك وللقراء الكرام عموما من عدم إمكان إرسال ردود خاصة بالبريد، وذلك لكثرة الرسائل وتنوع موضوعاتها ومجالاتها، ويستثنى من ذلك مايخص الاشتراكات وطلب الأعداد السابقة لوجود قسم مستقل من خارج التحرير يتابع تلك الأمور. استفساراتك حول بعض الشعراء العرب، نأمل أن نتمكن من الإجابة عليها في أحد الأعداد المقبلة.

الأخ أحمد درويش القادري ـ دمشق ـ سورية:

القسم المختص سيتولى الرد عليك بشأن الأعداد التي انقطعت عن الأسواق السورية.

العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٤٧٨٨٤ ـ
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠ ـ ٢٥٨ ـ ٠ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الأسعار:

السعودية ٨ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات ٧دراهم ـ قطر ٧ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ عُمان ٧٥٠بيسة ـ الأردن ٥٠٠فلس ـ اليمن ٢٥ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦دراهم ـ تونس ٦٠٠مليم ـ الجزائر ١٠دنانير ـ العراق ٤٠٠فلس ـ سورية ٢٠ليرة ـ ليبيا ٨٠٠درهم ـ موريتانيا ١٠٠أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠شلن ـ جيبوتي ١٥٠فرنكا ـ لبنان مايعادل ٤ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

على موعد

الحاسوب الإلهي



عاصم محمد بهجة البيطار

استرعى انتباهي منذ فترة حديث نفر من الخبراء في شؤون الحاسوب «الكومبيوتر»، وشغلني الأمر عما كنت أبحث عنه في بطون الكتب، ووجدتني منصرفًا إلى الاستماع إليهم، متعجبًا من قدرة الجهاز على اختزان المعلومات، والذاكرة العجيبة التي تمدك بما تشاء من معارف بلمسة صغيرة.. وتتنقل بك بين رياض المعرفة وميادين الفكر والثقافة بيسر وسهولة.. تجمع لك مكتبةً في صحيفة، وعلمًا بكامل فروعه في إيجاز ووضوح.. تختصر لك زمن المراجعات المضنية، وتزودك في لحظات بما أفنى العلماء أعمارهم في جمعه وتصنيفه.. وكنت كلما أوغلوا في الحديث أزداد عجبًا، ورأيتني أدنو منهم حتى خالطتهم، وكنت الجاهل الوحيد بينهم في الحواسيب وشؤونها، فقلت لهم: هذه الذاكرة العجيبة هل تختزن معلوماتها حتى يرث الله الأرض وماعليها؟ والإنسان الذي يلقنّها المعلومات إذا اعتراه ضعفه الإنساني فأخطأ في عمله، فهل تقوّم الخطأ فلاتقبل إلا الصحيح السليم..؟ ونحن معشر البشر خلقنا الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم.. ووهبنا من النعم مالانحصيه، غير أن الوهن يدب إلينا فيكل البصر، ويثقل السمع، ويضعف التمييز، وتشيخ الذاكرة، ونُرد إلى أرذل العمر، إذا أنسأ الله في الأجل، فلا نعلم من بعد علم شيئًا، فهل هذا الجهاز بنجوة من ذلك كله؟ فالتفت إليّ أحدهم قائلاً: هذا الجهاز من صنع الإنسان الذي علّمه الله ما لم يكن يعلم، وهو في نفسه صحيفة بيضاء ليس فيها مايفيد، والإنسان هو الذي يزوّده بالمعلومات مهما كانت واسعة أو متنوعة، عميقة أو سطحية.. يسجل الخطأ كما يسجل الصواب... ويبقى أخرس صامتًا حتى تأمره أنت أن يتكلم.

وقال آخر: إذا كانت الأمراض تصيب الإنسان والمخلوقات الأخرى، فإن هذه الحواسيب قد ابتليت ببعض الفيروسات التي تغزوها فتفسد مافيها وتعطّل مواهبها، وتظهر للإنسان ضعفه الإنساني الذي لن يبلغ الكمال المطلق مهما سعى إلى ذلك سعيه... وتكلم رجل ثالث كان يجلس في زاوية المكتب فقال: هذا الجهاز كغيره من المخترعات والمكتشفات العظيمة، ينصرف للخير إن شئت، وينجرف للشر إن أحببت.. لقد استطاع العقل الإنساني بوساطة هذه الحواسيب العجيبة أن يهتك حجب الأسرار، وأن يفسد برامجك دون أن تدري، وأن يطّلع على ماتبالغ الشركات الكبرى والمصارف التي تتحكم باقتصاد العالم في إخفائه... وقد يمهّد الطريق للعصابات الكبرى فتقوم بأعمالها الإجرامية وتهلك الحرث والنسل.. هو صورة للإنسان نفسه الذي تتجاذبه نوازع الخير والشر..

وسمعتُ من بعيد صوت قارئ للقرآن الكريم يتلو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحشَرُ أعداءُ الله إلى النَّار فَهُمْ يوزَعُونَ. حتّى إذَا مَا جَاؤُوها شَهِدَ عَلَيْهِم سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وَقَالُوا لجُلُودهم لمَ شَهدتُّم عَلَيْنا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الذي أَنْطَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ خَلَقَكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (فصلت ١٩-٢١). فقلت في نفسي: أليست هذه هي الذاكرة العجيبة التي لاتنسى شيئًا.. يمرّ العمر كله والسمع والبصر والجلود تسجل فلاتترك شاردة ولاواردة، ثم يُقضى الأجل، ويعود الإنسان إلى التراب، ويفنى جسده، وتبلى عظامه، حتى إذا شاء الله أحيا العظام وهي رميم، وبعثها كما خلقها أول مرة، وذاكرتها حيّة لايعتريها وهن ولايمحوها بلى، ولايسطو عليها «فيروس».. إنها الحاسوب الإلهي الذي يتجسد فيه الكمال المطلق الذي لايكون إلاّ لله الخالق المدبر الذي أحسن كل شيء خلقه.

ومددتُ يدًا مرتعشة إلى القرآن الكريم أقلب الصفحات، وأحاول تدبر الآيات، فوجدت فيه الدعوة إلى الوحدانية، والهدى الذي أرسل الله أنبياءه به.. ولكنني رأيت فيه كذلك بذور العلوم والمعارف التي تسعى البشرية إليها، وكلّما عَرَفَتْ منها شيئًا ازدادت معرفتها بجهلها.

لقد وهب الله الإنسان نعمة العقل، وأمره أن يتفكر في الكون كله، وجعل ذلك كله طريقًا إليه عن طريق الإيمان القلبي، والعقل المفكر في آلاء الله...

وأراني أعود إلى بداية الحديث وأنا أقرأ قوله تعالى: ﴿اليومَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنا أيديهم وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بمَا كَانُوا يَكْسِبُون﴾ (يس:٦٥) وقوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذينَ يَرْمُونَ المحْصنَات الغَافلات المُؤْمنَات لُعنُوا في الدُّنيا والآخرَة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ. يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِم أَلْسنَتُهُمْ وَأَيْديهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور ٢٣-٢٤)

لقد جعل الله أعضاء الإنسان حجة عليه يوم يقوم الناس لرب العالمين، وأودع في كل عضو ذاكرة لاتضل، ولاتنسى، ولاتكذب، ولايعتريها وهن، وأحصى كلُّ عضو بإذن ربّه كلَّ صغيرة وكبيرة. وكل ماجناه المرء من حسن أو قبيح، وماجاهر به أو أخفاه.. أليس هذا هو الحاسوب الكامل... إنه الحاسوب الإلهي الذي تنزه عن كل نقيصة...

رأيت مرة رجلاً صالحًا يبكي بكاء مرًّا، وبيده القرآن الكريم، وقد وضع إصبعه على آية كريمة يقرؤها، ثم يرددها، وكلما رددها مرة اشتد بكاؤه. وسمعته يقول بين العبرات والآهات: يأيها المغترون استمعوا إلى ربكم يقول: ﴿وعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَد جئتُمونا كما خَلَقْنَاكُم أَوَّلَ مَرَّة بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَن نَجْعَلَ لكُم مَوْعدًا. ووُضعَ الكتَابُ فَتَرَى المجْرمينَ مُشْفقينَ ممَّا فيه ويَقولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَا لهذا الكتَاب لايُغَادرُ صَغيرَةً ولا كَبيرَةً إلا أحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَملُوا حَاضرا وَلاَ يَظْلمُ رَبُّكَ أحدًا﴾ (الكهف ٤٨، ٤٩).

بنظرة واحدة يستعرض المرء حياته كلها... وتركت الرجل يبكي، ولسانه يلهج بالتضرع والدعاء والاستغفار؛ ومضيت وأنا أردد: لاكمال إلاّ لله.